فكاهات الأسمار ومذهبات الأخبار والأشعار

لأبي الحسن علي بن عبد الرحمن بن هذيل الفزاري



تحقيق وتقديم وتعليق:

الدكتور عبدالله حمادي

فكاهات الأسمار ومذهبات الأخبار والأشعار

لأبي الحسن علي بن عبد الرحمن بن هذيل الفزاري

الدكتور عبدالله حمادي

الناشر

مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

الكويت 2004

فكاهات الأسمار
ومذهبات الأخبار والأشعار

لأبي الحسن علي بن عبدالرحمن بن هذيل الفزاري

تحقيق وتقديم وتعليق

الدكتور عبدالله حمادي

أستاذ بجامعة قسنطينة - الجزائر

الكويـت

2004

أشرف على طباعة هذا الكتاب وراجعه الباحث
بمؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري
ماجد الحكواتي

الصف والإخراج والتنفيذ
محمد العلي
أحمد متولي **أحمد جاسم**
قسم الكمبيوتر في الأمانة العامة للمؤسسة

ردمك: ISBN : 99906 -72 - 16 - 4
رقم الإيداع : Depository Number: 2004 / 00299

هاتف: 2430514 فاكس: 2455039 (00965)
E-mail < Kuwait@albabtainpoeticprize.org >

الكويت 2004

تصديـــر...

كما غدا العصر الأندلسي لأجيال من العرب ذكرى مؤرقة تحمل في ثناياها روعة الإنجاز ومرارة السقوط، وتثير في النفس في آن معًا الفخر في أسمى مراتبه والحزن في ألذع صوره، فإن النتاج الثقافي وهو الذي يمثل روح الجماعة ومغامرتها في فضاء العقل والخيال أصبح أيضًا في عداد الذكرى المؤلمة، فهذا العصر الذي امتدّ مسافة ثمانية من القرون والذي أثمر هرمًا من المؤلفات التي غطت محاور الإبداع المختلفة، شاركت فيها كتائب من صناع المعرفة الذين جعلوا من الكشف الثقافي هاجسهم الدائم، هذا الفيض من أسفار الثقافة التي خلّفها لنا الأسلاف والتي هي قبل كل شيء ملك للإنسانية جمعاء ومظهر شامخ للعبقرية العربية، وهي تسع الكون في إطارها الخاص، هبت عليها رياح التعصب والظلام لتحيلها إلى رماد، وكما كان ذلك التراث الحضاري الهائل ثمرة للانفتاح والتفاعل والتفتح للحياة والحوار مع الذات ومع الآخر عدّه دعاة الانغلاق والإقصاء من داخل التجربة ومن خارجها عدوًا لهم، هكذا أقيمت الحرائق لهذا التراث العظيم، لكي يحجب إلى الأبد عن ذاكرة الإنسانية، ولكي تحرم من جناه الشهي قوافل القراء على مرّ العصور.

وإذ نشعر باعتزاز ونحن نستعرض أسماء الآلاف من مبدعي الأندلس وعناوين عشرات الآلاف من الكتب التي خطوها بأيديهم لتكون شهادتهم على الحياة ووصيتهم إلينا، نشعر بأسى حاد إذ لا نجد من هذا النبع المتدفق سوى بعض القطرات التي لا تروي ظمأنا بل تزيدنا عطشًا إلى المزيد من هذا الري العذب.

هكذا قُدِّر للمكتبة الأندلسية العامرة بمئات الآلاف من الكتب أن تعصف بها يد البلى، ولم يتبق منها سوى كتب مبعثرة احتفظت بها بعض الزوايا في المكتبات العامة والخاصة، أو ما تزال تقبع منسية بين ركام من الكتب والمخطوطات لدى بعض الأسر التي توارثتها دون أن تدري أهميتها.

لذا فإن العثور على أي مخطوط أندلسي جديد هو في الحقيقة استعادة لجزء من تاريخنا، وإحياء لأحد الأعلام الذين وضعوا حياتهم في مؤلفاتهم، وهو يخلف في الذات العربية فرحة عارمة بعودة أحد أبنائها الغائبين إليها.

ويصبح الكشف عن أي من هذه الكنوز الضائعة ثروة تضاف إلى رصيد الأمة الثقافي، من هنا نثمن عاليًا اكتشاف الدكتور عبدالله حمادي في مكتبة الأسرة لأحد المخطوطات الأندلسية، واهتمامه بهذا الأثر وتحمله كل متاعب إعادة قراءة هذا المخطوط القديم وفق معطيات العصر، وبما يقتضي ذلك من المقارنة والضبط والتصويب وتزويده بالحواشي والفهارس الذي يجعل منه لبنة في البناء الثقافي العربي المعاصر.

وإذ نشكر للدكتور حمادي هذا الاكتشاف وما صرفه من وقت في إعادة الحياة لهذا المخطوط، يسعد المؤسسة أن تهدي هذا الأثر للقارئ العربي ليستعيد جزءًا من ذاكرته ولتكون محاولة الأسلاف لإضاءة عصرهم بقناديل المعرفة، دافعًا لنا لنجعل عصرنا حافلاً بكل ما أنجزه الأسلاف وما لم يتمكنوا من إنجازه.

وبالله المستعان،،

عبدالعزيز سعود البابطين

الكويت في رجب 1425هـ

الموافق أغسطس 2004م

****

حياته وأعماله الأدبية

أجمع الباحثون الذين اهتموا بالكاتب الغرناطي علي بن عبدالرحمن بن هذيل الفزاري الغرناطي الأندلسي على انعدام المعلومات المتعلقة بحياته، وحياة أسرته، والأصول التي ينحدر منها، وهذا بالرغم من معاصرته للسان الدين ابن الخطيب صاحب الموسوعات الكبرى في أعلام غرناطة، من مثل الإحاطة والكتيبة، وريحانة الكتاب... إلخ. والتي تعرض فيها بالترجمة والتعريف لكل أدباء مملكة غرناطة وحتى الوافدين عليها، لكننا نجده يتجاهل كليّة حضور شخصية بقامة علي بن عبدالرحمن بن هذيل، ولا يذكر من هذه العائلة إلا بعض أسماء يأتي في طليعتها اسم أستاذه يحيى بن أحمد بن هذيل التجيبي المكنى أبا زكريا[١] الذي هو تجيبي كما نرى ولا علاقة له بالفزاري.

١- عائلة ابن هذيل الفزاري في المصادر الأندلسية:

أ- في الإحاطة في أخبار غرناطة:

ونحن نقلب ثنايا الإحاطة، توقفنا شخصية تحمل اسم علي بن يحيى الفزاري[٢]، فهذه المرة نجده يحمل نفس اللقب العائلي لعلي ابن هذيل الفزاري، صاحبنا. حيث يقول ابن الخطيب عن علي بن يحيى الفزاري هذا: «إنه من أهل مالقة، بربري النسب، فزاريه، يكنى أبا الحسن، ويعرف بابن البربري...» ويظهر أن هذه الشخصية التي أثنى عليها ابن الخطيب، تجعلنا نلتمس نبرة انعدام العداوة بينه وبين هذه العائلة من آل الفزاري فهو يشيد بيحيى هذا، والذي يبدو أنه كان معاصرًا له، لأنه وجه له خطابًا شعريًا مدح فيه ابن الخطيب، حيث يقول هذا الأخير: ومما خاطبني به قوله:

لِبابكَ أمّ الآملون ويَمّموا
وفي ساحَتيْ، رُحماكَ، حطّوا وخيّموا

...فـيـا واحـدَ الأزمـانِ عـلـمـاً ومـنـصـبـاً
ويـا من بـه الـدنـيـا تـروق وتـبـسـم

وكانت وفاة هذا الأديب الفزاري بمالقة في عام الطاعون سنة ٧٥٠هـ[٣] .

أما الجزء الثالث من إحاطة ابن الخطيب فإننا نجده يذكر ثلاث شخصيات تحمل كنية الفزاري لكنهم يعودون إلى عصر الطوائف أيام الدولة الزيرية بغرناطة، وهو ما يؤكد صلة الرحم البربرية التي تجمع بينهم وبين العائلة المالكة آل باديس الصنهاجيين. فأولى هذه الشخصيات هي عبدالملك بن علي بن هذيل الفزاري وعبدالله أحمد أخوه، يقول عنهما ابن الخطيب نقلاً عن ابن مسعدة: «أبو محمد وأبو مروان توليا خطة الوزارة في الدولة الحبوسية، ثم توليا القيادة بثغور الأندلس، وقهرا ما جاورهما من العدو، وغلباه، وسقياه كأس المنايا وجرعاه، ولم يزالا قائمين على ذلك ظاهرين علمين إلى أن استشهدا رحمهما الله»[٤] فيظهر أن الشخصيتين هما من القيادات العسكرية البارزة في هرم الدولة الزيرية أيام مؤسسها الأول، حبوس بن ماكسن أمير غرناطة، وأول أمرائها من البربر أيام الطوائف، والذي حكم كما نعرف ما بين سنوات ٤١١هـ و٤٢٨هـ. ومن هنا تبدأ تتضح بعض معالم أصول أسرة ابن هذيل فهو من قبيلة «فزارة» وفي ذات الوقت «بربري»، ولهذا كانت للقائدين عبدالملك وعبدالله مثل هذه الحظوة لدى أمير غرناطة الزيري الصنهاجي حبوس بن ماكسن، لكن الإشكال الذي يطرح أمام الباحث هو كيف تمت هذه المزاوجة في ترجمة ابن الخطيب بين لقبين أحدهما بربري (هذيل) والثاني عربي الأرومة(فزاري)... الأمر الذي أجبرنا على تصفح جمهرة أنساب العرب لابن حزم، حيث وجدناه يتحدث فيها عن أصل بيوتات البربر في الأندلس فيذكر على سبيل المثال[٥] أمراء الثغر بنو هذيل ليقول إنهم ليسوا من بني رزّين لكن من مديونة بشنت برية،) فابن حزم هنا يصنف عائلة بني هذيل ضمن عائلات البرابرة المرموقة بالأندلس، وربما كلامه هنا يتفق إلى حد ما مع ما أورده ابن الخطيب في إحاطته أثناء حديثه عن تمتع الأخوين عبدالملك وعبدالله بالحظوة في دولة بني

زيري، لكن ما لم نستطع إيجاد التسويغ له هو إضافة لقب الفزاري لهذه العائلة، علمًا أننا نعرف من خلال جمهرة أنساب العرب دائمًا أن بني فزارة هم من بني ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد من قيس عيلان بن مضر[٦] فلا ندري هل كان لهذه العائلة فرعان بواسطة المصاهرة، واحد من ناحية الأبوة، والثاني من ناحية الأمومة كأن تكون الأم مثلاً من بني هذيل البرابرة، والأب من فزارة القبيلة العربية أو ما يشبه ذلك؟؟...

أما ثالث هذه الشخصيات الفزارية فهو عبدالقهار بن مفرج بن عبدالقهار بن هذيل الفزاري ودائماً نقلاً عن ابن مسعدة، يقول ابن الخطيب: « كان بارع الأدب شاعرًا، نحويًا لغوياً، كاتباً متوقد الذهن عنده معرفة بالطب، ثم اعتزل الناس وانقبض، وقصد سكنى البشارات لينفرد بها ويخفي نفسه فرارًا من الخدمة، فتهيأ له المراد...»[٧] فنحن كما نرى أمام شخصية إشكالية: أديب بارع له معرفة بالطب لكنه ينقبض؛ أي يبتعد عن الساحة الثقافية والسياسية ويعتزل عاصمة الإمارة غرناطة ليحط رحاله بجبال البشارات الوعرة المسالك وموطن الثائرين والمنتزين، وهي كما نعلم المنطقة الجبلية الواقعة في جنوبي سفوح جبال سييرا نيفادا (Sierra Nevada) أو جبال الثلج، جنوبي غربي غرناطة وعلى مقربة من البحر المتوسط وتعرف بالإسبانية اليوم (Las Alpujaras) ومنها انطلقت ثورة الموريسكيين بعد سقوط غرناطة عام ١٤٩٢ كما نعرف.

هذا الأديب الفزاري الذي لا شك أنه من جدود علي ابن هذيل أديبنا صاحب فكاهات الأسمار، أخفى نفسه فرارًا من الخدمة فتهيأ له المراد... فاختفاؤه من خدمة السلطان لا شك أن من ورائها سببًا، وتهيأ له المراد في المناطق النائية الوعرة، تدل على أنه وجد الحماية والحصانة فيها، وربما وسط المتذمرين من الدولة الزيرية البربرية آنذاك والتي اشتهرت بمظالمها الكثيرة.

هذا كل ما استطعنا العثور عليه في مصادر إمارة غرناطة الرسمية حول ما يمكن أن يربط علي ابن هذيل الفزاري هذا بأصول قريبة منه، وهي الأصول التي لم يتمكن

الباحثون من ربط الصلة بينها وبينه، ابتداء من الباحث الفرنسي القنصل لويس مرسييه منذ سنة ١٩٢٢ ، مرورًا بالمستشرقة الإسبانية ماريا خيسوس فيغيرا وترجمتها لكتاب ابن هذيل «حلية الفرسان» سنة ١٩٧٧ ، ووصولاً إلى المستشرق الإسباني فرانثيسكو رويث خيريلا (Francisco Ruiz Girela) الذي قدم أطروحته في جامعة مدريد المركزية عام ١٩٩١ الموسومة:بـ «عالم إنساني من غرناطة النصرية علي ابن هذيل مع دراسة خاصة لكتابه عين الأدب والسياسة» ترجمة وتقديم. كل هؤلاء الباحثين رغم جهودهم المضنية لم يتمكنوا من إيجاد خيط يربط أصول أسرة ابن هذيل هذا والذي لا يزال البحث مفتوحاً على مصراعيه حول الأصول الحقيقية لهذه الأسرة الغرناطية الشهيرة.

ب – كنية ابن هذيل الفزاري في نفح الطيب للمقري:

لقد أورد المقري في نفح الطيب على سبيل المثال ذكر اسم ابن هذيل في الجزء الثاني[٨] وابن هذيل هذا كان من سكان بلنسية، وكان أحد أساتذة الإمام الشاطبي أبي القاسم من رجالات القرن السادس الهجري وقرأ عليه المعافري وهذا الأخير كما نعرف من مواليد ٥٩١هـ وهو الذي أشار إليه المستشرق فرانثيسكو رويث خيريلا (Francisco Ruiz Girela) نقلاً عن لويس مرسييه في أطروحته سالفة الذكر (ص ٩) .

ولعل المستشرق الإسباني فرانثيسكو رويث خيريلا قد انجرّ وراء مقولات القنصل الفرنسي لويس مرسييه (Louis Mercier) أثناء نشره لكتاب ابن هذيل: «حلية الفرسان وشعار الشجعان» حيث يقول: «أما ابن هذيل فلم أقف على ترجمة له في كتب التراجم والمعاجم بعد البحث الطويل لأنه لم يصل إلى الشهرة قبل صدورها... غير أن كنيته ابن هذيل ذكرت مرارًا عديدة في تراجم علماء الأندلس القدامى قرنًا بعد قرن فتصفحت ذلك، وشاركني بالبحث الشريف السيد محمد بن محمد الحجي الثعالبي نائب الوزير الصدر للمعارف لدى الحضرة الشريفية صاحب الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي أجزل

الله ثوابه، فلم نجد من يحتمل أن يكون جدًا من أجداد مؤلف التحفة والحلية، إلا شيخاً زاهدًا اسمه أبو الحسن بن هذيل ذكره صاحب التكملة للصلة بأنه لم يزل بقيد الحياة في أواخر القرن السادس الهجري، وهو بلنسي الأصل كان صاحب الصلاة والخطبة بمسجد لورقا وأجاز لعدة من مشاهير علماء ذلك القرن، منهم القاضي عياض، كما قرأ عليه القراءات السبع جملة من الزهاد وأحدثهم... الغافقي، (٥٤٠هـ/ ١١٤٦م). نعم وقفنا أيضاً على اسم ذلك الشيخ في رحلة للفقيه أبي البقاء خالد بن عيسى بن أحمد البلوي، الموسومة : بـ «تاج المفرق في تحلية علماء المشرق» حيث ذكر الشيخ أبا الحسن علي بن محمد بن علي بن هذيل البلنسي من جملة من كان أسند عليهم الشيخ أبو عبدالله بن برال التونسي في القرن السابع. فيحتمل أن حفدة الشيخ ابن هذيل هذا كانوا من جملة المسلمين الذين أخرجهم ملك الإسبان دون خايمة من بلنسية ٧٥٠هـ١٢٣٣/م والتجؤوا غالباً إلى إيالة غرناطة حتى ازداد منهم مؤلف التحفة، وهو أبو الحسن علي بن عبدالرحمن بن هذيل بن محمد بن هذيل الأندلسي الغرناطي، ينتسب إلى قبيلة الفزارة . كما يؤخذ من تأليف آخر أيضًا اسمه «عين الأدب والسياسة وزين الحسب والرياسة» ومن تأليف آخر له في البيطرة، اسمه «كتاب الفوائد [ويسمى بكتاب الأبواب] المسطرة في علم البيطرة» أشار إليه من غير ذكر عنوانه الحقيقي ابن جزي وعثر عليه المستشرق كولان في مكتبة الآثار التاريخية بمدريد» (ص:ب)فهذا النص الذي أورده لويس مرسييه عام ١٩٢٢ نجد المستشرق الإسباني فرانثيسكو رويث خيريلا يكرره بحذافيره في أطروحته، (ص٩) المقدمة لجامعة مدريد المركزية عام ١٩٩١ .

كما يذكر المقري أيضًا شخصية يحيى ابن هذيل أبي بكر الشاعر الكفيف وهو يحيى بن هذيل التميمي أستاذ الشاعر الرمادي القرطبي الذي ورد ذكره في معظم المصادر الأندلسية كجذوة المقتبس للحميدي، (ص٣٥٨)، وبغية الملتمس للضبي، (ترجمة رقم١٤٩٥)، وغيرها من المصادر.

كما يذكر المقري أن أبا الحسن بن هذيل من غرناطة لكنه يقول إنه عاش في القرن السادس الهجري، وأخيرًا ، والأهم من كلِّ ذلك يورد المقري اسم علي بن عبدالرحمن بن هذيل الفزاري صاحب هذا المخطوط قائلاً: وكتب ابن هذيل الفزاري للغني بالله سلطان لسان الدين ابن الخطيب:

ليس يا مولايَ لي من جابرٍ
إذ غدا قلبي من البلوى جُذاذا
غيرُ صكٍّ أحمرٍ تكتب لي
فيه يُمناكَ اعتناءً صحَّ هذا[٩]

وهي الإشارة الوحيدة التي أومأت فيها المصادر – في ما أعتقد ولم يشر إليها الباحثون الذين سبقوني– لعلي ابن هذيل صاحب الحظوة السلطانية والمؤلفات العديدة التي أهدى معظمها لسلاطين بني الأحمر بغرناطة، الأمر الذي يجعلنا في حيرة من أمرنا أمام السكوت المطبق من طرف المصادر الأندلسية عن الإدلاء ولو بالنزر القليل عن بعض تفاصيل حياة هذا الأديب الكبير؟.

ج- كنية ابن هذيل الفزاري في المستدرك من الإحاطة لابن الخطيب:

أما المصادر الأخرى التي توسلنا بها فهي: «الإحاطة في أخبار غرناطة» لابن الخطيب ويتعلق الأمر هذه المرَّة بالنصوص الجديدة المستدركة ، والتي لم تنشر في تحقيق الإحاطة بأجزائها الأربعة، وقد قام بتحقيق هذا المستدرك الأستاذ المغربي عبدالسلام شاقور ونشر في كلية الآداب بتطوان المغرب، عام١٩٨٨ . هذا المستدرك الذي كنا نرجو أن نجد فيه ذكرًا لابن هذيل من طرف ابن الخطيب وذلك لسبب المعاصرة التي جمعت بينهما والمشاركة – ربما– في الخدمة السلطانية، فإننا للأسف الشديد لم نعثر في هذا المستدرك سوى على شخصية عبدالملك بن علي بن هذيل الفزاري وعبدالله أخيه وهو ذكر مكرر كما سبقت الإشارة إليه في الإحاطة[١٠]، وقد ورد ذكر الشخصيتين في المستدرك من الإحاطة[١١] .

أمَّا الجديد في هذا المستدرك، حسب رأينا، فهو ذكر شخصية عبدالملك بن سالم الفزاري من أهل ألبيرة وأصله من قرية لوشة[١٢] وهذه القرية كما نعلم ينتمي إليها لسان الدين ابن الخطيب وهي تقع على مقربة من غرناطة، ويظهر أن شخصية عبدالملك بن سالم الفزاري الذي قطن ألبيرة، وهي غرناطة القديمة، يؤكد تواصل وجود هذه العائلة بغرناطة منذ عصر الطوائف وهو ما يمكن أن نخرج منه بخلاصة مفادها أن هذه العائلة الفزارية هو بربرية الأصل وكانت لها مكانة وجاه أيام الدولة الزيرية البربرية، وربما أصل منبتهم هو قرية لوشة التي تجمع بينهم وبين أسرة ابن الخطيب التي -ربما- يكون لبعض الحزازات العائلية في تكهننا ما جعل ابن الخطيب يغض طرفه عن ذكرهم بالتفصيل وعن التعريج بالذكر المطول لأحد أحفاد هذه الأسرة ألا وهو علي بن عبدالرحمن بن هذيل صاحب مخطوطنا هذا «فكاهات الأسمار ومذهبات الأخبار والأشعار»، وإلا فليس من المعقول أن يتجاهل ابن الخطيب كلِّية أحد خدَّام الدار السلطانية التي جاءت معظم مؤلفاته كإهداء إلى سلاطينها.

أما الملاحظة الأخرى التي تجدر الإشارة إليها في هذا الصدد فهي تتعلق بابن الخطيب الذي درجت مؤلفاته التي اعتنى فيها بترجمة الشخصيات، سواء في الإحاطة أو الكتيبة الكامنة أو غيرهما على ذكر كل من له علاقة بمملكة غرناطة وحتى الوافدين عليها، من دون إقصاء أو تجاهل، بل وصلت الدرجة به، وهذا أمر ملفت للانتباه، أن يتجاسر على إعادة النظر، حتى، في بعض ترجمات الشخصيات التي كانت تربطه معهم علاقة وصداقة بحيث أسدى إليها من الثناء ما يفوق التصور، لكنه بعد تعكُّر صفو هذه العلاقات نجده لا يرى حرجًا من إعادة النظر في مقولاته ولو أدَّى به الأمر إلى مُناقضة كل ما ورد من ثناء عليها أيام صفاء المودة، وأذكر هنا على سبيل المثال مقولاته في القاضي أبي الحسن النباهي، صاحب «كتاب المرقبة العليا» والذي ترجم له في الإحاطة قائلاً عنه: «هذا الفاضل قريع بيت مجادة وجلالة، وبقية تعين وأصالة، عفّ النشأة، طاهر الثوب، مؤثر للوقار والحشمة، بريء

من النوك والغفلة... حافظ مقيد طُلَعَة إخباري، قائم على تاريخ بلده... استفدت منه في هذا الغرض وغيره كثيرًا... حسن الخط، ناظم ناثر، نثره يشف على نظمه... استظهر محفوظات منها النوادر للقالي، وناهيك به محفوظًا مهجورًا... نشأ ببلده حُرَّ الطعمة، فاضل الأبوة، وقرأ بها، ثم ولي القضاء بملمّاس ثم ببلش وعلمها. فسيح الخطة، مطلق الجراية، بعيد المدى في باب النزاهة، ماضيًا غير هيوب...»(١٣) لكن لما ساءت العلاقة بينهما صبّ عليه ابن الخطيب جام غضبه في كتابه «الكتيبة الكامنة(١٤)» ونعته بأبخس النعوت مبتكرًا له اسمًا غريبًا وفريدًا من نوعه هو «الجعسوس»، وحاشدًا كل قدراته البلاغية والبيانية للحطِّ من مكانته، موظفًا الأساليب العربية المقذعة في الهجاء والتشهير والتعريض كما عرفت في النقائض وتهكمات الجاحظ، إذ نعته بعديم الأصل الشريف وابن مُولِّد الحمير ومولدة الأولاد،ثم لما ترعرع –أي النباهي– وشبّ عن الطوق كما يشبّ عود السدر تحت القدر امتهن حرفة الحروز وتخريج الكنوز بذبح العنوز، ثم يذكر في رسالة أن النباهي كان يقول لغيره لماذا تنكرون علي كلمة الجعسوس؟ أو ليست من كلام العرب ، بل من ألفاظ القرآن؟! فقيل له من كلام العرب ربما هذا، لكن من ألفاظ القرآن...! فيرد عليهم ألم تقرؤوا قوله تعالى: «لا تجعسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً» فقيل له بلى بل قال: ولا تجسسوا... ويخلص ابن الخطيب من هذا التعريض الجارح ليذكّر بأنه ألف فيه رسالة تحمل عنوان: «تنبيه الساهي على طرف النباهي»(١٥) وهي رسالة في عداد المفقود حاليًا.

ومن الذين غضب عليهم ابن الخطيب كذلك، وغيّر رأيه فيهم دون حرج، الشيخ الكاتب محمد بن أحمد بن قطبة الدوسي حيث نعته بأبشع النعوت كالزنى والتشدق بتعاطيه الزنى مع نساء الإخوان(١٦).. كما صبّ جام غضبه على أستاذه وشيخه أبي البركات البلفيقي الذي كثيرًا ما أغدق عليه الثناء في الإحاطة أو الكتيبة قائلاً : «وله في الآداب عليا الدرجات، والأفواه المتأرجات، والبدائع التي سارت مسيرة الشمس في

الأقطار وتغنَّى بها راكب الفلك وحادي القطار» ، ثم يضيف ما هو أكثر في ختام ترجمته له في الكتيبة قائلاً: «ولو لم يكن في هذه الطبقة الجليلة إلا هذا الرجل لكان كافيًا رحمة الله تعالى»[١٧] لكن بمجرد أن قبل شيخه هذا الخدمة مع السلطان محمد السادس المعروف بالبرمخو (الأشقر) والذي سطا على ملك إسماعيل الثاني ليبعد محمد الخامس الملقب بالغني بالله سلطان ابن الخطيب ويبسط نفوذه على غرناطة ما بين (١٣٦٠-١٣٦٢م) مجليًا محمد الخامس وبطانته، التي من بينها ابن الخطيب، إلى المغرب عند المرينيين، نجد ابن الخطيب في كتابه: «نفاضة الجراب في علالة الاغتراب» يوفي هذا السلطان حقه من الشتم والتحقير من مقامه إلى درجة جعل منه إمام السوقية. ولما تعرَّض للذين قبلوا الخدمة معه نجده يقول في حقهم: «استوزر الوزير المشؤوم ممدد في الغي، الوغد، الجهول، المرتاش من السرقة، الحقود على عباد الله، لغير علَّة عن سوء العاقبة، المخالف في الأدب سنن الشريعة، البعيد عن الخير بالعادة والطبيعة، دودة القز، وبغل طاحونة الغدر، وزقّ القطران محمد بن إبراهيم بن أبي الفتح الفهري» ثم يضيف قائلاً واستكتب: «صاحبنا الفقيه الأهوج، قصب الريح، وشجرة الخور، وصوت الصدى، أبو محمد عبدالحق بن عطية» أما قضاته فيقول ابن الخطيب في حقِّ أحدهم: «شيخنا أبو البركات، قيس ليلى القضاة، المخدوع بزخرف الدنيا على الكِبرة والعناء ، لطف الله به وألهمه رشده»[١٨] .

أما عمّ السلطان محمد بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن نصر الرئيس المتوثب على الملك محيي كرسي الإمارة وعاقد صفقة الخسران المبين، كان شيطانًا ذميم الخلق، حرفوشًا على عرف المشارقة، متراميًا للخسائس، مألفًا للدعرة والأجلاف والسوار وأولي الريب، خبيثًا كثير النكر، منغمسًا في العهن، كلفًا بالأحداث، متقلبًا عليهم في الطرق، خليع الرسن، ساقط الحشمة، كثير التبذل، قواد عصبة كلاب...» إلى آخر ذلك من الشتم

الغليظ والتعريض القبيح الفاضح، ولم يسلم من سورة غضب ابن الخطيب حتى تلميذه الشهير ابن زمرك شاعر الحمراء، الذي نعته هو الآخر بالذمامة البائسة... خلقه، لولا الخبث، والغدر جميله...إلخ»(١٩).

ونخلص بعد كل هذا الاستطراد إلى القول إنه لو افترضنا أن علي ابن هذيل صاحبنا ممن حظي -ربما- بخدمة هذا السلطان المغضوب عليه من طرف ابن الخطيب لكان يمكن اعتبار تجاهله من ابن الخطيب أمر مسوغ، لكن المصادر لم تذكر لنا أن ابن هذيل كان ممن شارك في خدمة سلاطين بني الأحمر. وإذا عدنا إلى موقف ابن الخطيب ومن ترجم لهم وأثنى عليهم ثم نقض مقولاته يجعلنا نخمّن في تجاهل ابن الخطيب لذكر ابن هذيل فيه أكثر من سبب، وإلا فكيف يتجاهل أمر كاتب يعاصره ويعايشه وتصل منزلته إلى تقديم مؤلفاته إلى السلاطين الذين خدمهم ابن الخطيب كوزير، ثم يحجم هذا الأخير عن ذكره،وكأنه غير موجود؟ لا شك أن في الأمر مدعاة للحيرة والتندُّر...!

أما ثاني هذه الملاحظات فهو ما يمكن أن نسجله على الطرف الآخر، أي ابن هذيل ذاته، هذا الكاتب الذي لم يترك مشرقيًا أو مغربيًا أو أندلسيًا في عالم الأدب والفكاهة إلا وذكر طُرفة من لطائفه أو مُذْهبة من أقواله نجده – بدوره – يحجم إحجامًا قطعيًا عن ذكر ابن الخطيب في مؤلفاته السابقة، وفي مؤلفه المكتشف من طرفنا هذا، كما يحجم كذلك عن ذكر الشاعر ابن زمرك المعاصر له، والذي كان من أبرز وجوه الدولة النصرية في ديوان الإنشاء، ويكتفي في المقابل بذكر أساتذتهما من أمثال ابن الجيَّاب، وأبي البركات البلفيقي وصديقهما الشاعر ابن خاتمة الأنصاري والشريف الغرناطي ...!؟ إنها حزازات في رأينا عميقة تفصل بين الطرفين المتعاصرين والتي جعلت كلاً منهما على سبيل المثال، وكأنه يتقنّع بمقولة «المعاصرة حجاب»، فقد ذكر ابن الخطيب على سبيل المثال في ترجمته عددًا كبيرًا من معاصريه، بل حتى من هم دونه منزلة، وكذا فعل ابن هذيل في كتابه هذا «فكاهات الأسمار ومذهبات الأخبار والأشعار» فلماذا يا ترى نجد ابن الخطيب يعرّج، ولو باختصار، على ذكر من لهم صلة لزيقة بنسب ابن هذيل أيام الدولة الزيرية، وحتى أيام

مملكة غرناطة، كما فعل مع علي بن هذيل الفزاري[٢٠] ولا يتعرض، ولو بالتلميح، إلى علي ابن هذيل صاحبنا، الأمر الذي جعل المقري التلمساني الذي استمد جل بضاعته الأدبية من مؤلفات ابن الخطيب لا يجد ما يساعده على ذكر نسب ومكانة علي بن هذيل حين تعرض له بالذكر في النفح[٢١] حيث نجده يقدمه بكلام مقتضب جدًا ، مع ذكر بيتين من الشعر وجههما ابن هذيل – كما يقول – لسلطان ابن الخطيب الغني بالله الذي حكم مملكة غرناطة في مرحلتين ،الأولى ما بين (١٣٥٤–١٣٥٩م) ثم خُلع وباشر الثانية إلى غاية وفاته ما بين (١٣٦٢–١٣٩١م)، حيث يبدو من محتوى البيتين إحساس بنبرة الضراعة أطلقها ابن هذيل، ومما لا شك فيه أن المقري يكون قد اطلع على بيتي ابن هذيل من كتاب: «فكاهات الأسمار ومذهبات الأخبار والأشعار» اللذين ورد ذكرهما في مخطوط بومنجل حمادي والذي سنرمز له (ب.ح)، ص٨٧، ولا وجود لذكرهما في موضع آخر، حيث يقول: وكتبت أنا – أي علي ابن هذيل – لمولانا أمير المسلمين الغني بالله محمد بن يوسف بن نصر قدس الله روحه وبرد ضريحه:

ليس يا مولايَ لي من جابرٍ
إذ غدا قلبي من البلوى جُذاذا
غيرُ صَكٍّ أحمرٍ تكتب لي
فيه يُمناكَ اعتناءً: صحَّ هذا

فمن خلال تدبرنا في المحتوى الذي قدم به ابن هذيل للبيتين نستشف منه أن هذين البيتين رفعهما ابن هذيل إلى الغني بالله الذي حكم على مرحلتين كما ذكرنا سابقًا، إلى غاية ١٣٩١م، ولا ندري بالضبط في أيهما قدم ابن هذيل البيتين للسلطان محمد الغني بالله؟ لكن الجديد الذي نستشفه هو أن هذين البيتين دُوِّنا في مؤلف ابن هذيل الجديد فكاهات الأسمار بُعيد وفاة السلطان محمد الغني بالله لأنه ترحم على روحه بعبارات:«قدس الله روحه وبرد ضريحه» مما يدل أن تأليف هذا الكتاب كان بعد تاريخ وفاة محمد الغني بالله عام ١٣٩١م، أو أن التمام من إنجازه كان بُعيد هذا التاريخ وإلا

فليس من المعقول أن يكون قد ألفه أيام محمد الغني بالله ويحمل عبارات كالتي ذكرنا، والتي فيها الترحم على السلطان محمد الخامس، اللهم إلا إذا كان مشروع الكتاب قيد الصياغة منذ أيام محمد الغني بالله، ولما أدرك الموت هذا الأخير تغمَّد ابن هذيل على روحه بعبارات الرحمة والمغفرة.

والملاحظة الأخرى ،والأهم ربما ،لتحديد تاريخ صياغة هذا الكتاب أو تأليفه هو أن المهدى له، لم يُعمِّر طويلاً في الحكم، فيوسف الثاني ملك غرناطة الملقب بالمستغني بالله حكم ما بين ١٣٩١-١٣٩٢م أي سنة ونيِّف، فهل يمكن اعتبار أن ابن هذيل، وما في ذلك شك، قد بلغ النضج وصار لا يبالي بمقولة الجاحظ الناصحة بالتريث يُقدم على تأليف كتاب من هذا الحجم في مدَّة لا تتجاوز السنة ليتقرب به إلى السلطان الجديد...؟ من الجائز أن يكون ذلك، وربما هي فرصة جعلت ابن هذيل ينعم بها بعد اختفاء هرم كبير في السلطة كابن الخطيب، الذي ثبت ما يشبه سوء العلاقة بين الرجلين، وبالتالي كان حاجزًا منيعًا في وجه ابن هذيل، وأمثاله من المغضوب عليهم من طرفه، وهو ما توضحه -إلى حد ما- تضرعات ابن هذيل في البيتين والتي ظهر فيهما وكأني به يستعطف سلطان ابن الخطيب محمد الخامس قائلاً له فيما معناه: إلى متى لا تجبر من حالي وقد صار قلبي من البلوى جذاذًا... فأي بلوى يا ترى؟ ألا يمكن أن تكون محاولة ابن الخطيب دون وصول ابن هذيل إلى مبتغاه؟ أو ربما ابن زمرك صاحب ديوان الإنشاء فيما بعد، وخليفة ابن الخطيب في المكانة، والذي هو بدوره مُقصى من مؤلف ابن هذيل الجديد؟ أسئلة كثيرة ستظل عالقة في غياب اكتشاف نصوص جديدة يمكن أن توضح المعمَّى من حياة ابن هذيل...

د- كنية ابن هذيل الفزاري في كتاب الذيل والتكملة للمراكشي:

لقد ورد في الذيل والتكملة(٢٢) ترجمة ذكر فيها: «علي بن محمد بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن الضحاك الفزاري، غرناطي، أبو الحسن المقرئ، أكثر قراءة وسماعًا على أبي إسحاق بن عبدالعزيز بن أبي تمام، وأبي بكر بن بشر وابن الخلوف وابن طاهر، وابن

العربي، وأبي جعفر البطروجي، وأبي الحجاج الأندي، وأبوي الحسن: شريح وابن موهب، وأبوي عبدالله: ابن خلف بن موسى، وابن عبدالرزاق، وأبي الفضل عياض، وأجازوا له.. وذكر شيوخًا كثرًا وجدهم في (برنامجه) مؤلفه من بينهم أبو عبدالله بن الحاج والنُميري(٢٣).. وكان محدثًا نبيلاً حافظًا للتواريخ وطبقات الرواة، وتعديلهم وتجريحهم، مميزًا صحيح الحديث من سقيمه، عني بهذا الشأن طويلاً، ماهرًا في علم الكلام وأصول الفقه، أديبًا، وله مصنفات كثيرة في الحديث وتواريخه والكلام منها: :شرح إرشاد أبي المعالي (وسمه بمنهاج السداد في شرح الإرشاد) وله في أصول الفقه (وسمه بمدارك الحقائق) (انظر: صلة الصلة، ص٩٥، الديباج، ص٢١٠)، وأجوبة عن مسائل اقتضى منه الجواب عنها، وردٌّ على مقالات في أنواع شتى، ظهر في ذلك كله إدراكه، وحسن نظره وكتب بخطه كثيرًا... مولده آخر جمادى سنة٥٠٩هـ وتوفي سنة٥٥٢هـ». في حين أن ابن الزبير قال: «توفي في الكائنة بغرناطة سنة ٥٥٧هـ في جملة من خرج من غرناطة يريد وادي آش»، أما في الديباج فيقول: توفي سنة ٥٥٣هـ. هذا الرجل في رأينا نراه تربط بينه وبين ابن هذيل أكثر من صلة ككنية الفزاري، وإقامته بغرناطة مع حمله للتسلسل الاسمي المشابه لتسلسل الاسم الذي يحمله علي بن عبدالرحمن بن هذيل الغرناطي تقريبًا.

إذن فحياة أديبنا علي ابن هذيل لا يزال يعتريها الكثير من الغموض، رغم تأكيد ابن هذيل الصريح في كتابه «عين الأدب والسياسة وزين الحسب والرياسة» بأنه فزاري وذلك حين أورد قول بشر بن هذيل الفزاري قائلاً: «هو أحد قومنا»(٢٤).. يبقى ابن هذيل ، بعد كلِّ هذا ،كما قال الدكتور علي مكي: «كاتب لا نكاد نعرف عنه شيئًا على الرغم من الكثرة النسبية لما وصل إلينا من آثاره، وكتبه تدل حقًا على مستوى رفيع من الثقافة والعلم» لكن ما نعجب منه هو من أين استقى الدكتور علي مكي أن ابن هذيل كان معاصراً لابن السمَّاك صاحب كتاب «الزهرات المنثورة»، بل زميلاً له في العمل بديوان الإنشاء للسلطان محمد الغني بالله(؟)(٢٥) لأننا لما عدنا إلى كتَّاب الإنشاء في ديوان محمد الخامس الغني

بالله لم نعثر على اسمه ضمن رجالات ديوان الإنشاء، وزيادة على ذلك، فإن البيتين المنسوبين لابن هذيل، والموجهين إلى الغني بالله يحملان كثيراً من الضراعة والتوسل لهذا الأخير، نظراً لما كان يعانيه ابن هذيل من حاجة وفاقة، كما أنني لا أدري من أين استقى المستشرق الفرنسي والقنصل لويس مرسييه البحَّاثة في آثار ابن هذيل ومكتشفه الأول في أوروبا منذ سنة ١٩٢٢، احتمال تاريخ ازدياده(*) الذي رجَّح بالتقريب أن يكون في حدود ٧٢٨-٧٢٩هـ١٣٢٩/م؛ أي أيام السلطان محمد الرابع الذي حكم ما بين (١٣٢٥-١٣٣٣م) ومما لا شك فيه أن علي بن هذيل قد ترعرع في كنف أيام السلطان أبي الحجاج يوسف الأول الذي حكم ما بين (١٣٣٣-١٣٥٤م) وهي الفترة التي شهدت أزهى مراحل الدولة النصرية وعرفت بروز جملة من الأدباء الذين تحلَّقوا حول رائد هذا الجيل الشيخ أبي الحسن بن الجيَّاب، أستاذ الجيل كما يسميه ابن الخطيب. فهذه المرحلة الغنية من تاريخ مملكة غرناطة شهدت كذلك تدشين المدرسة النصرية أو اليوسفية، وعرفت ازدهاراً أدبياً قل نظيره في المراحل التالية، وبرزت فيها أسماء لامعة في عالم الأدب كابن الخطيب وابن جُزي الكلبي، والشريف الغرناطي، وابن الحكيم، وابن رضوان، وابن شبرين، وأبو البركات البلفيقي، وابن خاتمة الأنصاري، وابن خميس التلمساني، ويحيى بن هذيل الطبيب الشاعر، وغيرهم من الأسماء التي حفلت بها كتب التراجم، وهو ما يدل على إتاحة فرصة نادرة للتكوين بالنسبة لعلي بن هذيل وأمثاله، وهي مرحلة لم تشهدها مملكة غرناطة في بداية نشأتها ولا في أخريات أيامها. فإذا أردنا تحديداً لفترة ازدهار هذه المملكة فإننا دون شك نحددها بظهور السلطان إسماعيل الأول الملقب بأبي الوليد والذي حكم ما بين (١٣١٤-١٣٢٥م)... إلى غاية محمد بن يوسف بن محمد (السابع) والملقب بالمستعين بالله الذي حكم ما بين (١٣٩٢-١٤٠٨م) فبعد هذه الفترة تدخل إمارة غرناطة في مرحلة اللااستقرار وتتكاثف عليها الأحداث من الداخل والخارج، ويظهر العدو الإسباني المسيحي إصراره على المُضيِّ قُدُماً في حروبه الاستردادية.

(*) ولادته

لذا يمكن اعتبار الأديب علي ابن هذيل من الجيل الثالث الذي ورث علوم طُلاَّب الجيل الأول من أمثال ابن الخطيب وابن خاتمة وابن جُزي الكلبي والشريف الغرناطي... وهو الجيل الذي يمثل مملكة غرناطة خير تمثيل معرفي وثقافي إذ عرف فيها الأدب أزهى أيامه وخاصة على عهد كلٍّ من أبي الحجاج يوسف الأول وابنه محد الخامس الغني بالله فهما -إن جاز لنا التعبير- واسطة عقد هذه المملكة حيث شهدت معهما الإمارة أروع الإنجازات العلمية والمعمارية التي يأتي في طليعتها قصر الحمراء وجنَّة العريف، والمدرسة اليوسفية، والمارستان،والزاوية، والجسور والمنتزهات الجميلة في غرناطة وضواحيها، ويكفي للاطلاع على هذه الإنجازات الضخمة قراءة مؤلفات ابن الخطيب ومعاصريه التي تدل على تماسك الإمارة واستقرار أجهزتها، وحتى الأحداث التي عصفت لفترة قصيرة بهذا الاستقرار أيام محمد الغني بالله نجد أنه سرعان ما تمَّ تداركها ومعالجة مسبباتها،وهو ما مكَّن لهذا السلطان من العودة للتحكم في زمام الأمور بيد من حديد،وسياسة راشدة ،ولعل-هناك- في ما أنجزه كل من المستشرقة الدكتورة ماري خيسوس روبيرا ماطا في أطروحتها المقدمة إلى الجامعة المركزية بمدريد في شهر مارس ١٩٧٢ حول ديوان ابن الجياب، والتي نشرتها تحت عنوان: Maria Jesus Rubiera Mata: Ibn AL Yayyab EL Otro poeta de la Alhambra, ed. patronato de la Alhambra. I.Hispno-Arabe.Granada.1982 حيث نجدها تخصص من ص١٧إلى ص٢٥ لحياة ابن الجياب وما بين ص١٤٥ و١٨٦ تورد بعض الأشعار بالعربية لابن الجياب، كما قدمت دراسات أخرى عديدة كرستها لهذه الإمارة وأعلامها، وكذا ما قدمه الدكتور شبانة محمد كمال من دراسة حول: «يوسف الأول الأحمر سلطان غرناطة» والتي نشرت في القاهرة سنة ١٩٦٩، وكذا الدكتور محمد محمود الصوفي في أطروحته: «مظاهر الحضارة في مملكة غرناطة» المقدمة إلى جامعة الإسكندرية عام١٩٧٨، وكذا دراسة الدكتور أحمد مختار العبادي: «مملكة غرناطة على عهد محمد الخامس» والمنشورة بالإسبانية في المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد عام ١٩٧٣، وكذا أطروحة المستشرقة الفرنسية راشيل آرييه

L'Espagne Rachel Arié Musulman au temps des Nasrides,1232-1492, Paris.1973

وكذا دراسة المستشرق الكبير أستاذنا إيميليو غارسيا غومس: «ابن زمرك شاعر الحمراء» والمنشورة عام ١٩٧٥، وكذا دراسات المستشرقة الإسبانية Solidad Gibert Fenech حول ديوان ابن خاتمة وأبي البركات البلفيقي، وكذا دراسة المستشرق الإسباني لويس سيكو دي لوثينا: «محمد التاسع سلطان غرناطة» والمنشورة عام ١٩٧٨وغيرها من الدراسات.

كل هذه البحوث وغيرها تكشف المكانة الثقافية التي بلغتها مملكة بني الأحمر التي عاش في ظلها علي بن هذيل والذي حدد القنصل لويس مرسييه تاريخ ميلاده بعام ١٣٢٩م والذي يكون قد طال به العمر إلى ما بعد تاريخ وفاة يوسف الثاني المستعين بالله عام ١٣٩٢م الذي أهدى له كتابه هذا «فكاهات الأسمار ومذهبات الأخبار والأشعار» والذي من خلاله استطعنا أن نعرف بعض شيوخ علي بن هذيل، كما استطعنا أن نعرف شيئاً يسيراً عن أسرته.

٢- ثقافة علي ابن هذيل الفزاري:

ليس في وسع الباحث رسم مسيرة تعليمية واضحة لعلي ابن هذيل وذلك لانعدام ترجمة لحياته، ولو يسيرة، لكن ما استطعنا استخلاصه بعد تنقيب مضنٍ في المصادر فإننا وجدناه يذكر في كتابه «حلية الفرسان» أن من بين شيوخه القاضي الشريف أبي القاسم الغرناطي (٦٩٧-٧٦٠هـ)[٢٦] والذي يعتبر من الوجوه الثقافية البارزة قي مملكة غرناطة، وقد خصه ابن الخطيب بصفحات طوال في إحاطته، وكذا في الكتيبة الكامنة، حيث يقول هذا الأخير في حق هذا الشيخ إنه دخل غرناطة أيام خامس ملوكها من بني نصر، أي أيام السلطان إسماعيل الأول الملقب بأبي الوليد والذي حكم كما نعرف ما بين (١٣١٤-١٣٢٥م) ومن المحتمل أن يكون وصول الشريف الغرناطي من مسقط رأسه سبتة في أخريات أيام هذا السلطان، وقد بلغ من العمر٢٧ سنة على أكثر تقدير، وبمجرد وصوله -كما يقول ابن الخطيب دائماً- انخرط في سلك كتاب الإنشاء، ثم قُلّد الكتابة والقضاء والخطابة... فهذا الأستاذ المتمكن من بضاعته المعرفية، هو من شيوخ علي بن هذيل. ويكشف لنا ابن هذيل في مخطوطه الجديد عن شيخ آخر من شيوخه قائلاً: «أنشدني

الوزير العدل أبو جعفر الجيَّاني وأنا أقرأ عليه علم العدد»، وقد نعته بالوزير العدل لكننا لما عدنا إلى وزراء سلاطين بني نصر ابتداء بأبي الوليد ومروراً بأبي الحجاج ووصولاً إلى محمد الغني بالله لم نجد ضمن وزرائهم أو كتابهم أو قضاتهم من يحمل مثل هذا الاسم.

ومن المحتمل أيضاً أن يكون ابن هذيل قد تلقى تعليمه في غرناطة على يد شيوخ الشاعر ابن زمرك ،والذي كما نعرف هو من مواليد٧٣٣هـ[٢٧] فهو يتقارب معه في السن، فنجد من شيوخ هذا الأخير على سبيل المثال شيخهما المشترك القاضي الشريف الحسني إمام الفنون اللسانية وكذلك أبو القاسم محمد بن أحمد الحسيني، و شيخ العربية أبي عبدالله ابن الفخَّار، كما أنه من المحتمل أن يكون قد تلقَّى علوم الفقه والعربية على يد شيخ ابن زمرك أيضاً أبي سعيد ابن لُب، وأبي عبدالله بن مرزوق، وأبي علي منصور الزواوي، والقاضي أبي البركات البلفيقي، والمحدث أبي الحسن بن التلمساني، والخطيب أبي عبدالله اللُّوشي، والمقرئ أبي عبدالله بن بيبش... كل هؤلاء الأعلام كانوا محلَّ تقدير وثناء من طرف ابن الخطيب، وبالتالي فليس من المستغرب أن تنعكس تلك الثقافة التراثية المتينة على أديبنا علي ابن هذيل، وتنعكس كذلك في مؤلفاته التي أشاد بها كل من المستشرق الفرنسي لويس مرسييه والبحَّاثة القدير الدكتور علي مكي، حين قال وهو بصدد الحديث عن ابن هذيل: «وكتبه تدل حقاً على مستوى رفيع من الثقافة والعلم»[٢٨] أمَّا لويس مرسييه فإنه يقول إن ابن هذيل قد تعاطى بالأخص علم الأخلاق، ولا يكذبنا أحد إذا قلنا على وجه الإجمال إنه كان يعتني بكل ما فيه عبرة لمن يعتبر وهدي لمن يهتدي، فزاد على ذلك علوم الخيل والفروسية والبيطرة وحاز فيها قصب السبق، وبها اشتهر في المغرب الأقصى وفي جزيرة الأندلس... وبالإضافة إلى هذا فإننا نجد ابن هذيل في افتتاحية مخطوطه «فكاهات الأسمار...» يكشف عن ولعه المبكر بالأدب والشعر قائلاً: «وإني كنت في عنفوان الشباب وزمان الارتسام في الكُتَّاب... مائلاً إلى درسه وحفظه وتحصيله إلى أن تحصَّل لي منه جملة مقطعات في معانٍ مختلفة، وأغراض منوعات...» وفعلاً فإنه كما نرى لم يدّعِ أنه كان شاعراً أو من فرسان الشعر المُبرِّزين بل اعترف

بنظمه لبعض المُقطَّعات، وإن شئت الأبيات وهو ما نجد بعضها متناثراً في ثنايا كتابه هذا الموسوم بفكاهات الأسمار، كأن يقول مثلاً وممًا نظمته: (ص١١٠)

سحرَ الورى هذا الرشا بجفونهِ
وتَحيَّرتْ في حُسنه الألبابُ
فإذا نظرتَ جفونَه ووعودَه
بالوصل قلتَ الساحرُ الكذّابُ

أو كأن يقول أيضاً ومما نظمته: (ص٢٠٧)

صاحِ قد هاج غرامي شادنٌ
غَنِجُ الألحاظِ يُدعى المالقي
أصبحَ القلبُ رهيناً عنده
لا تسلْ في حُبِّه عن ما لقي

ويقول أيضاً في معرض هذا الكتاب: «وكتبت أنا لمولانا أمير المسلمين الغني بالله محمد بن يوسف بن نصر قدَّس الله روحه وبرَّد ضريحه: (ص٢٨٩)

ليس يا مولايَ لي من جابرٍ
إذ غدا قلبي من البلوى جُذاذا
غيرُ صكٍّ أحمرٍ تكتب لي
فيه يُمناكَ اعتناءً صحَّ هذا

أو يقول في باب التضمين مجارياً العبَّاس بن الأحنف الشاعر العباسي العاشق وبعض المتأخرين من الأندلسيين: (ص٢٩١)

غزالٌ على العشّاق باللحظ قد سطا
وقطّعَ أفلاذَ القلوبِ بجَوْرهِ
فمن لم يمتْ من لحظه فبهدبهِ
ومن لم يمت بالسيف مات بغيره

كما يشارك أيضاً مع شيوخه في نظم الألغاز فيقول ملغزاً في العنب: (ص٣٤٠)

مَا والـدٌ أُنثى ومـــــــا	فيهـا له مُشتركُ
بلا تَـزوّجٍ لـــــــــه	عَقْدٌ بـه يستمسك
وبنْتُـهُ لا يَرتضــــــــيـ	ـها أمةً قد نسك[1]
فيـه بيـــاضٌ ســــاطـعٌ	وفيه يُحكى الحلك
وهْـــو إذا قلّبـــــتَــــهُ	مُصَحَّفـاً فمـلـكُ
أو هـو مـا تــــنسبـــــهُ	لأمة قـد أشركوا
وإن تُصـــــحِّفْــه بـــــلا	قَلْبٍ فأُنثى تُدرك
أو هو ما تُحـــيي بــــه النْـ	ـنُفوسَ أوما يُسبك
أو هـــو ما لا يعــــــلـم الـ	إنسانُ لا والملك
أو شـيءُ انْ خـــــشـــيتَهُ	فأنكحْ إذا ما تملك
أو هو وصفُ الحُور فـي الـ	ـكِتاب أو ما يترك
فهاكَـــــهُ في الحُجْبِ مـا	لــه طريقٌ يُسلـك

ويقول أيضًا ملغزًا في الحبق: (ص٣٤٠-٣٤١)

ما اسمُ لريحانٍ إذا	يُغرس مـا لـــــه دوامْ
وهو ثلاثيٌّ صَحيـ	ـحٌ ذو اتصالٍ والتئــام
إذا حذفتَ فـــــاءَه	فرهطُ سودٍ ذو انتقام
وإن حـــذفتَ عينَـه	فهـو إمــــامٌ للأنــــام
وإن حذفتَ لامـــه	مُغَيّرًا فهـــو طعــــام
أو هو شـــــيءٌ يعْترِي	بـه النحـول والسقـــام
إذا تُصــحِّفْ عينَــــه	فليس من شأن الكرام
وإن تُصحِّـــفْ عينَـــه	ولامـه وهو الحِـمــــام

---

(١) هكذا وردت في الأصل.

وقلبُـــه مُصَحَّفًــــــــا	إسـمٌ صريـحٌ لغـــــــلام
وقلبُه من غير تَصْـــــ	ـحيف بتغيير مـــــلام
فَهَاكـــه وإنّـــــــــه	كالـزَّهر فـي طيِّ الكمِـام

بالإضافة إلى هذه الإشارات الموجزة والجديدة من حياة علي ابن هذيل الأندلسي نجده كذلك يلمح في قوله إلى أحد أفراد عائلته قائلاً: «حدثني عمي محمد شقيق والدي رحمهما الله قال: أول يوم جلست في حلقة سيدي الشيخ أبي إسحاق بن أبي العاص للقراءة عليه والأخذ عنه والتبرك به...» فهذه هي مجمل الإشارات الطفيفة التي منّ بها علي بن عبدالرحمن ابن هذيل في حق عائلته التي ستظل مجهولة بالنسبة للباحثين وتنتظر ظهور نصوص جديدة من الممكن أن تساعد على كشف المزيد من تفاصيل حياة ابن هذيل والتي نراها قد توقف البحث عنها منذ عام١٩٢٢ مع البحّاثة القدير القنصل الفرنسي لويس مرسييه..

٣- أعمال ابن هذيل الأدبية:

أجمعت كل مراجع الباحثين الذين اهتموا بآثار علي ابن هذيل بدءًا من المستشرق والقنصل الفرنسي لويس مرسييه عام١٩٢٢ والذي يعتبر من مكتشفي ابن هذيل وأول من أقدم على ترجمة أحد أعماله الموسومة بـ «تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس» حيث حدد هذا الأخير آثار ابن هذيل في المصنفات الثمانية الآتية:

- كتاب كمال البغية والنيل.
- مقالات الأدباء ومناظرات النجباء (يذكر بروكلمان وجود نسخة منه في ملحق المتحف البريطاني تحت رقم ١١٤٤)
- تذكرة من اتقى.(يقول مرسييه في حقِّ هذه الكتب الثلاث أنه لم يبلغ إلينا منها إلا بعض القطع المنقولة في آخر كتب ابن هذيل «عين الأدب والسياسة»).

- تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس (توجد نسخة خطية منه في مكتبة الإسكوريال تحت رقم ١٦٥٢، ونسخة أخرى في المكتبة الوطنية بمدريد تحت رقم٥٠٩٥، وأخرى بمكتبة جامع القرويين، وأخرى بمكتبة الرباط العمومية).

- عين الأدب والسياسة وزين الحسب والرياسة (يقول مرسييه إنه طبع ثلاث مرات في القاهرة عام١٨٨٤ ثم عام١٩٠٠و عام١٩٣٨).

- حلية الفرسان وشعار الشجعان، اعتنى بطبعه بعد إصلاح أهم ما به من أخطاء، بالمقابلة مع النسخة الموجودة بالإسكوريال القنصل الفرنسي لويس مرسييه عام ١٩٢٢ وترجمه إلى الفرنسسية عام ١٩٢٤ بهذا العنوان.

Aly Ben Abderrahman Ben Hodeil Al- Andalusy: La Parure des Cavaliers et l'Ensigne des Preux, trad Francaise par Louis Mercier Consul de France . Librairie Orientaliste Paul Genthner. Paris,1924.

- كتاب الفوائد المسطرة في علم البيطرة، طبع بمدريد عام١٩٣٥ (وتوجد منه نسخة فريدة في مكتبة الأكاديمية الملكية للتاريخ بمدريد).

يذكر القنصل مرسييه أنه وقع في خطإ حين حاول تحديد تاريخ لكتاب: «تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس» معتقدًا أن ابن هذيل كان قد أهداه إلى السلطان محمد السادس المعروف بكنية البرمخو (الأشقر) والذي حكم كما نعرف ما بين ١٣٦٠-١٣٦٢م لكنه تدارك وقال إن المقصود بالإهداء هو محمد الغني بالله (أو محمد الخامس) وذلك في مفتتح عودته إلى الحكم في المرحلة الثانيةعام ١٣٦٣م . أما محمد السابع المستعين بالله فهو حفيد محمد الخامس الغني بالله الذي خلف والده يوسف الثاني على العرش وحكم ما بين ١٣٩٢م إلى غاية ١٤٠٨م والمعروف بلقب المستعين بالله وهو المعني بالإهداء الثاني الذي قدمه ابن هذيل للسلطان النصري، فإنه كما يقول في مفتتح «حلية الفرسان وشعار الشجعان»: «إلى أمير المسلمين المستعين بالله أبو (أبي) عبدالله محمد بن مولانا الهمام

الأوحد، الأشرف الأمجد، المثيل الخطير، الشهير الكبير، الكريم المآثر، السامي المفاخر، أمير المسلمين المستعين بالله، المجاهد في سبيل الله، المقدس المرحوم أبي الحجاج يوسف ابن مولانا الإمام الخليفة الأعظم والملجأ الأعصم، ظل الله الممدود على عباده، وسيفه المسلول في سبيل جهاده، وستر الله المسدول على بلاده، ناصر الأمة، وغياث الرحمة، ذو (ذي) الجهاد المقبول، والغزوات الشهيرة، الحسن السيرة، الغني بالله أبي عبدالله محمد بن أبي الحجاج يوسف بن أبي الوليد إسماعيل بن نصر...»[٢٩] والذي يعتبره لويس مرسييه كما جاء في الافتتاحية بمثابة مختصر من كتابه: «تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس» وبالتالي عمد ابن هذيل كما يقول مرسييه إلى وراق وعين له الفصول التي يجب حذفها والفصول التي يجب إبقاؤها... ومن هناك يتصور هذا الباحث أن كتاب حلية الفرسان يمكن أن يكون قُدِّم كهدية للسطان الجديد عام ١٣٩٢م تاريخ اعتلائه للعرش، وبالتالي يكون ابن هذيل قد بادر بتقديمه كهدية للسلطان الجديد، دون أن ينسى مرسييه التذكير بأن كتاب التحفة الذي هو أصل كتاب حلية الفرسان كان بدوره هدية قدمت من طرف ابن هذيل للسلطان محمد الخامس عام١٣٦٢م، أي السنة التي استرجع فيها سلطته بعد عزله من طرف غريمه محمد السادس المعروف بالبرمخو. كما يعتبر مرسييه سنة٨٠١هـ١٣٩٩/م هو تاريخ آخر عهد لابن هذيل بالكتابة معتمدًا في تكهنه على نص لابن هذيل أورده في آخر كتابه «عين الأدب والسياسة» (مرسييه، ص١١) من هنا يستنتج أن ابن هذيل قد شارف على السبعين من عمره ومن المحتمل أن تكون هديته الأولى إلى محمد الخامس، والتي كانت عام ١٣٦٢م يكون قد قدمها وهو في الثلاثين من عمره وبالتالي يحتمل أن تكون ولادته ما بين (١٣٢٨ أو ١٣٢٩م/ ٧٢٨-٧٢٩هـ) ثم يضيف مرسييه استدلالاً آخر معتمدًا هذه المرة على رحلة البلوي والذي ترجم له ابن الخطيب كما نعرف في الكتيبة الكامنة[٣٠] حيث ذكره باسم: «القاضي أبو زيد خالد بن عيسى بن أحمد القتوري البلوي الذي غادر الأندلس يوم السبت ١٨صفر٧٣٠هـ قاصدًا الحج» في حين يذكر مرسييه في حديثه عن البلوي أنه باشر رحلته إلى الحج عام٧٣٦هـ١٣٣٥/م ويعود عام ٧٤٠هـ١٣٣٩/م وتاريخ مرسييه هنا لا يتفق مع ما ذكره ابن الخطيب. أما سبب ذكر

مرسييه لرحلة البلوي فلكون هذا الأخير كان قد أشار في رحلته إلى أحد الأسماء المعروفة باسم ابن هذيل أبي الحسن من ضمن رجالات القرن السادس الهجري وكان من سكان بلنسية ويحتمل أن يكون علي بن هذيل من أحفاده الُمهجَّرِين من بلنسية ساعة احتلالها من طرف دون خايمي دي أراغون حوالي١٢٥٣م .لكن ابن هذيل هذا، وكما سبق وأن ذكرنا لا يحمل كنية الفزاري، ويبقى الاحتمال الأقرب إلى أصول علي ابن هذيل هم أولئك الذين ذكرهم ابن الخطيب وأعلن نسبتهم إلى الأصول البربرية فيمكن أن يكونوا من الآباء المحتملين لعلي ابن هذيل صاحب مؤلفنا هذا.

مثل هذه الاحتمالات التي توصل إليها القنصل لويس مرسييه منذ ١٩٢٢م هي التي جعلت الباحث المستشرق الإسباني فرانثيسكو رويث خيريلا يعيدها على أذهان القراء عام ١٩٩١م حين قدم أطروحته حول ابن هذيل وكتابه «عين الأدب والسياسة» إلى جامعة مدريد المركزية. ونخلص من هذا كلِّه إلى القول إنّ البحث والتمحيص عن أوليات بعض الشخصيات الأندلسية كعلي ابن هذيل ظل يراوح مكانه منذ ١٩٢٢ إلى سنة ٢٠٠٤ تاريخ اكتشافنا لمخطوطه الجديد هذا، وبالتالي فنحن نقر بما تصوره لويس مرسييه من كون ابن هذيل قدَّم مختصر التحفة كهدية لمحمد السابع أثناء اعتلائه العرش عام ١٣٩٢م لأنه ربما وجد نفسه محرجًا أمام حدث جلل لم يكن يتوقعه، وهو من اعتاد تقديم هدية لكل سلطان جديد فما انفكَّ أن قدم للسلطان السابق يوسف الثاني كتابه الذي بين أيدينا اليوم «فكاهات الأسمار...» حتى وجد المنية تختطفه بسرعة وبالتالي وجد نفسه أمام حدث غير متوقع وكان عليه أن يقدم شيئًا إلى السلطان الجديد محمد المستعين بالله فعمد –ربما– إلى هذا المخرج الذي تكهنه الباحث لويس مرسييه وإن كنَّا نسجل بعض التحفظ على مثل هذا الصنيع الذي يقصد به إلى الملوك لأنه يقدم لنا الكاتب ابن هذيل وكأنِّي به يتحايل على السلطان النصري محمد السابع، ونحن لانعتقد أن تنطلي حيلة ساذجة بهذه السهولة على سلطان ما يزال يوجد في ديوان إنشائه من عاصر كل هذه الأحداث وعايش تاريخ إنجاز كتاب تحفة الأنفس لابن هذيل وتقديمه للسلطان محمد الخامس الغني بالله عام ١٣٦٢م...

وعارفًا بمؤلفات ابن هذيل التي سبق وأن تداولها الناس بغرناطة وخارجها.

أما إذا رجعنا إلى مصادر أخرى، وهذه المرة دائرة المعارف الإسلامية:

Encyclopedie de l'Islam 2 ed Leiden, Paris,1954, tome3, pp227-228.

فإننا نجد فيها ترجمة محررة حول علي ابن هذيل عام ١٩٢٢ بقلم كل من (E.Viré) و(Louis Mercier) نعثر فيها على كل ما سبق له ذكره، بحيث يؤكد فيها احتمال انتساب علي ابن هذيل إلى المقرئ ابن هذيل من سكان بلنسية كما يؤكد فيها احتمال تقديم ابن هذيل لكتابه التحفة كهدية إلى محمد الخامس، وكتاب حلية الفرسان كهدية إلى السلطان محمد السابع، ثم يختتم الترجمة كما هو معروف بذكر المصادر التي أسعفته من مثل عودته لـ:

Geschichte der Arabischen Litteratur, Zweitr supplementband von Prof Dr C-Brockelmann, Leiden, 1938 tome2.

مع ذكره كذلك لاكتشافه لمؤلفات ابن هذيل ونشرها بالعربية ثم ترجمتها إلى الفرنسية من طرفه معلناً صدورها تباعًا كالآتي: حلية الفرسان وشعار الشجعان (صدور النص العربي في باريس عام ١٩٢٢) ثم صدور النص مترجماً إلى الفرنسية مع التعليق من طرف مرسييه عام ١٩٢٤، ثم يأتي بعد ذلك على ذكر «حلية الفرسان وشعار الشجعان» لعلي بن عبدالرحمن بن هذيل الأندلسي تحقيق وتعليق محمد عبدالغني حسن، نشر دار المعارف للطباعة والنشر ضمن سلسلة ذخائر العرب، رقم٦، عام ١٩٥١، والتي مجمل صفحاتها٣٣٥ صفحة، ثم يعقب لويس مرسييه على إنجاز محمد عبدالغني حسن بأنه مجرد إعادة نشر للنص الذي سبق له وأن نشره بفرنسا.

٤- الجهود العلمية لبعض المستشرقين حول ابن هذيل:

أ- ماريا خيسوس فيغيرا وترجمتها لحلية الفرسان:

يجب التنويه في البداية بجهود بعض المستشرقين الذين كانت لهم اليد الطولى على

تراثنا العربي الإسلامي، وأما ما يتعلق بكاتبنا علي بن عبدالرحمن بن هذيل فيمكن أن نقول إنه كان محظوظاً حيث نال قسطاً معتبرًا من عناية المستشرقين مما جعله يعوض الصدود الذي جابهته به المصادر وكتب التراجم حين عزفت عن ذكره والاعتناء بآثاره. فها هو كما سبق وأن ذكرنا تُقَيَّضُ له المقادير القنصل الفرنسي لويس مرسييه المولع بأفكاره وآثاره مما دفعه إلى صرف وقت طويل من انشغالاته العلمية في البحث في مؤلفات علي ابن هذيل حيث يعود له الفضل في اطلاع الغرب على هذا الكاتب، وعلى جل مؤلفاته التي تدور على وجه الخصوص حول موضوعات كالفروسية والسلاح والجهاد والأخلاق والعبر من سير الأوائل... دون أن ينعدم منها طبعًا الأدب عامة والشعر خاصة، فلهذا البحاثة يعود الفضل في تحديد معالم الطريق العلمية المؤدية لابن هذيل وآثاره، وبالإضافة إلى هذا فقد أهدى هذا الباحث لتراث الإنسانية جهدًا كبيرًا أوصل من خلاله آثار ابن هذيل إلى الشعوب الناطقة باللغة اللاتينية وهو ما دفع الباحثة والمستشرقة الإسبانية ماريا خيسوس فيغيرا أن تأخذ على عاتقها مهمة القيام بترجمة كتاب «حلية الفرسان وشعار الشجعان» إلى اللغة الإسبانية حيث أخرجته بهذا العنوان عام ١٩٧٧ :

Ibn Hudayl : Gala de Caballeros, Blason de Paladines, Edicion Preparada por Maria Jesus Viguera. Editorial Nacional, Madrid 1977.

حيث ذكَّرت في تقديمها لهذه الترجمة بمؤلفات ابن هذيل مقتصرة على: «كمال البغية والنيل»،و«مقالات الأدباء ومناظرات النجباء»،و« تذكرة من اتقى»، و«عين الأدب والسياسة وزين الحسب والرياسة»... دون أن تأتي بشيء جديد حول ابن هذيل وحياته.

ب - فرانثيسكو رويث خيريلا وترجمته لكتاب عين الأدب والسياسة:

في ١١ من شهر يناير ١٩٩١ تقدم الباحث الإسباني والمستشرق فرانثيسكو رويث خيريلا بأطروحة إلى جامعة مدريد المركزية موسومة بـ : «عالِم إنساني من غرناطة

النصرية علي ابن هذيل مع دراسة خاصة لكتابه (عين الأدب والسياسة)»

Francisco Ruiz Girela: Un Humanista de la Granada Nazari; Ali b. Hudayl (con estudio especial de su obra Ayn al-adab wa -l-siyasa). Coleccion Tesis Doctoral n* 306/91 Editada e imprime la Editorial de la Universidad Complutense de Madrid. Madrid.1991.

أطروحة ستعيد من جديد الاهتمام بأديبنا علي ابن هذيل، لكن هذه المرَّة سيحظى فيها كتابه «عين الأدب والسياسة وزين الحسب والرياسة» بترجمة كاملة إلى اللغة الإسبانية مع تقديم من طرف الباحث مسَّ العديد من جوانب حياة ابن هذيل نذكر منها على سبيل المثال: بعض الملامح عن حياة ابن هذيل وعصره، وقفة مع الجنس الأدبي، ثم حديثًا إجماليًا عن محتوى كتاب عين الأدب والسياسة والذي من مميزاته كما قال الباحث، وكما قال من قبل لويس مرسييه، أنَّه حفظ لنا بعض العيِّنات من كتب سابقة لابن هذيل ككتابه: كمال البغية والنيل، وتذكرة من اتقى، ومقالات الأدباء، والتي لم يبلغ إلينا منها سوى بعض هذه المقطوعات، التي يعود الفضل في كشفها إلى كتاب، عين الأدب والسياسة، حيث وردت العديد من الإشارات الصريحة في ثنايا هذا الكتاب، كأن يقول على سبيل المثال عن كتابه كمال البغية والنيل ما بين صفحة ٨٣ و١٠٠من النص العربي لعين الأدب والسياسة: «ومن المنقول في تأليفنا من البغية والنيل...» في حين نجده يذكر في صفحة ١٠٢ و١٦٥ و٢٢٦ المنقولات من كتاب مقالات الأدباء قائلاً: « ومن المنقول من تأليفنا مقالات الأدباء...» أما كتابه الثالث «تذكرة من اتقى» والذي يبدو ذا محتوى ديني فنجده يقتطع منه مقولات في صفحة١٨٦و٢٢٢ قائلاً: «ومن المنقول من تأليفنا تذكرة من اتقى...»ونجده في ختام كتابه عين الأدب والسياسة ص٢٥٧ يقول أيضاً: «ومن المنقول من تأليفنا تحفة الأنفس...» وهو ما لم يشر إليه مرسييه ولا خيريلا، فما يمكن الإشارة إليه بعد التمعن في كتاب «عين الأدب والسياسة...» الذي اعتبره لويس مرسييه آخر مؤلفات ابن هذيل أنّنا لا نجد فيه ذكرًا أو تلميحًا لكتاب ابن هذيل الجديد الذي نقدمه اليوم «فكاهات الأسمار...» فكما لاحظنا فإن ابن هذيل في كتابه الأخير المحتمل نجده يذكر أربعة مؤلفات من كتبه السابقة، لكن ما استطعنا اكتشافه في المخطوط الجديد «فكاهات الأسمار...» هو ورود فقرة في مقدمة هذا المخطوط ص٤، تتطابق تماماً مع فقرة وردت في

ص٩٥ من كتاب «عين الأدب والسياسة» والتي تقول «واعلم أن الأدب كما قيل أربعة: أدب لسان، وأدب جنان، وأدب زمان، وأدب إيمان؛ فأدب اللِّسان الفصاحة والبلاغة، وذكر ما صدر عن أربابها، وأدب الجنان الانقياد والسهولة والتزين بهما، وأدب الإيمان ما جاء به الشرع من المحاسن المكملة في الأخلاق والأقوال والأفعال».

لكن رغم الجهد العلمي الكبير الذي بذله المستشرق الإسباني فرانثيسكو رويث خيريلا فإنه لم يأت بجديد فيما يتعلق بحياة ابن هذيل أو عصره، و ما استطاع الباحث الإلمام به هو تتبعه الوفي في هذا البحث لخطوات الفرنسي لويس مرسييه مما جعله محكوماً بإرادته ولم يتجرأ على المجازفة بقول الجديد حول هذا الأديب الغرناطي وأعماله المتميزة.

كيف تم العثور على مخطوط ابن هذيل الجديد؟

«فكاهات الأسمار ومذهبات الأخبار والأشعار»

بدأت علاقتي بابن هذيل مبكرة نسبياً حيث تعود إلى أيام دراستي بجامعة مدريد المركزية ما بين ١٩٧٣-١٩٨٠ إذ تمكنت من الاطلاع على بعض مؤلفاته؛ كحلية الفرسان وشعار الشجعان في نسختها العربية التي أعدها القنصل الفرنسي لويس مرسييه، وكذلك النسخة التي حققهاوعلق عليها محمد عبدالغني حسن نشر دار المعارف للطباعة والنشر عام١٩٥١، وكذلك «تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس» التي اعتنى بنشرها وترجمتها إلى الفرنسية القنصل الفرنسي لويس مرسييه، كما كانت لي الفرصة للاطلاع على كتاب ابن هذيل «عين الأدب والسياسة وزين الحسب والرياسة» الذي طبع عام ١٩٦٩ في منشورات مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة. وقد دفعتني الضرورة العلمية للاطلاع على هذه المؤلفات كونها تدخل ضمن دائرة انشغالاتي العلمية آنذاك، لكنني أعترف أنني لم أستفد منها كثيرًا في بحثي العلمي الذي كان مكرسًا لإمارة غرناطة وكل ما يتعلق بهامن شعر وذلك لسبب بسيط كون أن محتوى أعمال ابن هذيل المذكورة نادرًا ما نعثر فيها على أخبار أندلسية لأن ابن هذيل حشد في هذه المؤلفات رصيدًا هائلاً من الثقافة المشرقية،

وهو طراز من التأليف يذكرنا بكتاب العقد الفريد لابن عبد ربه، حيث أقدم على إعادة بضاعة المشرق إلى المشرق كما نعته بذلك الصاحب بن عباد في مقولته الشهيرة.

قد لا يكون هذا أمرًا معيبًا على ابن هذيل وأمثاله، لكن يمكن أن ننعته بالتقصير تجاه ثقافة قطره الأندلسي حيث رأينا معاصرًا له هو ابن الخطيب – على سبيل المثال – رغم انشغالاته السياسية – يولي اهتمامًا كبيرًا لثقافة عصره ومصره، ولولا إنجازاته تلك، لما جاز لنا اليوم معرفة تلك الأخبار والأشعار التي حفلت بها مملكة كإمارة غرناطة التي امتد عمرها ما يربو على القرنين من الزمان.

لذا فإن ابن هذيل في هذا المضمار يعتبر مقصِّرا رغم الجهد العلمي الذي بذله في كتابيه: «حلية الفرسان وشعار الشجعان» و «تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس»، من أجل إيقاظ الهمم الأندلسية، وحثها على تبني فكر الجهاد للحفاظ على بيضة الإسلام في تلك الديار التي باتت مهددة، فراح انشغال ابن هذيل منصبًا على تذكير الخلف بمآثر السلف، ونعتقد أن تلك المآثرتجعل لا مناص لابن هذيل أو غيره من العودة إلى منابع المشرق، فجاء حديثه عن الجهاد مذكرًا ببطولات الفتوحات، كما جاء حديثه عن السياسة مذكرًا بتلك المواقف التي تؤثر عن السلف الصالح أيام كان مجد الخلافة الإسلامية يظلل بظلاله مشارق الأرض ومغاربها، وقد يكون محقاً لويس مرسييه في استنتاجاته التي جعلته يتحسس عزوفًا للغرناطيين عن مثل هذه المؤلفات نظرًا لجنوحهم للسلم، وحبهم للحياة، ورفضهم للعنف، وانشغالهم بخدمة أرضهم وتجميل محيطها، وهو ما جعلهم لا ينجذبون إلى مثل هذه المؤلفات الداعية إلى التقشف ومجاهدة النفس وترصُّد المخاطر.

ويمكن القول إن ابن هذيل راح يغرد خارج السرب، فقد شذ بصوته حتى عن أساتذته، وربما، يكون عزوف سلاطين بني الأحمر عن تقريبه مرده نبرته الوعظية المحفزة للهمم والرافضة لحياة الدَّعَة والتراخي التي يعيشها الغرناطيون والعدو مُحدق بهم من كل جانب... قد تكون هذه الأسباب، وغيرها، هي التي جعلت ابن هذيل مثلاً يغلق مطاف

مؤلفه: «عين الأدب والسياسة...» بما يشبه النبرة اليائسة من وضع يتعذر إصلاحه ومعالجة أدوائه قائلاً: «... فهذا ما كتبه قلم الاستعجال على ضيق الحال،إذ الخاطر منقسم بين مراوضة طبع، ومحافظة على أصل وفرع، ونظر في أمر دين، ومسألة قرين، ومداراة حاسد، ومدافعة معاند، وتأديب ولد، وملاحظة عادة بلد، وسياسة أهل، في استصحاب حلم وعدل، وتدبير معاش، وإعداد رياش، وإصلاح حال، وفكرة في مآل، ومعاناة دهر، في صروف عام وشهر، وفي هذا كله عذر إن وقع تقصير، ولا يتفرد بالكمال إلا العليم القدير...»[٣١] لا شك أن في هذه النبرة اليائسة حشرجة تريد أن تفصح عن مكنون فيتعذر عليها ذلك، كما نشعر بنبرة حزن ويأس، وعدم استجابة لما يدعو إليه وبالتالي فنبرة الإحباط بادية، والعزيمة خائرة، والوضع على ما يبدو ليس على ما يرام، أو كما يريد له أن يكون. لذا اعتبر مرسييه هذا النص بمثابة نهاية مطاف من المجاهدة العلمية لابن هذيل، واعتبر كتاب «عين الأدب والسياسة...» الذي ورد فيه هذا النص هو آخر ما نفث ابن هذيل من صدره المبحوح بالحسرة والألم على ما تخبئه الأيام لغرناطة وساكنيها... قد لانتَّفق مع ابن هذيل على هذه النظرة القاتمة، لكن ما عرفته أيام غرناطة بعد اختفاء علي بن هذيل في القرن الخامس عشر الميلادي كان فيه كل ما توقعه بل أكثر من ذلك.

لذا أعود للقول أن جل مؤلفات علي ابن هذيل لم أجد فيها ما كنت أبحث عنه، وما إن عدت إلى الوطن عام١٩٨٠ وشرعت في التدريس في الجامعة، وندبت نفسي للتأليف والإبداع الشعري والترجمة، حتى وجدتني أبحث في مخزون مكتبتنا العائلية المتواضعة بشيء من التفحُّص والعناية الزائدة عن اللُّزوم، وربما مرد هذا الاهتمام هو مفعول السنوات الدراسية ومشاهداتي لمكتبات عالمية يأتي في طليعتها مكتبة الإسكوريال العريقة، التي تعددت زياراتي إليها، كذا المكتبة الوطنية بمدريد التي كنت غالبًا ما أُنقِّب في أرشيف مخطوطاتها أكثر من تنقيبي في فهارس مصادرها ومراجعها.

لقد ازداد شغفي بالمخطوطات حين كنت أشاهدها وهي تزين واجهات العرض في

مكتبة الإسكوريال، ومن هناك عدت بشغف لمعاينة مخزون مكتبة العائلة وتفحُّص ما فيها من كنوز نادرة، وصدَّقت ذلك الحرص الشديد الذي كان يوليه الوالد بومنجل حمادي رحمه الله إلى تلك الكتب الصفراء الداكنة، المتهرِّئة الجلود، والجاثمة في كنانتها تطفح برائحة العهود القديمة وأنا تحت ذاك التأثير أجدني أقلب صفحاتها ورقة ورقة بعناية فائقة وحنان عجيب، وإذا بي أمام مخطوط نادر لديوان أبي فراس الحمداني مثلاً، وأمام «ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب» لابن الخطيب، وديوان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ومخطوط «كتاب نثر اللآلئ من كتاب سيد الأولياء أمير المؤمنين ويعسوب الدين أبي الحسن علي بن أبي طالب عليه السلام»، ومخطوط «المواهب القدسية في المناقب السنوسية» لمحمد بن عمر بن إبراهيم بن عمر بن علي الملالي، وهو مخطوط ضخم جامع لأقطاب الطريقة السنوسية، ومخطوط ضخم في التصوف، ومخطوط «كتاب الوسائل في معرفة الأوائل» للشيخ الإمام الحجة المجتهد خادم السنة وجابرها أبي الفضل جلال الدين السيوطي الشافعي، وهو أيضًا مخطوط ضخم وعظيم الفائدة، ومخطوط نادر أيضًا ليتيمة الدهر للثعالبي، وجزء ضخم تهالكت صفحاته من نفح الطيب للمقري وغيرها من المخطوطات التي حافظ عليها الوالد – وورثها من عهد جدِّنا الأعلى جابر بن أحمد بن يوسف اليومني حمادي المولود عام ١٨١٠ بقرية سمندو قديمًا وزيغود يوسف حاليًا في ولاية قسنطينة – وكان يحيطها بهالة من التقديس تجعلنا لا نتجرَّأ حتى على ملامستها لاعتقادنا أنها مقدسة وطاهرة وقد ينجرُّ عن ملامستها ما يؤذي النفوس وتطالها اللَّعنة.

١- مخطوط ابن هذيل «فكاهات الأسمار ومذهبات الأخبار والأشعار»:

كان من ضمن هذه المجموعة من المخطوطات، مخطوط لم يذكر في صفحته الأولى مؤلفه، ويظهر أن ناسخ المخطوط تعذر عليه قراءة اسم المؤلف وما يصحب ذلك عادة من تقديم مسجوع، فترك بياضًا يدل على حذف، وجاءت صفحته الأولى تتخللها الفراغات وعلى رأس الصفحة الثانية كتب بالخط الأحمر البارز: «... وكان مولانا أمير المسلمين

المستغني بالله أبو الحجاج بن مولانا أبي عبدالله محمد بن مولانا أبي الحجاج يوسف بن مولانا أبي الوليد بن نصر المنصور الظاهر...»[٣٢] هذه الأسطر القليلة جعلتني أتأكد من أن المخطوط يتعلق بإمارة غرناطة، وذلك لسابق معرفتي الدقيقة بسلاطين هذه الإمارة ومجريات أحداثها السياسية، وهو ما شجعني على الشروع في نسخه بخط يدي مستعملاً قلم الرصاص حتى أتمكن من الحذف والتصحيح والتعديل بحسب قدرتي على فك رموز هذا المخطوط الذي كانت حروفه جد دقيقة وغاية في الإتقان والجمال، حيث اعتمد ناسخه، المحترف على ما يبدو، على استعمال القلم الرقيق، وزاد من رونق هذا الخط اعتماد الناسخ الألوان، كالأسود الدَّاكن للعناوين، واللَّون الأحمر للعناوين التي يريد إبرازها بشكل ملفت للانتباه، إما لمكانة أصحابها أو لأهميتها بالنسبة لمضمون الكتاب.

بالإضافة إلى ذلك فإنه استخدم الفاصلة باللون الأحمر إما للإشارة لأجزاء الأبيات الشعرية أو للفصل بين الجمل وهو شيء جديد في نسخ المخطوطات يدل على حرَفية متقدمة، فرحت ناسخاً هذا المخطوط بشكل دوري وبدون تسرع إلى أن تمكنت من التحكم في مختلف أشكال الحروف المستعملة من طرف الناسخ، فراحت المهمة تزداد سهولة يومًا بعد يوم، ولم أدر أنني من الممكن أن أعثر على صاحب المخطوط في طيَّات الكتاب، وما إن بلغت ص٨٧ من المخطوط حتَّى وجدت قولاً يقول: «وكتبت لمولانا أمير المسلمين الغني بالله محمد بن يوسف بن نصر قدس الله روحه وبرَّد ضريحه:

لــــيس يـــا مـــولاي لي من جـــابـــرٍ
إذ غــدا قــلــبي من الــبـلــوى جُــذاذا
غـــيـــرُ صكٍّ أحـــمـــرٍ تـــكـــتب لي
فــيه يُــمــنــاكَ اعــتــنــاءً صحَّ هـــذا

هذان البيتان جعلاني أتذكر مباشرة أنهما مرًّا بي في كتاب «نفح الطيب» أثناء مطالعاتي الكثيرة له، وأذكر أنَّني علقت عليهما لكونهما تمت صياغتهما على شاكلة صياغة

بيتين لشاعرة غرناطية تُدعى حفصة بنت الحاج الركُّوني خاطبت بهما المنصور المريني حين سألها يوماً أن تنشده ارتجالاً فقالت:

امْنُنْ عليَّ بصكٍّ
يكون للدهر عُدَّهْ
تخطُّ يُمناكَ فيهِ
ألحمدُ لله وحدهْ

قال فمنَّ عليها وحرز لها ما كان لها من ملك(٣٣) فعدت من توِّي إلى نفح الطيب فوجدت نص النفح يكشف لي عن صاحب البيتين، وبالتالي صاحب مؤلف المخطوط الموجود بين يدي، إذ يقول المقري: «وكتب ابن هذيل الفزاري للغني بالله سلطان لسان الدين ابن الخطيب (ثم يذكر البيتين)»(٣٤) وبفكي لهذا اللغز خامرني ما يشبه اليقين أن هذا المخطوط هو من تأليف ابن هذيل الفزاري صاحب «حلية الفرسان، وتحفة الأنفس...» فرجعت مجدداً أسعى لإنهاء استنساخه علَّني أعثر على مزيد يوضح لي أكثر نسبة هذا المخطوط لعلي ابن هذيل، لأن هذا الاكتشاف المفاجئ دفعني مباشرة للعودة إلى ترجمة المستشرق الفرنسي لويس مرسييه لتحفة الأنفس والصادرة عام ١٩٣٩ بباريس والتي كنت من حسن الحظ أمتلك نسخة منها اشتريتها من سوق الكتب القديمة بثمن بخس، فرحت مدققاً في سرد ثبت مؤلفات ابن هذيل التي يذكرها لويس مرسييه فعاودتني خيبة الأمل من جديد لانعدام وجود كتاب لابن هذيل ضمن آثاره الباقية يحمل هذا العنوان، وزاد من يأسي أكثر كون مرسييه كان دقيقاً لأنه اعتمد على كبار المحققين من المستشرقين العارفين بأسرار المخطوطات العربية وأماكنها من أمثال بروكلمان ودرنبورغ وكاسيري... وهو ما زاد في شكي ثانية في انتساب هذا المخطوط لابن هذيل ورحت أعيد النظر في احتمال إمكانية التعرف إلى صاحب المخطوط من خلال بيتين من الشعر، ورحت متسائلاً مع نفسي لماذا لم يذكر يا ترى ابن هذيل اسمه ولو مرة واحدة في مخطوطه هذا؟ هل هو

معروف إلى درجة تجعله يكتفي بقوله مثلاً: «كما قلت...» ليعرف الناس أن قائل هذين البيتين هو علي ابن هذيل؟ أسئلة غريبة أحبطت عزيمتي في التعجيل بإتمام تحقيق المخطوط، ولا أنكر أنني تركته جانباً ورحت منغمساً في انشغالات علمية أخرى، حيث عوّضت ذلك المخطوط بمخطوط آخر لأحد أعلام قسنطينة هو عبدالقادر الراشدي القسنطيني وكتابه: «تحفة الإخوان في تحريم الدخان» فعكفت على تحقيقه والتقديم له تقديماً ضافياً وبعثته إلى دار الغرب الإسلامي ببيروت، وبعون الله، عرف طريقه للنشر في تلك الدار المحترمة وصدر عام١٩٩٧م.

لكن أملي في العودة إلى مخطوط ابن هذيل ظلّ مشروعاً قائماً ينتظر الفرصة السانحة التي تخرجني من زحام التدريس والمسؤوليات والتأليف في موضوعات أخرى وكذا الإبداع الشعري والترجمات...

٢ - التأكد من صحّة انتساب المخطوط لعلي ابن هذيل:

كما قلت سابقًا، بالإضافة إلى التأليف والانشغالات الأخرى كنت دائم الحضور على صفحات الجريدة المحلية بمدينة قسنطينة، فجريدتنا المحلية «النصر» كان بيني وبينها صلة رحم عميقة الجذور، فعلى صفحاتها عرفت النور أُولى قصائدي أيام الشباب، وأولى محاولاتي العلمية في ميدان البحث، وبالتالي ظل هذا الرباط متواصلاً بيني وبين الجريدة إلى يومنا هذا، وهو ما جعلني دائم المطالعة لها وخاصة لصفحاتها الثقافية، ولم أكن أعلم أن المفاجأة السارة سوف تكون مخبأة في هذه الصحيفة. فهاهو يوم الثلاثاء الثامن من شهر فبراير عام١٩٨٢ يحمل لي الجديد، فبينما أنا أطالع صحيفة ذلك اليوم استوقفني تحقيق من إعداد الصحفي الصديق والخطاط أحمد فريد الأطرش يحمل عنوان: «قرية سيدي خليفة تبوح بأسرارها» وعنوان كبير في وسط الصفحة يقول: «كنوز الماضي ينهشها سوس الحاضر»، وجاءت صفحة كاملة بدأها الصحفي بتوطئة عن الموقع الجغرافي لهذه القرية، وتاريخ تأسيسها وفترة ازدهارها، وعن شيخها الحسين ومن

يكون؟ وعن الدفتر العائلي لذرية الشيخ الحسين والعلاقات الاجتماعية والإنسانية التي تربط أفراد العائلة، ثم يذكر في عنوان آخر تراثاً حضارياً مهملاً، ونداء إلى وزارة الثقافة والشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ثم بدأ بعدها الصحفي بسرد محتويات مكتبة ما يعرف «بزاوية سيدي خليفة» فرحت من باب الفضول أتهجّى هذه العناوين التي يغلب عليها الطابع الديني وأحياناً اللغوي وما إن بلغت رقم ٣٣ من تعداد الصَّحفي للمخطوطات النائمة بهذه الزاوية حتى وجدت عنوانًا يصدمني بطاقة حرارية مفاجئة، يقول ببساطة: «فكاهات الأسمار ومذهبات الأخبار والأشعار في علم الأدب لعلي بن عبدالرحمن الهذلي...» وإذا بكلّ ضباب الشك الذي كان يعتريني ينجلي فجأة ويعيد في نفسي من جديد رغبة العودة لمشروع التحقيق...

لا أكتم القارئ سرًا إذا قلت له إني لم أتمكن من الاطلاع على هذه النسخة الموجودة في زاوية سيدي خليفة التي تبعد عن مدينة قسنطينة حوالي ٣٠ كيلو مترًا إلا بعد قرابة ٢٠ سنة يطول فيها شرح مشاغلي وما شهدته الجزائر من أحداث جسام تقهر كل إرادة مهما كانت طاقتها... وأخيرًا تمكنت في مطلع عام٢٠٠١ م من الحصول على نسخة من هذه المخطوطة الجديدة لابن هذيل وذلك بواسطة الصديق الدكتور عبدالحميد ابن الشيخ الحسين الذي ينتمي إلى هذه الأسرة العريقة في العلم والجاه، ومكارم الأخلاق، وبفضل وساطته الكريمة وضماناته تمكنت من إخراج النسخة الخطية الوحيدة في مكتبتهم وتصويرها ثم إعادتها لأصحابها في أقرب الآجال كما اشترط كبير العائلة آنذاك... وفعلاً كان الأمر مقضيًا وباشرت التعاطي من جديد، مع مخطوط جديد بخط مغربي، هذا وصفه في هذه القراءة الشكلية:

٣- قراءة شكلية في مخطوط زاوية سيدي خليفة (ز.س.خ):

إن مخطوط: «فكاهات الأسمار ومذهبات الأخبار والأشعار» لعلي بن عبدالرحمن بن هذيل الموجود بزاوية سيدي خليفة لعائلة ابن الشيخ الحسين الواقعة في دائرة ميلة قرب

قسنطينة بالجزائر سنرمز إليه من الآن وأثناء سير التحقيق بالحروف التالية(ز.س.خ).

ز: زاوية.

س.خ: سيدي خليفة.

مواصفات المخطوط:

إنه مخطوط من الحجم الكبير مقاس١٨/٢٦سم مجلد تجليدًا فخمًا تظهر عليه علامات القِدَم ربما من كثرة الاستعمال أو من التآكل والإهمال.

عندما نفتح المخطوط من البداية نجده مغلفاً بورق شفاف أحمر داخل التجليد، كما نجد ورقة فارغة من هذا النوع بلون وردي مشرب بالحمرة، بعدها مباشرة نجد ورقة من صلب الكتاب وهي متآكلة ومخرومة لم يسلم منها إلا القليل وقد سجل عليها بخط متواضع: «كتاب فكاهات الأسمار ومذهبات الأخبار [ثم يأتي المحو والتآكل]» وتحته مباشرة: في علم الأدب، وتحت هذا العنوان السفلي في الجهة اليمنى تظر آثار بعض الكتابة المطموسة نتيجة التآكل وذهاب الحبر. أما الجهة اليسرى من الورقة ذاتها فقد ذكرت مجموعة من الأسماء متتالية، ربما من سبق لهم امتلاك هذا المخطوط، حيث جاءت أسماؤهم هكذا تنازلياً:

- **سي عمار**
- **سي عبدالرحمن**
- **بن سنان**
- **سي أحمد بن فقون**

وفي ظهر الصفحة الأولى يبدأ نص الكتاب... ومزية هذه الصفحة التي تمتاز بها هذه المخطوطة على المخطوط الآخر (ب.ح) أنها رغم تآكلها الشديد وضياع أكثر من ثلثيها فإنها احتفظت باسم مؤلف الكتاب حيث ورد ذكره ليشغل حيز البياض الملحوظ والملفت

للانتباه على صفحة مخطوط (ب.ح) والذي يظهر حسب تكهني أن ناسخ مخطوط (ب.ح) قد نسي ذكر اسم المؤلف إما سهوًا منه، أو تأجيلاً ليكتبه بحرف منمق وحبر من لون آخر، وهو ما جعلني أتكهن كذلك أن ناسخ مخطوط (ب.ح) الذي هو أحمد زروق العنتري القسنطيني كان يعتمد في نسخته على نسخة (ز.س.خ) لأسباب عدة أذكر منها:

١- كون أحد الملاك السابقين لنسخة (ز.س.خ) هو ابن الفقون وهذا اللقب هو لإحدى العائلات القسنطينية المشهورة والمجاورة لعائلة أحمد زروق العنتري.

٢- إن ناسخ مخطوط (ب.ح) اعتمد الطريقة ذاتها في رسم العناوين والملاحظات البارزة المعتمدة في مخطوط (ز.س.خ).

٣ - كما يؤكد تصوري هذا سقوط بعض الكلمات وترك مكانها شاغرًا في مخطوط (ب.ح) من نسخ أحمد زروق العنتري الذي لا يعني سهوًا منه لكن لوجودها باهتة أو غير مفهومة أو تعرضت للمحو والتآكل في مخطوط (ز.س.خ) الأمر الذي يجعلني أرجح أن الأصل المعتمد في مخطوط (ب.ح) يمكن أن يكون (ز.س.خ) وهو احتمال كبير يؤكده أيضًا قرب الشقة بين موقعي المخطوطتين، وهو ما يرجح كذلك وجود النسخة الأصلية (ز.س.خ) أولاً بقسنطينة ثم انتقالها إلى زاوية سيدي خليفة، وهو ترجيح يدعمه ما أدلى به أحد أفراد عائلة ابن الشيخ الحسين قائلاً: إن مكتبتهم اعتمدت في تزويدها بالمخطوطات على شراء مكتبة عائلة ابن الفقون الرؤساء البارزين والمشايخ الحاكمين في مدينة قسنطينة أيام الحكم العثماني التركي، كما يعتبرون حسب المصادر التاريخية (ابن العطار مثلاً) الحلفاء الرئيسيين للعثمانيين الأتراك، ومن هنا يكون من المرجح أن مخطوط (ز.س.خ) هو أقدم من مخطوط (ب.ح) الذي استنسخه الشيخ أحمد زروق العنتري عام١١٧٩هـ١٧٦٥/م ، ولسوء الحظ فإن الورقة الأخيرة من مخطوط (ز.س.خ) أتلفت وربما ضاع فيها اسم ناسخها. ولو تدبرنا مليًا في

الصفحة الأولى من المخطوطتين لتجلت لنا الملاحظات التالية:

١- يظهر أن الصفحة الأولى من مخطوط (ز.س.خ) قد تعرضت لما يشبه الترميم مما تسبب في إخلال في توازنها، فيبدو أن ورق المخطوط الأصلي اعتمد على خلفية بيضاء قصد تقويتها ولما تآكلت هذه الأخيرة انجر عنها ارتباك واضح في تسلسل الكلام وخاصة في رأس الصفحة، إذ نجد مسجلاً تحت البسملة بالخط البارز والمذهب: قال عبدالله الراجي [ثم ينقطع التواصل بين حرف الجيم والياء] عفوه [ثم نجد حرف عين وبعده يحصل التآكل] ثم يدخل بين السطر الموالي المتمم لما سبق ذكره لأنه مسجل بنفس الحرف المذهب لنجد قبل تمام هذا التسلسل علي بن عبدالرحمن بن هذيل الـ [وينقطع تسلسل الكلام نتيجة التآكل] ويظهر أن التتمة هي «فزاري».

تحت هذا السطر تأتي بقية السطر الأول المذهب بعد الانقطاع ليبقى... الله تعالى لما يحبه ويرضـ [ثم يأتي الانقطاع] وأعتقد أن التتمة هي ويرضاه.

ومن هنا يبدو لي أن عملية الترميم البدائية غير الحرفية التي لحقت بالصفحة الأولى قد أخلت بشكل واضح في تسلسل التقديم الذي كان من الممكن أن يظهر فيه اسم المؤلف علي بن هذيل بين تَتِمَّة الشطرين الأولين المذكورين الأمر الذي دفع بناسخ مخطوط (ب.ح) الشيخ أحمد زروق -ربما- إلى إغفال ذكر اسم المؤلف في نسخته لأن الطريقة التي رسمت بها الحروف في الصفحة الأولى من مخطوط (ز.س.خ)، والترميم الذي أخل بتواصل مدلولاتها جعل الناسخ أحمد زروق -ربما- يعتريه الشك أو الالتباس أمام اسم مؤلف المخطوط. من هنا نجده يغفل ذكره في نسخته لأنه كان غير متأكد وغير عارف بحقيقة هذا الاسم فعمد إلى ترك بياض مقصود، أو كما ذكرت سابقًا ربما كان نتيجة سهو منه أو كان قصده تسجيله بحروف مغايرة منمقة وبلون آخر، والله أعلم...

٤- قراءة شكلية في مخطوط بو منجل حمادي (ب.ح):

هذا المخطوط هو ملكية بو منجل حمادي والذي سوف نرمز له من الآن فصاعدًا

بهذين الحرفين (ب.ح).

ب: بومنجل.

ح: حمادي.

هذا المخطوط يبدو من خلال مظهره الخارجي أقرب عهدًا بنا من سابقه وميزته أنه معروف تاريخ استنساخه، ومن قام بأمر هذا الاستنساخ حيث نجد في صفحته الأخيرة وبالتحديد في الأسطر الأخيرة المقولة التالية: ص١١٨« ...تم الكتاب المبارك، بحمد الله وعونه، وحسن توفيقه على يد كاتبه الفقير المجتبى أحمد زروق بن محمد العنتري أواسط شهر الله المعظم رجب الأحب عام١١٧٩هـ١٧٦٥/م» أي أنه يبلغ من العمر حاليًا ٢٤٤سنة.

أما شكل هذا المخطوط الخارجي فهو من الحجم المتوسط ١٤/٢٠سم مجلد تجليدًا أنيقًا مطرزًا بالحفر على الجلد الأحمر المشرب بالسواد، وجاء عنوان المخطوط في ص٤ حيث يقول مؤلفه «وسميته فكاهات الأسمار ومذهبات الأخبار والأشعار»، وكتب هذا المخطوط بخط مغربي أنيق غاية في الدقة والأناقة والجمال مما يدل على براعة الناسخ المحترف حيث توازن عدد الأسطر في كل صفحة بدون إخلال يذكر بمعدل ٢٥ سطرًا في كل صفحة جاءت لتغطي مساحة مكتوبة من ٨/١٤سم أي بمعدل سطرين في كل سنتميتر واحد تقريبًا، ونظرًا لهذا التوازن في عدد الأسطر من أول صفحة إلى آخر صفحة يمكن بسهولة استخراج عدد أسطر المخطوط كاملة حيث تقدّر كالآتي: ١١٨×٢٥ =٢٩٥٠سطرًا. كتبت كلها بالقلم الرقيق ما عدا العناوين وبعض المفردات الدالة على البدء أو الاستئناف، وكذلك المراوحة المستمرة خلال المخطوط بين عبارتي فكاهة ومذهبة، وقد تفنن الخطاط الناسخ في استعمال الألوان التي تراوحت بين الأسود والأحمر، وما يلفت الانتباه أيضًا هو أن الناسخ عمد إلى رسم الفواصل بالأحمر ضمن السياق، كما عمد أحيانًا إلى تأطير بعض الصفحات بالخط الأحمر، وبالتالي فمخطوط (ب.ح) في غاية الإتقان، ويبلغ درجة تمكن من اعتباره تحفة فنية رائعة وهو ما يجعل منه نسخة خطية نادرة.

أما عيب هذا المخطوط الوحيد فهو انعدام ذكر مؤلفه في الصفحة الأولى حيث نلاحظ في بداية الصفحة الأولى تحت البسملة فراغًا أبيض يقدر بمساحة ٤٠سنتمترًا مربعًا نفترض أن الناسخ كان قد هيأها لزخرفة اسم المؤلف، أو أن السهو وعدم وضوح اسم المؤلف في النسخة التي اعتمدها قد حال دون استكمال هذا الشرط الضروري، وقد سبق وأن شرحنا صعوبة فهم اسم مؤلف مخطوط (ز.س.خ) التي من المحتمل أن يكون هو الذي اعتمده الشيخ أحمد زروق بن محمد العنتري لأنه كما سبق وأن وصفناه قد اعتراه بعض الخرم مما انجر عنه ترميم غير متقن أخل بترابط أجزاء اسم المؤلف ولقبه وكنيته وهو الاحتمال الذي أرجحه...

من كل ما سبق ذكره يمكن أن أقول إن مخطوط (ب.ح) هو أقرب إلى عهدنا من مخطوط (ز.س.خ).

٥- القيمة العلمية لمخطوط « فكاهات الأسمار ومذهبات الأخبار والأشعار» لابن هذيل:

هذا المؤلف في رأيي هو من بين آخر مصنفات علي ابن هذيل حيث تكشف كل القرائن التي سبق وأن أفضنا فيها القول إنه ألفه وقد تجاوز الستين من عمره وبالتحديد عام ١٣٩٠م لذا جاء هذا المصنف مغايرًا لتصانيفه السابقة التي غلبت عليها نبرة الوعظ والإرشاد وإيقاظ همة الأمة وحث السلاطين على تبني فريضة الجهاد والإعداد لعدوهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، الأمر الذي جعلنا، وجعل غيرنا من أمثال الفرنسي لويس مرسييه يرجح عدم إقبال الغرناطيين على مثل هذه المؤلفات التي شحنها ابن هذيل بمحفوظه الهائل من سير السلف والشعوب الغابرة وما توالى عليها من عواقب كانت وخيمة النتائج.

من هنا يبدو لنا أن ابن هذيل كمن وعى درس الإعراض عن بضاعته العلمية، الأمر الذي جعل اسمه غير متداول في مظان مصادر التراجمة والمحققين من أبناء عصره، أو ممن جاء بعدهم، ويكفي دليلاً على ما نقول اختفاء اسمه من مدونة ضخمة عن تراث الأندلس كالتي أنجزها المقري التلمساني والتي أتى فيها على الرطب واليابس من آثار

الأندلس والأندلسيين، لكنه لما وصل إلى علي ابن هذيل صاحب التصانيف العديدة اكتفى ببيتين من شعره يحملان نبرة الضراعة والتوسل لاستجداء الرحمة من السلطان الغرناطي محمد الغني بالله، ولم يذكر شيئاً آخر يمس تفاصيل حياته أو مشاركته الفكرية في أوساط مملكة غرناطة... قد يكون المقري معذورًا في ذلك لأنه لم يتمكن من الحصول على ما يعرّفه بهذه الشخصية جراء تجاهل المعاصرين لابن هذيل ومكانته، لكن نعتقد أن مصنفات ابن هذيل العديدة لا يمكن إلا أن يكون قد وصل منها، ولو النزر القليل، إلى جمّاعة مثل المقري أو غيره، وبخاصة أنها اشتملت على موضوعات لها هوى في نفس رجل كالمقري ومن على شاكلته، فهي تتحدث عن الإعداد للجهاد، وفنون الحرب والقتال، وعن سير النبلاء والصالحين والخلفاء الراشدين ومن سار على دربهم واقتفى أثرهم، بل يذهب ابن هذيل أبعد من ذلك فهي تتحدث كثيرًا عن سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم ومغازيه ونشر دعوته، كما تحدثت عن فلسفات الأمم الغابرة وحكمها من أمثال الهند والفرس واليونان، فابن هذيل لم يترك في باب السياسة مثلاً مجالاً إلا وطرقه، وتكفي النظرة العابرة في مؤلفه «عين الأدب والسياسة وزين الحسب والرياسة» حيث نجده لم يترك بابًا من أبواب صيانة الملك والحفاظ عليه إلا وطرقه، كما أنه لم يترك بابًا من أبواب الفروسية والجهاد والمجالدة إلا وأحاط بها علمًا في كتابه «تحفة الأنفس» أو «حلية الفرسان» ودون أن يتخلى – طبعًا – عن علوم أخرى كالفقه والحديث والبيطرة وما إلى ذلك. فهل يعقل أن كل هذه المؤلفات لم تصل إلى أيادي الباحثين والتراجمة وجمّاعة الكتب والمصنفين؟

المهم أن علي ابن هذيل صاحب «فكاهات الأسمار» نرى أنه توقف البحث من حول أعماله منذ سنة ١٩٢٢م، وبعد هذا التاريخ ظلت البحوث العلمية من حوله تراوح مكانها وتنعته بالنعوت ذاتها التي ألصقها به القنصل الفرنسي لويس مرسييه، وإلى غاية١٩٩١ نجد المستشرق الإسباني فرانثيسكو رويث خيريلا يكرر على مسامعنا تلك المعلومات الجديدة القديمة مدرجًا كغيره ابن هذيل في خانة المتعصبين والمهووسين بالرغبة في إذكاء أُوار الجهاد الذي اصطلحوا على ترجمته منذ مرسييه إلى يومنا هذا «بالحرب المقدسة»

وهو اتهام خطير وترجمة فيها كثير من المجازفة حسب رأينا؛ لأن ترجمة الجهاد في الإسلام لا يعادلها الحرب المقدسة ذات الإيحاء المسيحي الصليبي.

لكن ما يهمنا في هذه المناسبة السعيدة هو ضرورة إعلان الاحتفاء بهذا الاكتشاف المفرح الذي به تم تخطي عتبة البحّاثة لويس مرسييه وانفتاح كُوَّةٍ جديدة للأمل يسلط من خلالها ضوء جديد على شخصية علي ابن هذيل المظلوم من طرف عصره وحتى من طرف الباحثين الذين تناولوه بشيء من الحساسية المبالغ في تقديراتها. إننا اليوم نصافح المثقفين والباحثين بوجه أدبي جديد اسمه علي ابن هذيل تشرق من ملامح مصنفه البهجة والحبور، ويتناول غوايات النفس المطمئنة واللوامة والأمارة بشيء من «فكاهات الأسمار ومذهبات الأشعار والأخبار» متنقلاً بالقارئ في حدائق المعرفة الإنسانية وما انطوت عليه من ظلالات وغوايات بدون أدنى حرج أو حاجز، إذ نراه يعطي لنفسه حرية التقصِّي للنبش في أعماق ثنايا الأدب المسكوت عنه شأنه في ذلك شأن سلفه صفوان بن إدريس في كتابه المتميز: «زاد المسافر وغُرَّة مُحَّيا الأدب السافر.»

إن ابن هذيل في كتابه الجديد يظهر في صورة الأديب الطُلَعة الذي ألمَّ بأطراف الأدب العربي من مشرقي إلى مغربي إلى أندلسي حيث أحاط علماً بما يزخر به هذا التراث وآلى على نفسه أن يستجيب لدواعي منهجيته التي رسمها في مقدمة تأليفه، أي أعلن عن الخطوط العريضة مفتتحاً ذلك بقوله: « ...وله أبواب لئلا يسأم من يطالعه، ولا جرم أن المعنى الواحد إذا تكرر يمله سامعه فمزجت الحكايات بالأشعار، والأشعار بالحكايات وقصدت بذلك مناهضة الطباع بقراءته، واستجمام النفوس الأبيَّات بعد أن قدمت مقدمة في الأدب والشعر والخاتمة إن شاء الله في الألغاز والتصحيفات وما يتعلق بذلك من النظم والنثر وسميته بفكاهات الأسمار ومذهبات الأخبار والأشعار.» هكذا يحدد علي بن هذيل منهج كتابه الذي يبدو من خلال كلمات التقديم أنه كتب المقدمة بعد أن أنهى الكتاب شأنه في ذلك شأن المؤلفات التي يضطلع بإنجازها الباحثون حتى يومنا هذا، كما يؤكد في هذا المفتتح وقت تصنيفه لهذا الكتاب والغاية المرجوة من وراء ذلك قائلاً: « ...

وإني لم أصنفه إلا خدمة لمقامه اليوسفي وتقربًا لسلطانه الأشرف النصري» ففي هذه الجمل القصيرة من الدلالات الكامنة ما يجعلها تكشف لنا تاريخ تصنيف الكتاب والغاية المرجوة من ورائه، فهو يؤكد بوضوح لمن صنف هذا الكتاب، فهو لمقامه الكريم اليوسفي، وكما ذكر في البداية «لمولانا أمير المسلمين المستغني بالله أبو الحجاج» ويعني بذلك كما نعرف يوسف الثاني الذي حكم ما بين١٣٩١-١٣٩٢م وبالتالي فتاريخ تصنيف هذا الكتاب لا يمكن أن يكون قبل، أو بعد هذين التاريخين، ثم إن الفائدة المرجوة من هذا التصنيف المرفوع إلى جناب السلطان النصري هي غاية لم يخفها ابن هذيل، بل تجرأ على الإفصاح عنها في قوله: «... خدمة لمقامه الكريم اليوسفي وتقرُّباً لسلطانه الأشرف النصري» مما يوحي برغبة واضحة من قبل ابن هذيل سواء للانخراط في خدمة السلطان أو مواصلة هذه الخدمة.

هكذا افتتح علي ابن هذيل مؤلفه، لكنه جاء هذه المرة غير جاد في محتواه، وغير ملقن للدروس إلى من سواه كما كان الشأن في مؤلفاته السابقة، بل ما طغى على نبرة هذا المصنف هو لغة الهزل والفكاهة والعزوف عن التقشف ومجاهدة النفس الأمَّارة وكأنِّي به بعد طول العمر، وسبر أغوار المجتمع الغرناطي، وسيرة سلاطينه ووزرائه وعِلية قومه جعلته مجبرًا على السير في ما يتناسب والمجرى العام للتيار... فالغرناطيون وحكامهم تحكمهم رغبة جامحة إلى العبِّ من ملذات الدنيا والتمتع بمفاتن مملكتهم والانكباب على خدمة أرضهم وتوشيحها بالزرع والضرع والجنات المعروشات، مع الإتقان المفرط لقصورهم الجميلة ودورهم وقراهم البيضاء وسط الخضرة التي كثيرًا ما باهى بها كاتب كابن سعيد القلعي قرى المشرق.

إن ابن هذيل بعد أن بلغ من العمر عُتيًا ثاب إلى رشده، أي إلى واقعه، وهاهو يخاطب الغرناطيين في كتابه هذا بما تهوى أنفسهم وتستحسنه أذواقهم ومسامعهم فما كان منه سوى أن حشد لهم من محفوظه الغزير وقراءاته الواسعة في التراث العربي ما

يبهج القلب ويشرح الصدور ويدرأ عن النفس كدر الخمول وعواقب المخاطر التي تخيم على عرش الإمارة الغرناطية المحاصرة بالعدو والمؤامرات الداخلية.

لقد جاء كتاب ابن هذيل فكاهات الأسمار بمثابة التسلية المريحة من الهموم عند احتضارها، فقد أراد منه مصنفه كما قال:الخروج عن المألوف سواء من حيث عادة تبويب الكتب أو الإصرار على الدوران حول لازمة الموضوع مما ينجر عنه أحيانًا الملل والكساد، وهو ما تحاشاه ابن هذيل في مصنفه هذا فراح يراوح بين الجِدِّ والهزل، الجدُّ الذي تعكسه مُذْهَباته والتي هي بمثابة خُلاصات من تجارب إنسانية تتفق على مضامينها الأجناس البشرية بمختلف أعرافها ومعتقداتها ويتقبلها عقل العاقل ونزق الجاني.

وجاء الهزل ممثلاً في تلك الفكاهات الطريفة التي لا تمُجُّها الأسماع ويتضاعف حسنها واستساغتها كلما كُررت أكثر فأكثر، ولكي يوفر ابن هذيل مثل هذه الأجواء المريحة عمد إلى استحضار مادة القول الشعري كجنس أدبي محبب للنفوس لأن فيه كما يقول ترويح لأرواح ومستباح حتى من طرف العقيدة الإسلامية، بالإضافة إلى كونه من الأنواع الأدبية التي استهوته منذ أن كان يافعاً حيث يقول: «وإني كنت في عنفوان الشباب وزمان الارتسام في الكتاب مائلاً إلى درسه وحفظه وتحصيله إلى أن تحصل لي منه جملة مقطعات في معان مختلفة وأغراض منوعة».

هذا الكلام الأخير فيه دلالة على تعاطي ابن هذيل لقول الشعر منذ زمن مبكر في حياته إلا أن ما تبقى لنا من هذه الأشعار هي مجرد نتف قليلة ذكر بعضًا منها في مخطوطه هذا وتدل على شاعرية متواضعة لابن هذيل.

ووفاء لمنهجه نجده يختم كتابه بمجموعة من الطرف النادرة والجديدة في ميدان الأدب العربي وهي مادة الأحاجي والألغاز والتصحيفات وما يتعلق بذلك من نظم ونثر فيكشف للقراء، لأول مرة، عن هذه الطاقة الغرناطية الإبداعية التي وجدت في هذا النوع من الإبداع درءًا للملل وترويحًا للنفس واستنهاضًا للطبع والذكاء.

لكن ما يمكن أن نختتم به هذا التقديم هو الإشادة بالموسوعية المعرفية التي يتمتع بها علي ابن هذيل مع أمانته العلمية الصارمة التي مكنتنا ونحن نحقق كتابه من إعادة ما يناهز الثمانين بالمائة من مادة كتابه إلى أصولها تقريبًا، كما كشف لنا مرات أخرى عن موهبة أدبية وحس نقدي نفاذ في عملية الانتقاء التي شملت معظم عصور التراث العربي وبخاصة عصور ازدهاره سواء في المشرق العباسي أو الأندلسي المغربي، فقدم لنا جملة من الإبداعات الأندلسية التي يكشف عن بعضها لأول مرة، وهو ما سيسمح للدراسات الأندلسية بالاستفادة من هذا الاكتشاف العلمي الجديد الذي نقدمه للقراء، مع إعلان حرصنا أننا سعينا قدر المستطاع لإخراجه في أحسن صورة تليق بمكانة ابن هذيل صاحب الثقافة الموسوعية وأحد رواد التراث الأندلسي الذي زان صفحاته بمؤلفاته المتميزة التي كانت محل عناية من طرف الباحثين الغربيين على وجه الخصوص، مما يدل على ما تحتويه من قيمة تضاف إلى الرصيد الإنساني.

الهوامش

١ - ابن الخطيب: الإحاطة، ج٤، ص٣٩٠ .

٢ - ابن الخطيب: الإحاطة، ج٤، ص١٩٤-١٩٥ .

٣ - ابن الخطيب:الإحاطة، ج٤، ص١٩٥.

٤ - ابن الخطيب: الإحاطة، ج٣، ص٥٣٨.

٥ - ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص٤٩٩.

٦ - ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص٢٥٥.

٧ - ابن الخطيب: الإحاطة، ج٣، ص٥٣٨.

٨ - المقري: نفح الطيب، ج٢، ص٢٢٦، ٣٧٦، ٥٠٦، ٥١٠.

٩ - المقري: نفح الطيب، ج٤، ص١٩.

١٠ - ابن الخطيب: الإحاطة، ج٣، ص ٥٣٨.

١١ - المستدرك من الإحاطة: تحقيق عبدالسلام شاقور، ص٢٠٥، ترجمة رقم٢٣٤.

١٢ - نفسه: ص٢٣٠.

١٣ - ابن الخطيب:: الإحاطة، ج٤، ص٨٨-١٠٠ .

١٤ - ابن الخطيب: الكتيبة الكامنة، ص١٤٩-١٥٢.

١٥ - ابن الخطيب: الكتيبة الكامنة، ص١٤٩-١٥٢.

١٦ - المصدر نفسه: ص٢٧٢-٢٧٤.

١٧ - المصدر نفسه: ص١٢٨-١٣٤.

١٨ - ابن الخطيب: الإحاطة، ج١، ص٥٣٢-٥٣٧.

١٩ - ابن الخطيب: الكتيبة الكامنة، ص٢٨٣.

٢٠ – ابن الخطيب: الإحاطة، ج٤، ص١٩٤.

٢١ – المقري: نفح الطيب، ج٤، ص١٩.

٢٢ – المراكشي: الذيل والتكملة، السفر الخامس، القسم الأول، ص٢٨٢، ترجمة رقم٥٦٦.

٢٣ – ابن الخطيب: الإحاطة، ج٣، ص٢٠٩. . . كان هذا الأديب حيًا عام٧٦٠هـ

٢٤ – ابن هذيل: عين الأدب والسياسة، ص٩٣.

٢٥ – ابن السماك: الزهرات المنثورة، ص٢٧.

٢٦ – ابن الخطيب، الإحاطة، ج٢، ص١٨١–١٨٦.

٢٧ – ابن الخطيب: الإحاطة، ج٢، ص٣٠٢–٣٠٣.

٢٨ – ابن السماك: الزهرات المنثورة، ص٢٧.

٢٩ – ابن هذيل: حلية الفرسان، ص٢٣–٢٤.

٣٠ – ابن الخطيب: الكتيبة الكامنة، ص١٣٤–١٣٥.

٣١ – ابن هذيل: عين الأدب والسياسة... ص٢٦٤.

٣٢ – مخطوط (ب.ح) ص٢.

٣٣ – ابن الخطيب: الإحاطة، ج١، ص٥٠١.

٣٤ – المقري: نفح الطيب، ج٤، ص١٩.

****


بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الصفحة الأولى من مخطوط (ب. ح)



ذا أحرزته لمقامه الكريم اليوسفي، وتقربا لسلطانه ذا الشرف المنيف، أطال الله في حراسة
نعمه بقاءه، وأدام بحياطة الملك ارتقاءه، وجمع شمل العلوم في أيام نعمائه، وكبت بالذل والصغار
أعداءه، وعلمت أنه لا ينشط لقراءته من يطالعه، ولا يقرب أن يعتز إلا ويعترف بحمله سامعه
من جنس الحكايات بلا أشعار ولا أشعار بلا حكايات، وقصدت بذلك منافهة الطباع لقراءته
واستجمام النفوس بالأبيات، وبعد أن قدمت مقدمة في الأدب والشعر، والخاتمة إن شاء الله في
الألغاز والتصحيفات وما يتعلق بذلك من النظم والنثر، وسميته

بفكاهات الأسمار ومذاهب الأخبار والأشعار

وها أنا أشرع في ابتداء الغرض وبالله سبحانه القوة والحول

مقدمة في الأدب والشعر

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الحكمة تزيد الشريف شرفا وترفع المملوك حتى يدرك
مدارك الملوك، وروي عنه أنه قال نعمت الهدية ونعمت العطية الكلمة من كلام الحكمة
يسمعها المؤمن فينطوي عليها حتى يهديها إلى أخيه. وقال النبي صلى الله عليه وسلم الشعر [illegible]
... إن من الشعر لحكمة وإن من البيان لسحرا. وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال في
عن النبي صلى الله عليه وسلم من أنشد شعرا فقيل يا رسول الله أينشد الشعر في مجلسك
قال نعم. وقال صلى الله عليه وسلم إنما الشعر كلام فحسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح
الكلام. وسمعه صلى الله عليه وسلم واستحسنه وتمثل به وأثاب عليه، وذلك حسان بن ثابت
إلى قوله وقال إن الله تعالى ليؤيد حسان بروح القدس ما نافح عن نبيه. وعن الشعبي قال كان أبو بكر
شاعرا وكان عمر شاعرا وكان علي أشعر الثلاثة. وعن أبي سلمة عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت
علموهم بالشعر فإنه يعرب ألسنتهم. وروي عنها أنها كانت تحفظ من الشعر عشرة آلاف
بيت وقيل لها يا أم المؤمنين إن الحديث لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا حتى يريه خير له من
أن يمتلئ شعرا، قالت إنما أراد بذلك الشعر الذي هجي به صلى الله عليه وسلم. وقال عمر رضي
الله عنه تعلموا الشعر فإن فيه محاسن تبتغى ومساوئ تتقى. وقال أفضل ما أعطيته العرب
الأبيات يقدمها الرجل أمام حاجته يستعطف بها الكريم ويستنزل بها اللئيم. قال الربيع
[illegible] الحارثي دخلت على معاوية ومعه ابنه فقال له معاوية ما سميته قال محمد قال أحسنت

الصفحة التي تحمل عنوان مخطوط (ب.ح)



الصحفة التي يذكر فيها المؤلف، المهدى إليه في المخطوطة (ب. ح)



الصفحة الأخيرة من مخطوط (ب ح) أين يذكر اسم الناسخ «أحمد زروق العنتري»



الصفحة الأولى من مخطوط (س . ز . ح)



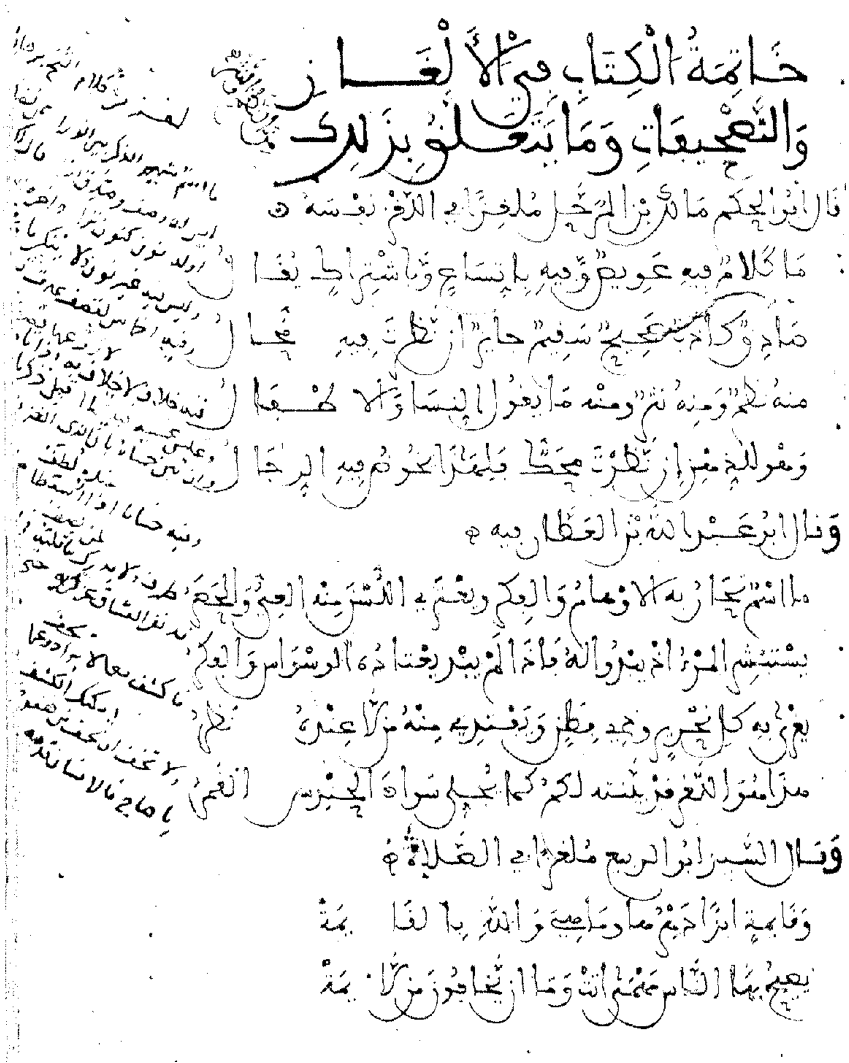
الصفحة التي يذكر فيها المؤلف، المهدى إليه في مخطوط (س . ز . ح)


وسميته بفكاهات الأسمار ومذهبات الأخبار والأشعار

مقدمة في الأدب والشعر

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الحكمة تزيد الشريف شرفا وترفع المملوك حتى يدرك مدارك الملوك .. وروي عنه أنه

الصفحة تحمل عنوان مخطوط (س . ز . ح)


خاتمة الكتاب في الألغاز
والتصحيفات وما يتعلق بذلك

الصفحة الأولى من خاتمة مخطوط (س . ز . ح)

فكاهات الأســـــمـــــار
ومذهبات الأخبار والأشعار

صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

(قال عبدالله الراجي عفوه[ ]علي بن عبدالرحمن بن هذيل الفزاري[ ] الله تعالى لما يحبه ويرضاه)[1]. الحمد لله المتنِّ علينا بالبيان المُعْرِب، اللطيف المُغْرِب، الذي جعل من الشعر حكمة[2] يُعرف بها فضيلة [ ][3] وحجّة تظهر منها حقيقة [ ] البيان وأدب اللسان، وجودة القرائح والفطن [ ]عنواناً على ذكاء العقل في الجنان، نحمده سبحانه على ما سوَّغنا من جزيل [ ]الواكفة الدِّيم[4] ونشكره على ما أَلْهَمَنَا إليه من فنون، ونُصَلِّي على سيدنا ومولانا محمد خاتم [ ]باللسان العربي المبين، المبتعث رحمة للأنام [ ] كلام الآتي بالحِكَمِ البديعة [ ]شاف للنفوس ذي شفوف (؟)[5] على كلام [ ]وعلى آله الطاهرين الأبرار الذين فازوا [ ] والبدار (؟)[6] من أصحابه الأنصار الذين لهم مزية

(١) هذا السطر الموجود بين القوسين في مخطوط (ز. س. خ) ص١ لا وجود له في مخطوط (ب.ح) مما تعذر علينا معرفة صاحب المخطوط قبل العثور على مخطوط (ز.س.خ).

(٢) إشارة إلى قوله (ﷺ) « إن من الشعر لحكمة، وإن من البيان لسحرا » انظر: دلائل الإعجاز لعبدالقاهر الجرجاني، ص٦٥. ولعل هذا الحديث الشريف مصدره حادثة عمروبن الأهتم حيث يُروى » أن عمروبن الأهتم كان بين يدي رسول الله (ص) وقد سأله عن الزبرقان بن بدر فأثنى خيراً فقال: مانع لحوزته، مطاع في أنديته. فلم يرض الزبرقان بذلك وقال: أما أنه قد علم أكثر مما قال ولكن حسدني لشرفي... فأثنى عليه عمرو شراً وقال: أما لئن قال لقد علمته ضيق الصدر، زمر المروءة، أحمق الأب، لئيم الخال، حديث العهد بالغنى. ثم قال: والله يا رسول الله ما كذبت عليه في الأولى، ولقد صدقت في الآخرة، ولكن أرضاني فقلت بالرضى، وأسخطني فقلت بالسخط، فقال الرسول (ص): « إن من البيان لسحرا. » انظر: العمدة لابن رشيق، ص ١٧٢ .

(٣) كل بياض بين معقوفتين في هذه الصفحة والصفحة الموالية، وعددها ١٤ بياضًا فهو إما بياض في الأصل أوبسبب خرم في المخطوط.، والعجيب في الأمر أن المخطوطتين (ز.س.خ) و(ب.ح) تتفقان في هذا الشأن مما يجعل الاعتقاد يرجح أن أحدهما قد نقل عن الآخر، وهو احتمال يقويه وجود المخطوطتين في منطقة واحدة، وهي منطقة قسنطينة في الشرق الجزائري وضواحيها، كما نرجح أن ناسخ مخطوطة (ب.ح) أحمد زروق بن محمد العنتري قد اعتمد في نسخه لمخطوطته مخطوطة (ز.س.خ) وذلك نتيجة التباين الواضح على شكل المخطوطتين، فنسخة أحمد زروق قريبة العهد نسبيًا.

(٤) الديمة: مطر يكون مع سكون، ويقال الذي لا رعد فيه، جمع ديم، ج ١٢، ص: ٢١٣. الواكفة: من وكف وكفًا ووكيفًا ووكوفًا، وكف: سال، وسحاب وكوف إذا كانت تسيل قليلاً قليلاً، ج ٩، ص ٣٦٢ .

(٥) المؤشر عليه بعلامة الاستفهام عبارة غير مفهومة في المخطوطتين.

(٦) المؤشر عليه بعلامة الاستفهام عبارة غير مفهومة في المخطوطتين.

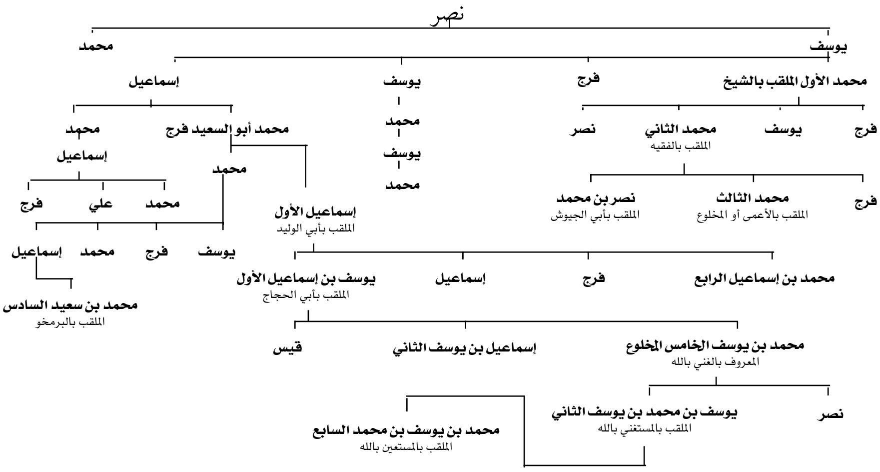
الإيواء والإيثار. وكل منهم يجلِّي في ميدان الفصاحة، ويتميز بالذكاء والرجاحة، ويُقتدى به في العلوم، ويؤثر عنه شذور المنثور والمنظوم، رضوان الله عليهم أجمعين، وعلى تابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعدُ؛ فإن الأدب [ ] والعلم، وعلم النبل والفهم، ومنتحله بالانطباع موصوف، وبفضيلة الطبع معروف، وصاحبه حُلْو الشمائل والصفات، وحامله مرعي الوسائل والموات، وزخاريفه محبّبة للقلوب، والإسهاب فيها ساحرٌ خلُوب، لكن للنظم في ترويح الأرواح [ ]بديع وهو في السمع أوقع، وللحفظ سريع، وإني كنت في عنفوان الشباب وزمان الارتسام في الكُتَّاب [ ]تحسينه وتفضيله، مائلاً إلى درسه وحفظه وتحصيله إلى أن تحصَّل لي منه جُملة مُقطَّعات، في معان مختلفة وأغراض منوَّعات(١).

وكان مولانا أمير المسلمين المستغني بالله أبوالحجَّاج(٢) بن مولانا أبي عبدالله محمد ابن مولانا أبي الحجاج يوسف بن مولانا أبي الوليد بن نصر المنصور والظافر الرشيد الطاهر، المأمون المرتضى، حسام الملة المنتضى، شمس الكتائب، وبدر المواكب، ذوالخِلافة العَلِيَّة، والإمارة السنيَّة، والبأس المبين، والحلم الرصين، والجود العام، والفضل التام،

(١) يفهم من هذه الإشارة أن لابن هذيل بعض الأشعار قالها في زمن الشبيبة أو أنه كان يقرض الشعر أيام الشباب.

(٢) هذا رسم بياني للأسرة النصرية منذ مؤسسها محمد بن يوسف الأول الملقب بالشيخ عام ١٢٣٧م إلى غاية يوسف بن محمد بن يوسف الثاني الملقب بالمستغني بالله والذي حكم ما بين ١٣٩١-١٣٩٢م وهو الذي يعنيه ابن هذيل من خلال الإهداء الموجه لجلالته.



والسِّير الحميدة، والآراء السديدة، والمناهج الصالحة، والمكارم الواضحة، والشِّيم الكريمة، والآلاء العميمة، والمناقب الفاضلة[1][ ] الكاملة، والمآثر الشريفة، والمناسب المنيفة، والمواهب الجزيلة، والأيادي الجليلة، والفصاحة البارعة، والآداب الجامعة، والتفنن في العلوم، والحفظ لكثير من المنظوم، معدن الشرف الذي سبكت مكارم الأنصار[2] من حليه، وحسْبُكَ من سند شرف سعد بن عبادة[3] رضي الله عنه يندرج في طيه، قد خصّه الله تعالى بتمام المحاسن وكرم الشمائل، وشرف المناسب، وكمال الفضائل، والاستيلاء على معاني المعالي، والاستحقاق للثناء، والمدح المتوالي، وأُتلف به شمل كان في حيز الشعاع، وانتظم به أصل كان في قبضة الضياع، وشمخت الهمم بخلافته حتى بلغت الكواكب، وسمت واتصلت بالنجم الثاقب، وصار حبه ديدن[4] العباد، والانقياد له شيمة سالك الرشاد، والقلوب بأنواره تتوهج، والعيُون لرؤياه تتبرّج، والخلافة به كمقلة صحبت وسنا، أوْوًا[5] من ألف سكنا، سيف مسلول على المعاند، وسجِف مسدول على المعاهد، قد سوَّغنا الله من إحسانه نِعَما، ومن شيم سلطانه العزيز حِلماً وكرما، ومع هذا فإنَّهُ أيَّدَهُ الله محيي رسم الآداب، ومقيم أَوَدَ أهله ذوي الألباب، يكنفهم بحياطته، ويحضهم بفواضل كرامته وعنايته، فحططْت بضاعتي بساحته، ورغبت في فيض الندى من راحته، لعِلْميَ أنَّها تهز للارتياح عِطفه، وتُنيلني إن شاء الله برّه وعطفه، وألّفت له هذا التأليف العجيب الأسلوب والمهيع،[6] اللطيف المعاني المليح المنزع، ولم أحفل بقول القائل وكلام الأوائل:«الإنسان في

---

(١) هناك بياض في المخطوطتين.

(٢) بدأ ابن هذيل يشير إلى نسب سلاطين غرناطة ملحقاً إياهم بنسب الأنصار، وهم كما نعرف ولد الأوس والخزرج ابني حارثة بن ثعلبة العنقاء... وهم المشار إليهم في قول شاعرهم حسان بن ثابت: (طويل)

فمن يك عنّا معشرَ الأزدِ سائلاً
فإنا بنو الغوثِ بن بنت بن مالكِ
وزيدِ بن كهلانَ الذي شاد مجده
بنوه دراريُّ النجومِ الشوابكِ

(انظر: أخبار العصر، ص١١٣-١١٤.)

(٣) سعد بن عبادة: هو من الخزرج، وهو ابن دليم بن حارثة، وكان سعد في الجاهلية يكتب بالعربية، وكانت الكتابة في العرب قليلة، وكان يحسن العوم والرماية، ومن أجل ذلك سمي الكامل. (انظر: أخبار العصر، ص١٠٢.)

(٤) ديدن العباد: أدب وعادة.

(٥) هكذا في الأصل ولعلها آوى.

(٦) هاع الشيء يهيع هياعاً، اتسع وانتشر، وطريق مهيع واضح واسع وبين، وجمعه مهايع.

فسحة من عقله، وفي سلامة من أفواه الناس ما لم يضع كتاباً أويقل شعرًا(١). قال حسان بن ثابت(٢): [البسيط]

وإنما الشعرُ عقلُ المرء يعرضه
على البريّة إنْ كَيْسًا وإن حُمقا
وإنّ أصدقَ بيتٍ أنتَ قائلُه
بيتٌ يُقال إذا أنشدتَه صدقا(٣)

---

(١) هذه مقولة تنسب للجاحظ، إذ يقول: «لا يزال المرء في فسحة من عقله ما لم يقل شعرًا أويؤلف كتابًا، ويقول القائل أيضًا: عرض البنات الصلب على الخُطّاب، أهون من عرض بنات الصدر على ذوي الألباب، وقد قالوا: من ألف فقد استهدف». انظر: شرح ديوان حسان بن ثابت للبرقوقي، ص٣٤٨. وقيل أيضًا: لا يزال المرء مستورًا وفي مندوحة ما لم يصنع شعرًا أويؤلف كتابًا لأن شعره ترجمان علمه، وتأليفه عنوان عقله، وقال الجاحظ: من صنع شعرًا أووضع كتاباً فقد استهدف، فإن أحسن فقد استعطف، وإن أساء فقد استقذف» انظر: العمدة لابن رشيق، ص٨٥. ولعل ابن رشيق استقى من هذه المقولات قوله الشعري: قال: وأنشد لنفسه في كتاب فسح اللمح:

المرءُ في فُسحةٍ كما علموا
حتى يُرى شعرُه وتأليفُهْ
فواحدٌ منهما صفحتُ له
عنه وجازتْ له زخاريفه
وآخرٌ نحن منه في غررٍ
إن لم يوافق رضاكَ تثقيفُه

ديوان ابن رشيق، ص١١٥.

(٢) هو حسان بن ثابت بن عمروبن مالك بن النجار (... ٥٤هـ/... ٦٧٤م) يقال إنه عاش مائة وعشرين سنة ستون منها في الجاهلية وستون في الإسلام، وهو من قبيلة الخزرج، انظر من حوله: شرح ديوان حسان للبرقوقي ص ١٩ ،الأعلام للزركلي، ج٢، ص١٨٨، والإصابة في معرفة الصحابة، ج١، ص٣٢٦، والأغاني، ج٤، ص١٣٨-١٧٤، والموشح للمرزباني، ص٨٢.

(٣) هناك اختلاف طفيف في رواية البيتين ففي ديوان حسان يقول:

وإنما الشعرُ (لبٌّ) المرء يعرضُه
على (المجالس) إن كيسًا وإن حمقا
وإن (أشعرَ) بيت أنتَ قائلُه
بيتٌ يُقال إذا أنشدتَه صدقا

فيقول الشارح إنهما من البسيط المطلق المجرد الموصول، والقافية متراكب... وقوله إن كيسًا وإن حمقا إن كان كيسًا وإن كان حمقًا؛ فالكيس هنا العقل خلاف الحمق، يقال كاس يكيس كيسًا، والكَيّس العاقل والحَمِق الجاهل، «انظر: شرح ديوان حسان للبرقوقي، ص ٣٤٨، أما ابن رشيق في العمدة فيذكرهما على خلاف هذا الترتيب، إذ يقول: قال حسان بن ثابت وما أدراك ما هو:

وإن أشعر بيت أنتَ قائله
بيتٌ يقال إذا أنشدته صدقا
وإنما الشعر لبٌّ المرء يعرضه
على المجالس إن كيسًا وإن حمقا

انظر: العمدة، ص٨٥.

لكن حسن التأليف مَوَاهب، وللناس فيما يتولعون به مذاهب.قال بعض العلماء: «المرء يولع بتصنيفه، ويأبى من تعنيفه، ويطيب له أعناؤه، وإن كان فيه عناؤه». واعلم أن الأدب كما قيل أربعة: أدب لسان، وأدب جَنان، وأدب زمان، وأدب إيمان؛ فأدب اللّسان الفصاحة والبلاغة وذكر ما صدر عن أربابهما، وأدب الجَنان الانقياد والسهولة والتزيُّن بهما، وأدب الزمان، سيرة كُبراء أهله في مخاطبتهم وتصرفاتهم، وحفظ أخبارهم، وأدب الإيمان، ما جاء به الشرع من المحاسن المكمِّلة في الأخلاق والأقوال والأفعال»[١].

وهذا التأليف آخذ بطرف من هذا التقسيم على الإطلاق، مختص بأدب اللسان بحكم الاستحقاق، جمعت فيه من ذلك كل طُرفة، وأتيت مما صدر عن الشعراء بكل تحفة، وبنيت فيه على الإيجاز والاختصار، والانتقاء للأشعار المستحسنة والاختيار، وذيَّلتُ ذلك بالحكايات الغريبة، والحكم المستندرة العجيبة.

قال يحيى بن خالد[٢] لولده: «اكتبوا أحسن ما تسمعون، واحفظوا أحسن ما تكتبون، وحدثوا بأحسن ما تحفظون، وخذوا من كل شيء طرفًا فإن من جَهِلَ شيئًا عاداه»[٣]. وقال أبو إسحاق الأعلم[٤] لمن استنصحه في قراءة الأدب: إن كان غرضُكَ أن تكون أديبًا محاضرًا بمُلَحِ الآداب: فعليك من ذلك بما قصُرَ مَداه، وراق لفظه وأغرب معناه، واتّخذ إماماً قول الله تعالى: «الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه»[٥]. وما جاء في الأثر أن عُمُرك لا

(١) هذا النص مذكور كما هو في كتاب ابن هذيل صاحب هذا المخطوط: عين الأدب والسياسة، ص٩٥.

(٢) هو يحيى بن خالد البرمكي(١٢٠-١٩٠هـ/٧٣٨-٨٠٥م) هو أبوالفضل الوزير السري الجواد سيد بني برمك وأفضلهم وهومؤدب الرشيد العباسي ومعلمه ومربيه. انظر: الأعلام للزركلي ج٩، ص١٧٥، وكذلك كشف الظنون.

(٣) لعل هذا القول المأثور عن يحيى مأخوذ من قول مصعب بن الزبير كما رواه البيهقي إذ قال: إن الناس يتحدثون بأحسن ما يحفظون، ويحفظون أحسن ما يكتبون، ويكتبون أحسن ما يسمعون، فإذا أخذت الأدب فخذه من أفواه الرجال فإنك لا تسمتع منهم إلا مختاراً، انظر: المحاسن والمساوئ للبيهقي، ص٥.

(٤) هو الأديب الشاعر الأعلم الشنتمري، ولد عام ٤١٠هـ١٠١٩/م وتوفي بإشبيلية عام ٤٧٦هـ١٠٨٣/م. انظر من حوله: المقري، نفح الطيب، ج٤، ص٧٧-٨٦، السيوطي: بغية الوعاة، ص٤٤٢، القفطي: إنباه الرواة، ج٤، ص٥٩، الأعلم الشنتمري: ديوان علقمة الفحل، تحقيق لطفي السقال، ودرية الخطيب، حلب. سورية، ١٩٦٨،
Mahmud Ali Makki :Ensayo Sobre las aportaciones, pp252-255

(٥) إشارة إلى قوله تعالى: «الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك هم هداهم الله وأولئك أولو الألباب» سورة الزمر، آية١٨.

يتسعُ لكلِّ شيء ففرّغه للمهم، واختر ما أشار إليْهِ سيدُ الشعراء في قوله: [الكامل]

ذُكــر الأنـــامُ [ ][1] فــكـــان قــصــيــدةً

كــنــتَ الــبــديعَ الــفــردَ من أبــيــاتــهــا

ولما كانت أندية الملوك للآداب مضماراً، ومجالسهم لوَبْله الصايب قراراً، بها يظهر السابق من المسبُوق، والمولّد المعنى الغريب والآتي المعنى المطروق؛ والشعر ديوان شرفهم[2] ومفاخرهم، وبرنامج سيرهم ومآثرهم، وثوابهم عليه بحسب استحسانِهم واستقباحِهم، وجزاؤهم لأهله بمقدار استسماجهم واستملاحهم. بَيْدَ أن مولانا نصره الله بالصِّفات التي جمعها الله تعالى إليه، وقصُر شرفها عليه للآداب واعياً جامعاً، ومن دون حوزتها مناضلاً ومُقارعاً، عارفاً بالشعر وفنونه، وبقوله عَالماً بطرقه وعيُونه، راغباً فيما يُبقي له جميل الذكر، ويُخلد لسلطانه جزيل الفخر. ولا شكَّ في أن هذا التأليف يقع منه ببال، وتُحْسَنُ إن شاء الله به الحال والاستقبال. قال المأمون[3]: ما خلق الله شيئاً ألذَّ ولا أطيبَ من النُّزهة في عقول بني آدم.

وإني لم أُصَنِّفه إلاَّ خِدمَةً لُمقامه الكريم اليوُسفي[4]، وتقرباً لسلطانه الأشرف النَّصري[5]، أطال الله في حراسة العز بقَاءَهُ، وأدام لحياطة الملْك ارتقاءَه، وحرس على مرِّ الأيَّام نعماءَه، وكبت بالذلّ والصَّغار أعداءَه.ولم أبوِّبهُ لئلا يسأمه من يُطالعه، ولا جرم أن المعنى الواحد إذا تكرَّر يملّه سَامعُهُ، فمزجت الحكايات بالأشعار، والأشعار بالحكايات،

(١) ما بين المعقوفتين هوبياض في مخطوطة (ب.ح) ولا يوجد البياض في مخطوطة (ز.س.خ).

(٢) المقصود هنا: الشعر ديوان العرب، انظر العمدة لابن رشيق ص ٦٠ ، الصناعتين لأبي هلال العسكري، ص١٤٤.

(٣) المأمون العباسي (١٧٠-٢١٨هـ/٧٨٦-٨٣٣م) هوعبدالله بن هارون الرشيد سابع خلفاء بني العباس، ولي الخلافة سنة ١٩٨هـ تأسس في أيامه بيت الحكمة، انظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، ج١٠، ص١٨٣، المسعودي ج٢، ص٢٦٩و٢٨٧، والكامل لابن الأثير ج٦، ص١٤٤، والطبري، ج١٠، ص٢٢٥.

(٤) نسبة إلى السلطان النصري يوسف الثاني الملقب بالمستعين بالله والذي حكم ما بين ١٣٩١-١٣٩٢م.

(٥) نسبة إلى الأنصار وإلى فرعها الخزرج الذي تنتمي إليه عائلة بني الأحمر ملوك غرناطة حسب رأي النسابين، وعائلة بني نصر أصلها من قرية قنالش (**CANALES**) وهي كما يقول ابن الخطيب كبرى بنات وادي آش (**GUADIX**) - يقصد القرى- ثم يصفها قائلاً: وفي جداولها وجناتها ما شئت من أدواح توشحت بالنور وتتوجت، وغدران زرع هبت عليها الصبا فتموجت... وعائلة بني نصر من قلانس ولكن بمكان قريب منها يدعى فحص الأنصار، انظر: مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب، ص٣٣.

وقصدت بذلك مناهضة الطباع بقراءته، واستجمام النفوس الأبِيَّات، بعد أن قدّمت مقدمة في الأدب والشعر، والخاتمة إن شاء الله في الألغاز والتصحيفات، وما يتعلق بذلك من النظم والنثر، وسميته بـ «**فُكاهات الأسمار ومُذْهبات الأخْبار والأشْعَار**» وها أنا حين أبتدئ القول وبالله سبحانه القوة والحول. مقدمة في الأدب والشعر: رُوِيَ عن النبيِّ صلىَّ الله عليه وسلم أنه قال: إن الحكمة تزيد الشريف شرفاً، وترفع المَمْلوكَ حتى يدرك بها مَدارِكَ الملوكَ. ويروى عنه ﷺ أنه قال: «نِعْمَت الهدية، ونعمت العطية، الكلمة من كلام الحكمة يسمعها المؤمن فيطوي عليها حتى يهديها إلى أخيه». وقد أبقى صلَّى الله عليه وسلم للشعر مجداً وذكراً بقوله: إن من الشعر لحكمة، وإن من البيان لسحراً [1] ، وعن ابن عبّاس رضي الله عنه أنه قُرِئَ عند النبي صلى الله عليه وسلم قرآن وأُنشد شعر، فقيل يا رسول الله: «أيُنْشَدُ الشعر في مجلسك» ؟ قال: «نعم». وقال صلى الله عليه وسلم: «إنما الشعر كلام حسنه كحسن الكلام، وقبيحه كقبيح الكلام»[2]. وسمعه[3] صلى الله عليه وسلم واستحسنه[4]، وتمثل به، وأثاب عليه[5]، وندب حسان بن ثابت إلى قوله[6] وقال: «إن

(١) انظر: صحيح البخاري، ج٧، ص١٠٧، قال الرسول (ﷺ) في عمرو بن الأهتم لما أعجبه كلامه في الزبرقان بن بدر: «إن من البيان لسحرا»، انظر أيضاً ابن عبدربه: العقد الفريد، ج٥، ص٢٧٣.

(٢) قال أبو هريرة: قال رسول الله (ﷺ): «حسن الشعر كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام»، انظر القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج١٣، ص١٥٠.

(٣) خرّج الترمذي عن أنس بن مالك أن النبي (ﷺ) دخل مكة في عمرة القضاء، وعبدالله بن رواحة يمشي بين يديه ويقول: (رجز)

خلّوا بني الكفارِ عن سبيلهِ   اليومَ نضربكمِ على تنزيلهِ
ضرباً يُزيل الهامَ عن مقيلهِ   ويُذهل الخليل عن خليلـــهِ

قال عمر بن الخطاب: يا ابن رواحة بين يدي رسول الله (ﷺ) وفي حرم الله تقول الشعر؟ فقال رسول الله (ﷺ): «خلِّ عنك يا عمر فلهي أسرع فيهم من نضح النبل»، سنن الترمذي، الجامع الصحيح، حققه وصححه عبدالرحمن محمد، عمان، ج٤، ص٢١٧.

(٤) روى الإمام أحمد في مسنده: حدثني عبدالله... عن جابر بن سمرة قال: شهدت النبي (ﷺ) أكثر من مائة مرة في المسجد وأصحابه يتذاكرون الشعر وأشياء من أمور الجاهلية فربما تبسم معهم، مسند أحمد، ج٥، ص٩١.

(٥) تقديمه بردته الشريفة لكعب بن زهير.

(٦) في حديث عن البراء أن النبي (ﷺ) قال لحسان «اهجهم»، وقال: «هاجهم وجبريل معك»، صحيح البخاري، ج٧، ص١٠٩.

(٧) عن عائشة رضي الله عنها، عن رسول الله (ﷺ) قالت: كان رسول الله (ﷺ) يضع لحسان منبراً في المسجد فيقوم عليه يهجو من قال في رسول الله (ﷺ) فقال الرسول (ﷺ): «إن روح القدس مع حسان ما نافح عن رسول الله»، سنن أبي داود، ج٥، ص٢٨١، متن الترمذي، ج٤، ص٢١٦.

(٨) هو عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار، وذوكبار قيل من أقيال اليمن، الشعبي الحميري أبو عمرو (١٩-١٠٣هـ/٦٤٠-٧٢١م) راوية من التابعين يضرب به المثل لحفظه، انظر ابن خلكان: الوفيات، ج١، ص٢٤٤، البغدادي: تاريخ بغداد، ج١٢، ص٢٧٧، الزركلي: الأعلام، ج٤، ص١٨-١٩.

الله تعالى ليؤيده بروح القُدس ما نافح عن نبيه»(٧). وعن الشعبيّ(٨) قال: كان أبوبكر شاعرًا وكان عمر شاعرًا، وكان علي أشعر الثلاثة. وعن أبي سَلَمَة(١) عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: عليكم بالشعر فإنّه يعْرب ألسنتكم. ورُوِيَ عنها أنها كانت تحفظ من الشعر عشرة آلاف بيت فقيل لها يا أمّ المؤمنين: وأين الحديث «لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً حتى يريه خير له من أن يمتلئ شعراً»(٢) ؟ قالت: إنما أراد بذلك الشعر الذي هُجي به ﷺ.

وقال عمر رضي الله عنه: تعلموا الشعر فإن فيه محاسن تُبتغى، أومساوئ تُتّقى. وقال: أفضل ما أُعْطِيَتْهُ العرب الأبيات يقدمها الرجل أمام حاجته يستعطف به الكريم، ويستنزل بها اللئيم. قال الزبير:(٣) دخل الحارث بن نوفل(٤) على معاوية(٥) ومعه ابنه محمد فقال له معاوية: ما سميته ؟ قال محمد(٦) قال: حسن. فما علمته؟ قال: القرآن، قال: حسن،

(١) أبوسلمة: هو ابن عبدالسيد بن هلال بن عبدالله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب السيد الكبير أخورسول الله من الرضاعة وابن عمته برة بنت عبدالمطلب وأحد السباقين الأولين، هاجر إلى الحبشة ثم هاجر إلى المدينة وشهد بدراً ومات بعدها بأشهر وله أولاد صحابة كعمر وزينب وغيرهما ولما انفضت عدة زوجته أم سلمة تزوج بها النبي (ص) وروت عن زوجها أبي سلمة القول عند المصيبة، وكانت تقول مَنْ خيرٌ من أبي سلمة، وما ظنت أن الله يخلفها في مصابها به بنظيره فلما فتح عليها سيد البشر اغتبطت أيما اغتباط، مات كهلاً في سنة ثلاث من الهجرة رضي الله عنه، قال ابن إسحاق هو أول من هاجر إلى الحبشة ثم قدم مع عثمان بن مظعون حين قدم من الحبشة فأجاره أبوطالب، الذهبي: سيرة أعلام النبلاء، ج١، ص١٥٠-١٥١.

(٢) إشارة إلى الأحاديث النبوية التالية: لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً خير له من أن يمتلئ شعرًا، أو لأن يمتلئ جوف الرجل قيحاً يريه خير من أن يمتلئ شعرًا، عن أبي هريرة قال: قال أبو بكر بن شبة: ألا إن حفصًا لم يقل يريه، صحيح مسلم ج٥، ص١١٥، أما رواية سعد فهي: لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحًا يريه خير من أن يمتلئ شعرًا، صحيح مسلم، ج٥، ص١١٣، أما رواية أبي سعيد الخدري فهي تقول: بينما نحن نسير مع رسول الله (ﷺ) بالعرج إذ عرض شاعر ينشد فقال رسول الله (ﷺ) خذوا الشيطان، أو امسكوا الشيطان، لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً خير له من أن يمتلئ شعرًا، صحيح مسلم، ج٥،ص١١٤. لكن في الإصابة، وفي باب المستدرك يروى أن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها لما سمعت هذا الحديث قالت: لم يحفظ أبو هريرة الحديث إنما قال رسول الله (ﷺ): لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحًا ودمًا خير له من أن يمتلئ شعراً هجيت به، وهناك روايات كثيرة لهذا الحديث وردت في مسند أحمد، ج١، ص٩٦-١٧٥.

(٣) المقصود الزبير بن بكار بن عبدالله القرشي الأسدي من أحفاد الزبير بن العوام، عالم بالأنساب وأخبار العرب(١٧٢/٢٥٦هـ) انظر: الأعلام للزركلي، ج٣، ص٧٤، وكذلك ابن خلكان في الوفيات، ج١، ص١٨٩.

(٤) الحارث بن نوفل بن عبدالمطلب بن هاشم (.../نحو٣٥هـ/...نحو٦٥٥م) الأعلام،ج٢، ص١٦١، والحارث بن نوفل أسلم مع أبيه وولي مكة لعمر وعثمان، وقد استعمله الرسول (ﷺ) على بعض العمل، وقيل إنه نزل البصرة وبنى بها دارًا وله حديث في مسند بقي بن مخلد، مات في خلافة عثمان عن نحومن سبعين سنة، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١، ص١٩٩.

(٥) هو معاوية بن أبي سفيان بن حرب،خليفة المسلمين (٢٠ق هـ -٦٠هـ٦٠٣/-٦٨٠م) انظر: الأعلام، ج٨، ص١٧٢-١٧٣، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٣، ص١١٩.

(٦) ورد في مخطوط (ز.س.خ)ص ٩ محمداً بدل محمد، في مخطوط (ب.ح) ص٤.

فما بعد؟ قال: الفرائض، قال: حسن، قال: فما بعد، ؟ قال: ولا بعد، قال: روّه الشعر فإنه يطلق اللسان ويفتح العقل ويحض على المروءة، فلقد رابتني ليلة وقد أجمعت الانصراف عن صاحبكم(١) فما صرفني عنه إلا أبيات عمرو بن الإطنابة(٢):

[الوافر]

وقـوْلي كـلَّـمـا جـشـأتْ وجـاشتْ

مـكـانكِ تُـحـمـدي أوتـسـتـريـحـي(٣)

فاجعلوا الشعر أكبر همكم، وأكثر آدابكم، ثم قال: يجب على الرجل تأديب ولده والشعر أعلى مراتب الأدب. وقيل لأبي الشايب المخزومي(٤): إن ناساً من أهل العراق يكرهون النسيب من الشعر ؟ فقال: أولئك(٥) نسكوا نسكاً عجمياً. وسُئِلَ بعض العلماء عن الشعراء وطبقاتهم فقال: هم أرباب النظام، وأمراء الكلام، وما عسى أن يقال في قوم

(١) يقصد الإمام علي كرم الله وجهه في موقعة صفين الشهيرة حين أوشكت الهزيمة أن تلحق بمعاوية، انظر: موقعة صفين، لابن منقذ.

(٢) هوالشاعر عمرو بن الإطنابة بن عامر بن زيد مناة... بن الخزرج. والإطنابة أمه، وهي بنت شهاب بن زياد، وعمرو هذا شاعر وفارس، قيل لحسان بن ثابت: من أشعر الناس؟ قال: الذي يقول، ويعني ابن الإطنابة:

إني من القوم الذين إذا انتدوا   بدأوا بحق الله ثم النائلِ

(٣) والمشار إليه في نص ابن هذيل هو أن معاوية قال: لقد وضعت رجلي في الركاب يوم صفين وهممت بالفرار فما منعني من ذلك إلا قول ابن الإطنابة: (الوافر)

أبت لي عفتي وأبى بلائـــي   وأخذي الحمدَ بالثمن الربيـــحِ
وإكراهي على المكروه نفسي   وضربي هامةَ البطلِ المشيـــح
وقولي كلما جشأتْ وجاشتْ   مكانكِ تُحمدي أو تستريحـــي
لأدفعَ عن مآثرَ صالحـــاتٍ   وأحمي بعدُ عن عرضٍ صحيح

انظر: معجم الشعراء للمرزباني، ص٢٠٣ ، والأغاني، ج١١، ص ١١٧.

(٤) أبوالشايب المخزومي: هوالحارث بن خالد بن العاص بن هشام المخزومي، شاعر غزل من أهل مكة (...نحو٨٠ هـ/...نحو٧٠٠ م) الأعلام للزركلي، ج٢، ص ١٥٥ ، الأغاني، ج٣، ص٣٠٧.

(٥) ورد في مخطوط (ز.س.خ) ص٩ ، أولئك قوم نسكوا...

(٦) يشير إلى مقولة العرب: أعذب الشعر أكذبه، وقوله تعالى: يقولون ما لا يفعلون، وقول علماء اللغة، يجوز للشاعر ما لا يجوز لغيره...

(٧) المقصود بالشعراء أربعة حيث أنشد بعض العلماء، ولم يذكر قائله من الرجز:

والشعراء فاعلمنَّ أربعــه   فشاعرٌ ينشد وسطَ المعمعةْ
وشاعرٌ آخرُ لا يُجرى معه   وشاعرٌ يقال خمرٌ في دعـه
وشـــاعـــرٌ لا يُـــرتجى لمـــنـــفـــعةْ

وهناك روايات مختلفة لهذه الأبيات ، انظر: العمدة، ص٨٥، ٨٦، الموشح، ص٥٥٠.

الاقتصاد محمُودٌ إلاَّ منهم، والكذب غير جائز إلا لهم[6]. وقيل الشعراء أربعة[7]: شاعر مفلق أي مُعجب، وشاعر مُجيد؛ وهوالذي يُستجادُ شعره، وشاعر ينطبق عليه الاسم فقط وهو الذي لا بأس به، وشعره [ ] وهو الساقط الرديء، وإياه أراد:

[الطويل]

يموت رديءُ الشعرِ من قبل أهلهِ
وجيّدُه يبقى وإن كان قائلُهُ[1]

وقد توقف ناس من الجِلَّة عن عمله هيْبَةً له لا جهلاً به. قِيل للمفضَّل الضبّي[2] لِمَ لا تقول الشعر وأنت أعلم الناس به ؟ فقال: علمي به يمنعني من قوله[3]، وقيل ذلك لغيره فقال: الرديء لا أرضاه، والجيّد لا أقدر عليه، قال الأصمعي[4]:

[الطويل]

أبى الشعرُ إلاَّ أن يجيءَ رديُّهُ
إليَّ، ويأبى منه ما كان مُحكما
فيا ليتني إذ لم أَجدْ حوْكَ وشْيِهِ

---

١ هذا البيت كما يقول صاحب العمدة هولشيطان الشعراء دعبل الخزاعي:

سأقضي ببيتٍ يحمد الناسُ أمرَه   ويكثر من أهل الرواياتِ حاملُهْ
يموت رديء الشعرِ من قبل أهلهِ   وجيِّدُه يبقى وإن ماتَ قائلــه

انظر العمدة، ص٨٥.

٢ هوالمفضل بن يعلى بن عامر الضبي أبوالعباس (... ١٦٨هـ/... ٧٨٤هـ) راوية علامة بالشعر والأدب وأيام العرب من أهل الكوفة وصاحب كتاب المفضليات. انظر: الأعلام للزركلي، ج٨ ، ص٢٠٤ ، وبغية الوعاة، ص٣٩٦.

٣ انظر أبوهلال العسكري: الصناعتين، ص٢٢٠.

٤ عبدالملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي، أبوسعيد الأصمعي، راوية العرب وأحد أئمة العلم باللغة والشعر (١٢٢-٢١٦هـ/٧٤٠-٨٣١م) انظر: الأعلام للزركلي ج٤، ص٣٠٧ و٣٠٨ ، وتاريخ بغداد، ج١٠، ص٤١٠، إنباه الرواة، ج٢، ص١٩٧و ٢٠٥، ابن خلكان، ج١، ص٢٨٨.

٥ سقطت عبارة كنت من مخطوط (ز.س.خ) ص١٠.

٦ جاءت رواية البيتين في العمدة ص٨٧ كالتالي:

أبى الشعرُ إلا أن يجيءَ رديئُه
عليَّ ويأبى منه ما كان مُحكمَا
فيا ليتني إذ لم أُجِد حوكَ وشيهِ
ولم أكُ من فرسانه كنتُ مُفحِما

ولم أكُ من فُرسانه كنتُ[٥] مُعجِما[٦]

والشعر ديوان العرب المثقّف لأخبارها وأيّامها وحِكَمها ولغاتها، المقيّد لأوزان كلماتها، المُبيّن لمعاني ألفاظها، المنبّه على آدابها ومكارم أخلاقها، وهوحُجّة يُرجعُ إليه في بيان ما استُبهِم من كتاب الله تعالى، وحديث رسوله عليه الصلاة والسلام. قال الشاعر:

[البسيط]

الشعرُ يحفظ ما أودى الزمانُ بهِ
والشعرُ أفضلُ ما يُجنى من الكرمِ
لولا مقالُ زهيرٍ في قصائدهِ
ما كان يُعرف جُودُ كان في «هرم»[١]

واعلم أن الشعر من لم يتسمَّ برسمه، ولم يرتسم في رسمه، ولم يضرب بسهم فيه، ولا عدّ بحال من ذويه، فهو جامد الفِطنة خامد الذكاء، غير معدود في الطلبة النبلاء، وإن كان من أهل العلم فنوره مطموس، وحظّه مبخُوس، إذ لا يُحسن الإِبَانَة، عمًّا يدور في جنانه، وكما قيل: المرء بأصغريه قلبه ولسانه[٢]، قال بعضهم:

[مجزوء الكامل]

قَيِّدْ تُفِدْ حِكَمَ الكلامْ
وارو النِثارَ مع النظامْ
واحفظْ تقلْ ما شئتَه
إنَّ الكلام من الكلام[٣]

عن الأصمعي قال: حدّثنا حُريز بن عثمان عن أبيه قال: حضرت مجلس أبي الفضل البهراني فذكرنا العلوم فقال قائل: علم القُرآن، فقال أبوالفضل: أجلُّ العلوم إلاَّ أنَّه أُخرويّ، قُل ما ينفع في الدّنيا، قال قائل: الفقه فقال: علم جليل ما أضل ما سلم صاحبه

(١) الإشارة هنا إلى معلقة زهير بن أبي سلمى الشهيرة والتي مطلعها: أمن أم أوفى دمنة لم تكلم... والتي يمدح فيها هرم بن سنان والحارث بن عوف.

(٢) من أمثال العرب

(٣) يظهر أن عجز البيت مأخوذ من كلام مأثور عن أبي حيان التوحيدي.

من الرّياء والعُجْبِ، وقال قائل: الحساب فقال: علم حسن وليس من علم أصحاب الدين، وقال قائل: علم الإعراب، فقال: علم لا يُستغنى عن قليله ولا يُحتاج إلى كثيره، وقال قائل: الشعر فقال: نعم الشعر، فقال له قائل: ففيم وبمَ وعلامَ ؟ قال: إن الشعر لنِعم العون على الدنيا. قالوا: وكيف ؟ قال: كان لمروان بن محمد[1] عريفٌ[2] على الشعراء يختبر أشعارهم فيُحسنُ لمُحسنِهم ويدع لمسيئهم ويتنجّر[3] لهم فأتيته فسلمت عليه فقال: من الرجل ؟ فقلت له: من بهراء[4]، قال: وفيم جئت ؟ قلت: أنا شاعر وأنا متشاعر ولم يكن شعري مقبولاً ولا مرذُولاً، فقال: أُغْرُبْ قبَّحك الله، فقلت: ولِمَ أعزّك الله ؟ قال: لأنه قد عرض لي مصراع من بيت شعر وقد عرضته على عشرين شاعرًا فكلّهم نكل[5] عن إتمامه فأسررت في نفسي أنّهم كَذَبَة مُنتحلون، فقلت له: اعرضه على الحادي والعشرين فعسى الله أن يأتيَ بالفتح أوأمْرٍ من عنده فيُصبحوا على ما أَسرُّوا في أنفسهم نادمين فقال:

لاَ يـعـلـم الـغـيبَ إلاَّ مُـنـزلُ الـغـيثِ

فلطف الله بي فقلت:

ومـا لـشيءٍ قـضـاه الـلّـهُ من ريْثِ

فقال: أحسنت ما شئت أردِفْه تظفر بحاجتك، فلطف الله بي فقلت:

[البسيط]

كم من ضـعـيفٍ قـويّ الحظّ في دعَـةٍ
ومن قـويٍّ ضـعـيف الحظّ كـالـلّـيثِ

فنهض وقال: آخر وحَسْبُك، فلطف اللهُ بي فقلت:

[البسيط]

(١) مروان بن محمد بن مروان بن الحكم الأموي القائم بحق الله، آخر ملوك بني أمية (٧٢-١٣٢هـ٦٩٢/-٧٥٠م) استولى على الحكم سنة ١٢٧هـ، انظر :الأعلام للزركلي، ج٨، ص٩٦، ٩٧، والكامل لابن الأثير، ج٥، ص١١٩و١٥٨، والطبري:ج٩، ص٥٤.

(٢) عريف: هوالقيم والسيد لمعرفته بسياسة القوم، يتعرف من الأمير أحوال الرعية، ويجمع على عرفاء.

(٣) يتنجر من النجر أي القطع، وقد نجر العود نجراً هذبه، والمعنى المجازي يقوم على اختيار الشعر.

(٤) انظر: بنو بهراء في جمهرة أنساب العرب لابن حزم، ص٤٤١.

(٥) نكل: من نكل عنه ينكل نكولاً، ونكل: نكص، نكل عن الشيء، إذا عجز عن الإتيان بمثله.

يُعطى اللئيمُ بإرغام الكريم مُنىً
كأنّما الدهرُ في شيءٍ من العَيْثِ

فدخل ثم خرج وفي يده صكّ بعشرة آلاف درهم أبيض، ومائة دينار[1] أصفر، وخمسة عشر ثوبًا، ومركوب مختار، وخادمٍ أسود، وفي كل يوم دينار جارٍ، وفي كل شهر ثلاث حوائج، فانتفعتُ بذلك زمانًا طويلاً وأنا في بقيته إلى الآن. أنشدني الفقيه الوزير العدل أبوجعفر الجياني وأنا أقرأ عليه علم العدد:[2]

[البسيط]

احرصْ على كل علمٍ تبلغِ الأملا
ولا تموتَنْ بعلمٍ واحدٍ كسلا
النّحلُ لمّا جنى من كلّ فاكهةٍ
أبدى لنا الجوهرين:الشمعَ والعسلا
الشّمعُ باللّيل نورٌ يُستضاء بهِ
والعسلُ يُبري بإذن البارئِ العِلَلا

وقيل: جمع العلوم كمال، والأدب منها جمال، وفي المثل: الأدب أحد المنصبَينِ. وقال العتَّابي[3]: تعلّموا من الأدب ولوكلِمة. قال الشاعر:

[المتقارب]

فما خلق اللهُ مثلَ العقُولِ
ولا اكتسبَ المرءُ مثلَ الأدبْ
وما كرمُ النفسِ إلا التُّقى

(١) يكتب في المخطوطتين باستمرار دينر ودنر، الدينار فارسي معرب، وأصله دنّار بالتشديد بدليل قولهم دنانير ودنينير فقلبت إحدى النونين ياءً لئلا يلتبس بالمصادر التي تجيء على فِعّال لذلك جمع على دنانير، وأصله أعجمي غير أن العرب تكلمت به قديماً فصارت اللفظة عربية.

(٢) يظهر أن أبا جعفر الجياني هو من شيوخ علي ابن هذيل صاحب المخطوط.

(٣) العتابي: هوكلثوم بن عمرو بن أيوب التغلبي أبوعمرو(٢٢٠/... هـ/... ٨٣٥م) كاتب وشاعر مدح هارون الرشيد وآخرين واتهم بالزندقة وله مجموعة من التآليف، انظر: الأعلام للزركلي، ج٦،ص٨٩–٩٠ ، ابن خلكان، ج٤، ص٣٨٩، والموشح للمرزباني ص٤٤٨ . ، ومعجم الشعراء للمرزباني ، ص٣٥١–٣٥٢.

(٤) لأهل العقول.

ولا حسبُ المرءِ إلاَّ النَّسب
وفي العلم زيْنٌ لأهل الحِجى[٤]
وآفةُ ذي الحِلمِ طيشُ الغضب

حكى أبوجعفر الطبري أن عبدالملك بن مروان[١] لما فتح العِراق وقتل مُصعب بن الزُّبير[٢] وذلك سنة إحدى وسبعين دَخَلَ الكُوفة فعُرضت عليه القبائل، قال معْبد بن خالد الجدليّ[٣]: ثمَّ تقدّمنا مَعْشر عدْوان فقدّمنا رجلاً وسيماً جميلاً وتأخّرت، وكان معبد دميمًا فقال عبدالملك: من ؟ فقال الكاتب: عدْوان. فقال: عبدالملك:

[الهزج]

عَذِيرَ[٤] الحيِّ من عَدْوا
نَ، كانُوا حَيَّةَ الأرضِ
بَغَى بَعْضُهُمْ بَعْضاً

(١) هوعبدالملك بن مروان (٢٦-٨٦هـ/٦٤٦-٧٠٥م) هو أبوالوليد، يعد من العلماء من بين الملوك، انتقلت إليه الخلافة الأموية عام ٦٥هـ، عُرِّبَت في زمانه الدواوين واجتمعت عليه كلمة المسلمين بعد مقتل مصعب بن الزبير وعبدالله بن الزبير، وضبطت في زمانه الحروف العربية بالنقط والحركات، وهو أول من سكّ الدنانير، انظر: الأعلام للزركلي، ج٥، ص٣١٢.

(٢) هو مصعب بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي القرشي (٢٦-٧١هـ/٦٤٧-٦٩٠م) وهوالممدوح من طرف الشاعر ابن قيس الرقيات القائل فيه:

إنما مصعبٌ شهابٌ من اللهِ تجلّتْ عن وجهه الظلماءُ

انظر: الأعلام للزركلي، ج٨، ص١٤٩.

(٣) هو معبد بن خالد بن ربيعة بن مزين بن الحارثة بن ناضرة بن عمرو بن سعد بن علي بن رهم بن ناج بن يشكر بن عدوان، انظر: جمهرة أنساب العرب لابن حزم، ص٢٤٣-٢٤٤ و٢٨٠.

(٤) عذير: من عذر في الأمر قصّر بعد جهد، والتعذير في الأمر التقصير فيه، وأعذر: قصر وثبت له عذره، أورد صاحب لسان العرب أبياتًا لذي الإصبع العدواني تختلف روايتها قليلاً عما هو موجود عند ابن هذيل يقول:

[الهزج]

عذيرَ الحيِّ من عَدوا نَ كانوا حيَّةَ الأرضِ
بغى بعضٌ على بعضٍ فلم يرعوا على بعض
فقد أضحوا أحاديثَ برفع القول والخفض

يقول هات عذراً فيما فعل بعضهم ببعض من التباغض والقتل ولم يرع بعضهم على بعض بعدما كانوا حية الأرض التي يحذرها كل أحد، فقد صاروا أحاديث للناس يرفعونها ويخفضونها، وعنى يخفضونها يسرونها، وقيل معناه هات من يعذرني، ويقال عذيرَكَ من فلان بالنصب أي هات من يعذرك، فعيل بمعنى فاعل، عذيري من فلان أي من يعذرني، ونصبه على إضمار هلم معذرتك إياي، انظر مزيداً من التوضيح في الأغاني، ج٤، ص٥٤٧-٥٤٨ .

فــــلم يَــــرعـــــوا عــــلى بـــــعض
ومـــــنـــــهم كـــــانتِ الـــــســــادا
تُ والمـــــوفُـــــونَ بـــــالـــــقَـــــرضِ

ثم أقبل على الجميل فقال: إيه، فقال: لا أدري، فقُلت من خلفه:

[الهزج]

ومـــــنـــــهم حَـــــكَمٌ يـــــقـــــضي(١)
فلا يُـــــنـــــقضُ مـــــا يـــــقـــــضي
ومـــــنـــــهم من يُـــــجـــــيـــــز(٢) الحَجْ
ـــجَ بـــــالـــــسُـــــنّـــــة والـــــفـــــرض
وهـم مُـــــــذْ وُلِـــــــدوا أسْـــــــرى
بـــــــســـــــرٍّ الحَـــــــسَب المحْض

قال: فتوكأ عبدالملك ثم أقبل على الجميل فقال: من يقول هذا ؟ قال: لا أدري، فقلت من خلفهِ ذوالإصبع العدواني(٣). فأقبل على الجميل فقال: ولِمَ سُمّي ذا الإصبع؟ فقال لا أدري، فقلت من خلفه: لأنّ حيّة عضّت إصبعه فقطعتها، فأقبل على الجميل فقال: ما كان اسمه ؟ قال: لا أدري: فقلت من خلفه: حُرثان بن الحارث، فأقبل على الجميل فقال: من

(١) ومنهم حكم: إشارة إلى عامر بن الظرب العدواني سيدهم، كان حكماً في الجاهلية يحتكم إليه العرب، انظر تفاصيل القصة في الأغاني مع اختلاف طفيف، ج٣، ص٨٥-٨٩.

(٢) من يجيز الحج... فإن إجازة الحج كانت لخزاعة فأخذتها منها عدوان، فصارت إلى رجل يقال له أبوسيارة، انظر: الأغاني، ج٣،ص٨٩.

(٣) ذوالإصبع: هوحرثان بن الحارث، ويقول في الجمهرة ص٢٤٣ ابن محرَّث. عدوان بن عمرو بن سعد بن قيس عيلان، أحد بني عدوان وهم بطن من جديلة، ومن عدوان بنوناج، شاعر وفارس من قدماء الشعراء في الجاهلية، وصاحب الأغاني يورد هذه الأبيات معلقاً عليها بقوله:نزلت عدوان على ماء فأحصوا فيهم سبعين ألف غلام أغرل(لم يختن) سوى من كان مختوناً لكثرة عددهم، ثم وقع بأسهم بينهم فتفانوا فقال ذو الإصبع بتلك المناسبة الأبيات مع اختلاف طفيف، انظر: الأغاني، ج٣،ص٨٥-٨٩، والطبري في تاريخ الأمم والملوك، ج٧، ص١٨٨-١٨٩ .

(٤) تروى الأبيات في الأغاني هكذا: [الطويل]

وأما بنوناجٍ فــــــــلا تذكرنّهــم ... ولا تتبعنْ عينيكَ ما كان هالكا
إذا قلتُ معروفًا لأصــــــلحَ بينهــم ... يقول وُهيبٌ لا أُسالم ذلكـــــا
فأضـــحى كظهر الفحلِ جُبِّ سنامه ... يدبّ على الأعداء أحدبَ باركا

ما هو جدير بالملاحظة هنا أن ابن هذيل يختلف عن أبي الفرج فهويذكر مصادره وهوالطبري عكس أبي الفرج فهو يستند إلى أسانيد المرويات، انظر: الأغاني، ج٣، ص٨٧-٨٨.

أيّكم كان ؟ قال: لا أدري، فقلت من خلفه: من بني ناج، فقال:

[الطويل]

أبعدَ بني ناجٍ(٤) وسَعْيُكَ بينهم
فلا تُتْبِعَنْ عيْنيكَ ما كان هالكا
إذا قلتُ معْروفاً لأُصلحَ بينهم
يَقولُ وُهيبٌ لا أُصالح ذلكا
فأضحى كظهر العِيرِ جُبٌّ سَنامُهُ
تُطيف به الوِلدان أحدبَ رَاتكا(١)

ثم أقبل على الجميل فقال: كم عطاؤك ؟ قال: سبعمائة، فقال لي: في كم أنت ؟ قلت: ثلاثمائة، فأقبل على الكاتبين. فقال: حُطًّا من عطاء هذا أربعمائة وزيدَاهَا في عطاء هذا. قال: فرجعت وأنا في سبعمائة، وهوفي ثلاثمائة. قال الشاعر:

[الوافر]

رأيتُ العِزَّ في أدبٍ وعقلٍ
وفي الجهل المذلَّةُ والهوانُ
وما حُسن الرجالِ لهم بعزٍّ
إذا لم يُسعدِ الحُسْنَ البيانُ

(١) راتكا: قال الأصمعي: الراتكة من النوق التي تمشي وكأن برجليها قيداً وتضرب بيديها، ورتكان البعير مقاربة خطوه في رملانه، لا يقال إلا للبعير. يظهر أن رواية ابن هذيل، كما ذكرنا، تستند إلى رواية الطبري مع اختلاف طفيف يقول في البيت الثالث: (الهزج)

فأضحى لظهر العيرِ جبٌّ سنامهِ تطيف به الولدانُ أحدبَ باركا

انظر: الطبري، تاريخ الأمم ج٧، ص١٨٨-١٨٩.

(٢) هو هشام بن عبدالملك بن مروان(٧١-١٢٥هـ-٦٩٠/-٧٤٣م) بويع بعد وفاة أخيه يزيد بالخلافة سنة ١٥٠هـ، وهو الذي بنى الرصافة والتي فيما بعد جُدّد ذكرها على يد أحفاده في الأندلس. انظر الطبري: تاريخ الأمم، ج٨، ص١٧٩، والأعلام للزركلي، ج٩،ص٨٤-٨٥.

(٣) هو عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، أبومحمد (٢١٣-٢٧٦هـ٨٢٨/-٨٨٩م) من أئمة الأدب حيث يقول ابن خلدون في مقدمته ص٣٥٣ : وسمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول هذا الفن وأركانه أربعة دواوين وهي: أدب الكاتب لابن قتيبة، وكتاب الكامل للمبرد، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ، وكتاب النوادر لأبي علي القالي وما سوى

كــفى بــالمــرء عــيــبــاً أن تَــراه
لـه وجـهٌ ولـــــيس لـه لـــــســـــانُ

قال هشام بن عبدالملك[٢] لمعلم ولده: خذ به في علمٍ نسبه في العرب، وعلِّمه منازل القمر وأنواع السمر والخطب، ومواضع الكلام، ومعرفة الجواب. قال عبدالله ابن قُتيبة[٣]: إذا أردتَ أن تكون عالماً فاطلب فنّاً واحداً، وإذا أردت أن تكون أديباً فتفنن في العلوم. وفي أخبار المعتصم[١] أبي إسحاق بن هارون الرشيد أنه ورد عليه كتاب أحد عماله يخبره بخصب السنة وأنهم مُطروا مطراً كثر عنه الكلأ، وكان المعتصم قليل البضاعة من الأدب فلم يدرِ ما الكلأ وسأل عنه وزيره أحمد بن عمَّار[٢] فتردّدَ في الجواب وتعثر لسانه، ثم قال: لا أدري، فقال المعتصم: إنا لله وإنا إليه رَاجعون: أخليفة أميّ، ووزير أميّ ! ادخلوا عليَّ من يقرب منا من الكُتّاب فُعرِّف بمكان محمد بن عبدالملك الزيات[٣] من الأدب وكان يتولّى قهرمة الدار ويشرف على المطبخ فأمر بإدخاله عليه فقال له: ما الكَلأُ ؟ قال: هوالنبات كله رطبُه ويابسه؛ والرطب منه يُقال له الخَلَى، واليابس منه يقال له: حشيش، ثم اندفع يصف له النبات من أول ابتدائه إلى حين انتهائه، فاستحسن المعتصم ما رأى منه وقال: ليتقلّد هذا الفتى العَرْض عليَّ، فكان ذلك سببًا إلى ترقِّيه إلى الوزارة. قال الشاعر:

---

(١) المعتصم: هو ثامن خلفاء بني العباس(خلافته من ٢١٨-٢٢٧هـ/٨٣٣-٨٤٢م) وهو أبوإسحاق المعتصم محمد بن هارون الرشيد، انظر الطبري: تاريخ الأمم،ج١٠، ص٣٠٤.

(٢) كان أحمد بن عمار بن شاذي البصري وزير المعتصم، فورد على المعتصم كتاب من بعض العمال فقرأه الوزير عليه فكان في الكتاب ذكر الكلأ فقال له المعتصم: ما الكلأ؟ فقال لا أعلم، وكان قليل المعرفة بالأدب، فقال المعتصم: خليفة أمي ووزير عامي؟! وكان المعتصم ضعيف الكتابة، ثم قال أبصروا من بالباب من الكتاب فوجدوا محمد بن عبدالملك بن الزيات فأدخلوه إليه فقال له: ما الكلأ؟ فقال:الكلأ العشب على الإطلاق فإن كان رطبًا فهو الخَلَى، فإذا يبس فهو الحشيش، وشرع يقسم أنواع النبات فعلم المعتصم فضله فاستوزره وحكمه وبسط يديه ولعل ابن هَذيل قد استفاد من رواية الصولي، انظر ابن خلكان: الوفيات، ج٥، ص٩٤-٩٥.

(٣) ابن الزيات: هو محمد بن عبدالملك بن أبان بن حمزة أبوجعفر (١٧٣-٢٣٣هـ/٧٨٩-٨٤٧م) وزر للمعتصم وللواثق، له ديوان شعر منشور، انظر: الأعلام للزركلي، ج٧، ص١٢٦-١٢٧، ابن خلكان: الوفيات ج٥، ص٩٤-١٠٣، وانظر أسباب محنته وقتله: الطبري، تاريخ الأمم ج١١، ص٢٧.

[الطويل]

تــــفــــنّنْ وخُــــذْ في كلِّ عـــــلـمٍ فـــإنّه
يــــفُـــوق امـــــرؤٌ في كل فنٍّ له عـــــلـمُ
فــــأنتَ عــــدوٌّ لـــــلــــذي أنتَ جـــاهلٌ
به، ولــــعــــلـمٍ أنتَ تُـــتــــقــــنه ســــلـمُ

وكان يُقال عليكم بالأدب فإنه صاحب في الخلوة، ومؤنس في الوحدة، وجمال في المحفل، وسبب إلى طلب الحاجة. وفي المَثَلِ: خيرُ العلم ما حُوضِرَ به، يعني الحفظ.

ذكر أبوالثَّناء حمّاد بن أبي العشَائر[1] وقد ذُكر عنده فضل علم الأدب فقال: كان ابن أبي عَقيل بمدينة صُور، وكان من أعيانها، وكان له عشرة من الأولاد، وكان له طاحُون يغلّ في السنة عشرة آلاف دينر، وكان عنده كتاب الأغاني للأصبهاني فجمع أولاده وقال لهم: من حَفظَ منكم هذا الكتاب كتبت له هذا الطاحُون، فأخذوا يدرسُونه فلمَّا اختبرهم لم يجد من يحفظ الكتاب منهم إلاَّ وَاحدًا، أتى على جميعه، فكتب الطاحون للتسعة دُونه، فقال له: يا أبتِ كيف هذا أَلم تقل: من حفِظ الكتاب كتبتُ له الطاحُون، فاجتهدتُ وحفظتُ الكتابَ، فكتبت الطاحُون لهم دُوني ! فكيف هذا يا أبتِ ؟ فقال له: يا بُنيَّ إنما أردتُ أن أختبرَ النَّجيب منكم فلم يكن فيهم إلاَّ أنتَ فقد حصل لكَ هذا الكتاب دُونهم تكون به سميراً لملك وأنيسه وجليسه، وحيث ما حللْتَ به آنسكَ وأغناكَ ورفعك، وإخوتك التسعة لم يحصل لهم شيء فهم فُقراء مَحاويج فأتحفتهم بالطاحون دُونك يتعيَّشُون بخراجها، وأنت بحمد الله قد استغنيت. قال الشاعر:

[البسيط]

عـليك بـالحـفظ بـعد الجـمعِ في كُتُبٍ
فـإنَّ لــلـكُـتْبِ آفــاقًـا[2] تُـفـرِّقُـهـا
فـالـنَّـارُ تحـرقُـهـا والمـاءُ يُـغـرقـهـا
والـفـارُ يـخـرقُـهـا والـكفُّ تـسـرقُـهـا

(١) أبوالثناء حماد بن أبي العشائر بن هبة الله بن حماد بن فضيل الحراني (... ٥٩٧هـ/... ١٢٠٠م) مؤرخ من حفاظ الحديث له تاريخ حران، انظر: الأعلام للزركلي، ج٢، ص٣٠٣.
(٢) ذكرت آفاق في المخطوطتين بالضم والصواب آفاتاً.

وفي الأخبار أن قومًا من اليمن أقبلوا يريدون المدينة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلَّم فأضلُّوا الطريق وفقدوا الماءَ فمرَّ بهم رَاكبٌ فأنشد بعضُهُم:

[الطويل]

ولمَّا رأتْ أنَّ الشريعةَ همُّها
وأنَّ البياضَ من فرائصها دامِ
تَيمّمتِ العينَ التي عند ضارجٍ
يفيء عليها الظلُّ عرمضُها طامِ[1]

---

(١) قال القرشي صاحب جمهرة أشعار العرب في موضوع: أي الشعراء أشعر؟ فقال: قال المفضل الضبي ثم اختلف الناس في الشعراء أيهما أشعر وأذكى؟ فقال قوم: امرؤ القيس ورووا في ذلك أنه خرج وفد من جهينة يريد النبي (ﷺ) فلما قدموا سألهم عن مسيرهم، فقالوا يا رسول الله لولا بيتان قائلهما امرؤ القيس لهلكنا: قال: وما ذلك، قالوا:خرجنا نريدك حتى إذا كنا ببعض الطريق إذا برجل على ناقة له مقبل إلينا، فنظر إليه بعض القوم فأعجبه سير الناقة فتمثل ببيتين لامرئ القيس وهما قوله: [الطويل]

ولما رأتْ أن الشريعة وِردها
وأن البياض من فرائصها دامي
تيمّمتِ العين التي جنبَ ضارجٍ
يفيء عليها الظلُّ عرمضُها طامي

وقد كان ماؤنا قد نفد فاستدللنا على العين بهذين البيتين فوردناها، فقال النبي (ﷺ) أما إني لوأدركته لنفعته، وكأني أنظر إلى صفرته وبياض إبطه وحموشة (دقتها) ساقيه، في يده لواء الشعراء يهوي بهم في النار، انظر: القرشي، جمهرة أشعار العرب، ص٣٨. كما قال ابن الكلبي أقبل قوم من اليمن يريدون النبي (ﷺ) فضلوا ووقعوا على غير ماء فمكثوا ثلاثاً لا يقدرون على الماء، فجعل الرجل منهم يستدري بفيء السمر والطلح فبينا كذلك أقبل راكب على بعير فأنشد بعض القوم بيتين من شعر امرئ القيس: لما رأت... البيتين، فقال الراكب: من يقول هذا الشعر؟ قال: امرؤ القيس، قالوالله ما كذب هذا ضارج (ماء من مياه العرب) عندكم وأشار لهم إليه فأتوه فإذا ماء غدق، وإذا عليه العرمض والظل يفيء عليه، فشربوا منه وارتووا حتى بلغوا النبي (ﷺ) فأخبروه، وقالوا: أحيانا بيتان من شعر امرئ القيس، فقال النبي(ﷺ): ذاك رجل مذكور في الدنيا شريف فيها، منسي في الآخرة خامل فيها، يجيء يوم القيامة معه لواء الشعراء إلى النار، انظر : ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص ٦٦–٦٧.

(٢) امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن يعرب بن ثور بن مرتع بن معاوية بن كندة، هكذا سجل نسبه ابن سلام الجمحي في طبقاته، الطبقة الأولى ص٤٣، وانظر الأعلام للزركلي، ج١، ص٣٥١–٣٥٢.

فقال الرّاكب: من يقول البيتين: فقالوا: امرؤ القيس[٢]، فقال: ما كذب هذا ضارج عندكم وأشار إليه فجثوا على الركب فإذا ماءٌ فشربوا واستقوا وأتوا النبيَّ صلىَّ الله عليه وسلم فقالوا: أحيانا بيتان من شعر امرئ القيس. قال بعض العرب: شعر الرّجل قطعة من كلامه، وظنّه قطعة من عقله، وتخيّره قطعة من علمه، ولو تتبعتُ الكلام فيما قِيل في الشعر والآداب لطالت هذه المُقَدّمة وخرجتُ بها عن مقصود الكتاب.

مُذهبَة:

أنشد الفِهري لعمر الجزيري المصري:

[البسيط]

اسمعْ حديثَ غرامي فهو مطبوعُ
مُفرَّقٌ في صباباتي ومجموعُ
مُسلسلُ الشّوقِ من بعد الأحبَّةِ عن
عيني فعنها لذيذ النَّوم مرفوع
ومُرسلُ الدَّمعِ يروي عن أسىً وجَوًى
ومُسندُ الصّبرِ عند الصبّ مقطوع
وسُقم جسمي صحيحُ المتنِ متّفقٌ
عليه، متّصلُ الإسنادِ مسموع
ومُعضلُ الوجدِ من قلبي يُخَرّجُهُ
أنينُ صدرٍ بدمع العين مشفوع

ومما يُنسب للفخر الفارسي[١] في مثل هذا:

[الخفيف]

حدّثَ الدّمعُ عن ضميري فقالوا:
من رَوَى عنه مُسنداً قلتُ: خدِّي
وأجازتنيَ الصّبابةُ حتَّى
صرتُ [أفتي][٢] في مذهب الحبّ وحدي

---

(١) الفخر الفارسي: هومحمد بن إبراهيم بن أحمد أبوعبدالله فخر الدين الشيرازي الفارسي (٥٢٨–٦٢٢هـ١١٣٤/–١٢٢٥م) كثير الدعابة له شعر فيه ضعف ورقة، سكن مصر وتوفي بها، انظر: الأعلام للزركلي، ج٦،ص١٧٨.

(٢) هذه الكلمة ساقطة في مخطوط (ز.س.خ) ص١٩.

ولـبـستُ الـشـبـابَ بُـرداً فَـسَـلْـهم
لِمَ أفـنـوا بُـردي وأفـتـوا بـردّي

وقال بعض الشعراء:

[الطويل]

روتْ لـي أحـاديثَ الـغـرامِ صـبـابـتي
بـإسـنـادهـا عن بـانـة الـعَـلَـمِ الـفـردِ
وأخـبـرني مَـرُّ الـنـسـيـمِ عن الحِـمى
عن الرّوح، عن وَادي الغضا[1] عن رُبا نجد
فـإنّ فـؤادي والـهـوى قـد تحـالـفـا
فلن يـبـرحـا حتى أُوسَّـدَ في لحـدي

وللقاضي أبي محمد عبدالوهاب وقد هجره بعض أخلاَّئه فكتب إليه:

[الرجز]

يـا سـيّـدي لي عـنـدكم مَـظْـلـمَهْ
فاستفتِ فـيـهـا ابنَ أبي خـيـثـمَهْ[2]
فـإنّه خـرّجَ عن شـيـخِـهِ[3]
يـحـكي عن الـضـحّـاكِ عن عِكـرمه[4]

(١) الغضا: شجر ينبت في الرمال: طيب الرائحة يقال إنه إذا استعمل حطبه للوقود لا تنطفئ ناره مهما بدت للعيان غير مشتعلة.

(٢) ابن أبي خيثمة: هو أحمد بن زهير بن حرب بن شداد النسائي ثم البغدادي (١٨٥-٢٢٩هـ/٨٠١-٨٤٣م) راوية للأدب ومن حفاظ الأحاديث أخذ عن أحمد بن حنبل وعن مصعب بن عبدالله بن الزبير وابن سلام الجمحي، انظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، ج٤، ص١٦٢-١٦٤، الأعلام للزركلي، ج١، ص١٣٣.

(٣) البيت مختل ونظن الصواب: شيوخه

(٤) عكرمة: هو أبو عبدالله عكرمة بن عبدالله مولى عبدالله بن العباس، أصله من البربر من أهل المغرب وُهب لابن عباس حين ولي البصرة واجتهد في تعليمه حتى قال له: انطلق فأفتِ الناس، وقيل لسعد بن جبير هل تعلم أحداً أعلم منك؟ قال: عكرمة، وروى عن مجموعة من الصحابة، وفاته قبل ١٠٧هـ، ويعد من الطبقة الثالثة من الحفاظ، انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي، ج١، ص٩٥،٩٦، والوفيات لابن خلكان، ج٣، ص٢٦٥-٢٦٦.

(٥) الصحابي الجليل عبدالله بن عباس، انظر من حوله: تذكرة الحفاظ للذهبي، ج١، ص٤٠-٤١، ويعد من الطبقة الأولى.

(٦) هنا إشارة إلى حديث نبوي شريف: لا يحل للمؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام، أولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام، انظر: صحيح مسلم، باب تحريم الهجر فوق ثلاثة أيام بلا عذر شرعي، ج٥، ص٤٢٢ و٤٢٥.

عنِ ابن عــبّــاسٍ[٥] عن المــصــطــفى
نــبــيّــنــا المخـصـــوصِ بــالمرحــمه

بـــــأنّ من يــــــهــــــجـــــر خِـلأّنـه
فـــوق ثلاثٍ ربُّــــنـــــا حـــــرَّمَهْ[٦]

وأنتَ مُــذْ شــــهــرٍ لــــنــا هـــاجــرٌ
أمَــا تــخــاف الــلــهَ فــيــنـــا فَـمَهْ !

فكاهة

كتب بعض الأدباء إلى القاضي منذر بن سعيد:[١]

[السريع]

مــسـألــةٌ جــئـتُكَ مُـسـتـفـتـيـاً
عــنــهــا، وأنتَ الــعــالِمُ المــسـتـشـارْ

عَــلَى مَ تحــمــرُّ وجُــوهُ الــظِّــبــا
وأوجُهُ الــعُـشّـاقِ فــيــهــا اصــفِـرارْ

فراجعه منذر بقوله:

[السريع]

احــمــرّ وجهُ الــظَّــبيِ إذ لـــحــظُهُ
ســيفٌ عــلى الــعُشّــاقِ فــيه احــوِرارْ

واصـــفـــرَّ وجهُ الـــصبِّ لمـــا نـــأى
والــشــمسُ تــبــقى لــلــمـغـيب اصـفـرارْ

---

(١) هوالقاضي منذر بن سعيد البلوطي نسبة إلى فحص البلوط **el pedroche** بضواحي قرطبة، ولي القضاء بقرطبة عام ٣٣٩هـ أيام عبدالرحمن الثالث الملقب بالناصر وابنه الحكم وعاش ما بين (٢٧٣-٣٥٥هـ٨٨٦/-٩٦٦م) بربري الأصل له مواقف مشهودات رواها ياقوت الحموي في معجمه: معجم الأدباء، ج١٤،ص١٧٧-١٨٥، انظر من حوله: قضاة قرطبة للخشني، ص ١٧٥-١٧٦، ومطمح الأنفس لابن خاقان، ص٣٧-٤٦، وأزهار الرياض للمقري، ج٢، ص٢٧٢-٢٨١، ونفح الطيب للمقري، ج١، ص٣٤٨، وبغية الوعاة للسيوطي، ص٣٩٨.

(٢) ابن سعيد: هوعلي بن موسى بن محمد بن عبدالملك بن سعيد القلعي (٦١٠ -٦٧٣أو٦٨٥هـ١٢١٣/-١٢٧٤ أو١٢٨٦م) انظر: نفح الطيب للمقري، ج١،ص٤،سمي ابن سعيد بالقلعي نسبة الى قلعة يحصب والتي تسمى اليوم(**Alcalà la Real**)
انظر: **Emilio Garcia Gomez: EL libro de los banderas de las campeadores**
وهو ترجمة لكتاب ابن سعيد: رايات المبرزين، ينظر المقدمة وانظر من حوله كذلك:
G.Potiron: un poligraph andalous de siecle, art publ en Arabica 1966 pp:142-167

مذهبة:

قال ابن سعيد[٢]: سمعت كثيرًا من خفايف السماع المشرقي، فلم يهزني مثل قول الشريف شمس الدين المكي:

[مجزوء الرمل]

مُقَلٌ بالدّمع غَرْقى
وفؤادٌ طار خَفْقا
وتثنٍّ وتجنٍّ
شقّ جيبَ الصّبر شقّا
يا ثِقاتي خبِّروني
عن حديث اليومِ حقّا
أكذا كلُّ مُحبٍّ
فاز والأحبابُ تشقى
لا وعيشٍ قد تقضَّى
وغرامٍ قد تبقَّى
ونعيمٍ في ذُرَاكم
قد صفا دَهرًا ورقّا
ونسيمٍ من حِماكم
حملَ الوجدَ فرقّا
برسالاتِ صَبابا
تٍ على المشتاق تُلقى
وغصونٍ ناعماتٍ

---

(١) الدوبيتي: هوقالب شعري قد دخل العربية من الفارسية اصطلح عليه بالرباعية، ويقال إن أقدم ما وصل إلينا منه في الأدبين العربي والفارسي يعود إلى القرن الخامس الهجري، ويقول الباحث هلال ناجي إنه استطاع أن يظفر برباعية تعود إلى القرن الرابع الهجري، أما ما وصل من مصنفات في هذا الغرض فيعود للقرن السابع الهجري ككتاب «المعجم في معايير أشعار العرب» لشمس الدين محمد بن قيس الرازي، ثم الرسالتين المشهورتين للشاعر الكبير المغربي الأندلسي مالك بن المرحل (٦٠٤-٦٩٩هـ)وقد صنف الدكتور كامل الشيبي كتاب ديوان «الدوبيت في الشعر العربي في عشرة قرون». للدوبيت أعاريض خمسة وضروب سبعة ويدخله الزحاف والعلل وفيه المنهوك وفيه المشطور، انظر: مجلة المورد/ المجلد الثالث، العدد الرابع، رسالتان فريدتان في عروض الدوبيت، تصنيف مالك بن المرحل: تحقيق هلال ناجي، رئيس اتحاد المؤلفين والكتاب بالعراق، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٥، ص١٤٥-١٧٤.

بمـــيَـــــاهِ الـــــدَنِّ تُـــســـــقـى
ووجـــــوهٍ فـــضْنَ حُـــســـنًـــا
فـــمـلأنَ الأرضَ عـــشـــقـــا
لـــو رضـــيـــتـم بيَ عـــبـــدًا
مـــا رضـــيتُ الـــدهـــرَ عِـــتْـقـــا

قال: وسمعت في سماعهم كثيرًا من الرُّباعيات المشهورة بالدُّبيتي[١] فكان مما لم يسعني إلاّ حفظه قول أيدمُر التركي:

[الدوبيت]

بـــالـلـه إذا جـــزتَ عـلـى نُـــعـمـانِ
انْـشُـدْ قـلـبًـا قـد ضـاع عن جـثـمانِ
واحـذرْ يـعـطـوكَ غـيـرَ قـلـبي غـلـطـا
فـالـقـومُ لـديـهـم كلُّ قـلـبٍ عَـانِ

وقال مؤلف كتاب «المطمح»[١] :إن أبا الوليد بن عتّال[٢] لما انصرف من الحجّ اجتمع مع أبي الطيب المتنبي في مسجد عمروبن العاص ففاوضه قليلاً ثم قال له: أنشدني لمَليح الأندلس؛ يعني ابن عبدربّه[٣] فأنشده:

[الكامل]

يـا لـؤلـؤًا يـسـبي الـعـقـولَ أنـيـقـا

(١) المطمح هوكتاب (مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملمح أهل الأندلس) تأليف الوزير الكاتب أبي نصر الفتح بن خاقان ابن محمد بن عبدالله القيسي تغمده الله بالرحمة والرضوان وهومما لم يذكره في قلائد العقيان، هكذا ورد ذكر العنوان كاملاً في طبعة نادرة، طبع الجوائب، القسطنطينية، ١٣٠٢هـ.

(٢) ورد في مخطوط ابن هذيل «أبوالوليد بن عتال»، أما مصدره وهو المطمح فيذكره بالخطيب أبي الوليد بن عباد ويورد الأبيات الأربعة متطابقة ما عدا كلمة واحدة في الشطر الثاني من البيت الأول فعوض (بتعذيب) يذكر صاحب المطمح (بتقطيع)، انظر: مطمح الأنفس لابن خاقان، ص٥٢.

(٣) هوأحمد بن محمد بن عبدربه بن حبيب بن حدير بن سالم مولى هشام بن عبدالرحمن... أبوعمر من أهل الأدب والعلم والشعر وله الكتاب الكبير المسمى كتاب العقد، مولده سنة٢٤٦هـ٨٦٠/م وتوفي في ٣٢٨هـ٩٣٩/م كما يقول الحميدي في جذوة المقتبس، ص٩٤-٩٦ لابن عبدربه أشعار كثيرة سماها الممحِّصات وعمد إلى نقض كل قطعة قالها في الصبا والغزل، بقطعة في المواعظ والزهد ممحصاً بها كالتوبة منها، انظر من حول حياته: معجم الأدباء لياقوت، ج٤، ص٢١٢، والوفيات لابن خلكان، ج١،ص٣٩-٤١، الروض المعطار للحميري، ترجمة ماريا بيلار مايستروغونثالث، ص٤٢-٤٣، الوافي بالوفيات للصفدي، ج٣، ص١١٥-١١٦ .

Al. Andalus 1970 Notas Sobre La poésia Amorosa de Ibn Abd Rabbihi. J.M.Continente Ferrer. PP: 355 - 380. Encyclopedie. Vols. 3pp698 - 699.

هذه الدراسة توضح بعض ملامح تأثير العباس بن الأحنف في ابن عبدربه..

ورشـاً بـتـعـذيب الـقُـلـوبِ رفـيـقـا

مــا إن رأيتُ ولا ســمــعتُ بمــثــلـهِ

دُرّاً يـعـود من الـحـيـاءِ عـقـيـقـا

وإذا نـظــرتَ إلى مــحــاسن وجــههِ

أبـصـرتَ وجـهكَ في سـنـاه غـريـقـا

يــا من تَـقــطّعَ خَـصــرُه من رِقّــةٍ

مـا بـالُ قـلـبكَ لا يـكـون رقـيـقـا!

فلما أكمل إنشادَها استعادها ثم صفق بيديه وقال: يا ابن عبدربه لقد تأتيك العراق حبْواً.

وقال مؤلف كتاب: «واجب الأدب ممًّا يجب حفظه من مخترعات الأندلسيين» قول ابن عبد ربِّه[1]:

[الكامل]

يَـا ذا الــذي خـطَّ الـعِـذارُ بــخـدّه

خَــطَّــين هــاجــا لَــوْعــة وبَلابِلا

مــا كـنتُ أقــطع أن لحـظكَ صـارِمـاً

حـتى حـمـلتُ من الـعِـذار حـمـايلا[2]

فكاهة:

كان الأديب المحدّث أبوالرّبيع سليمان بن علي الشبلي[3] الشهير بكُثَيِّر يهوى غلاماً، وكان الغلام يتجنىّ عليه ويقول: إنه أبرد من الثّلج، فخاطبه كُثيِّر بقوله:

[الخفيف]

يــا حــبـيــبــاً له كلامٌ خَــلُــوبُ

قُـلِّــبتْ في لَـظَى هـواهُ الـقُـلـوبُ

كــيف تــعــزو إلى مُــحــبِّكَ بَــرْداً

---

(١) انظر: معجم الأدباء لياقوت ج٤، ص٢١٢.

(٢) ورد ذكر البيتين في المطمح لابن خاقان هكذا، ص٥٢ . [الكامل]

يا ذا الذي خطّ الجمالُ بخــدّهِ خطّين هاجا لوعـةً وبلابــلا

ما صحّ عندي أن لحظكَ صارمٌ حتى لبســتَ بعارضيك حمائلا

(٣) ورد في مخطوط (ب.ح) الشبلي ص ١١، أما في مخطوط (ز.س.خ) فقد ورد الشلبي ص٢٣.

ومن الحبّ في حَشاه لهيب

أنتَ شمسٌ وقلتَ إنِّيَ ثلجٌ

فلهذا إذا طلعْتَ أذُوبُ

مذهبة:

روي أنه كان أهل الكوفة يقولون: من لم يرو هذه الأبيات فهوناقص المروءة، وما كان بالكوفة رجل له قدرُ إلاَّ وهويحفظُ هذه الأبيات ويرويها:

[الطويل]

وصهباءَ[1] جُرجانيّةٍ لم يطُفْ بها

حليمٌ، ولم تشعر بها ساعةً قِدرُ

ولم يشهدِ القسُّ المهيمن نارَها

طروقاً، ولم يحضر على طبخها حَبْر

أتاني بها يحيى وقد نمتُ نومةً

وقد لاحتِ الشِّعْرَى[2] ، وقد طلع النسر[3]

فقلتُ اصطبحْها أولغيريَ أهدِها

فما أنا بعدَ الشّيبِ ويحكَ والخمر!

تعفّفتُ عنها في العصورالتي خلتْ

فكيف التّصابي بعْدما بَعُدَ العمر؟!

إذا المرءُ لاقى الأربعين ولم يكنْ

له دُون ما يأتي حياءٌ ولا سِتر:

فدعْهُ ولا تنفسْ عليه الذي أتى

وإن جرّ أسبابَ الحياةِ له الدّهر

---

(١) من أسماء الخمرة وهي الحمراء إلى البياض وهي التي اتخذت من العنب الأبيض، وهي التي تشبه الأصهب من الشعر وكذلك الكميت، وقال أبوعبيدة: كل ما كان منها يضرب إلى البياض فهي صهباء، وجرجانية نسبة إلى إقليم جرجان، انظر: قطب السرور في أوصاف الأنبذة والخمور للرقيق القيرواني، ص ٣٣.

(٢) الشعرى: هناك الشعرى العبور والشعرى الغميصاء، والشعرى العبور وهي نجم كبير مزهر وهي التي تبعث سهيلاً في اتجاه اليمن فعبرت المجرة وبقيت الغميصاء، فبكت لفقد سهيل حتى غمصت عينها، وهي أقل نوراً من العبور كما تقول العرب، انظر: كتاب الأنواء لابن قتيبة، ص ٤٦–٤٧.

(٣) النسر أوالنسران أحدهما الواقع والآخر الطائر وهما شاميان، فأما الواقع فكوكب منير خلفه كوكبان أصغر منه،

وحدّث يحيى بن البحتري قال: ذاكَرَ أبي جماعة من شعراء الشام بمعانٍ من الأشعار فمرَّ فيها قلة نوم العاشق وما قِيل فيه فأنشدهم:

[مجزوء الرمل]

أحسب النومَ حَكاكا
إذ رأى منكَ جَفاكا

مِنِّيَ الصّبْرُ ومنكَ الْـ
ـهَجْرُ فابلغْ في مَداكا

بعُدتْ هِمّةُ عينٍ
طمعتْ في أن تراكا

أوَما يكفي لعيني
أن ترى من قد راكا

ليت حظّي منك َأن نَعْـ
ـلَمَ ما بي من هواكا[1]

ثم قال تصرّفت هذه الأبيات في معانٍ من الشعر أحسن من جميعها، فاكتبوا عنه بأجمعهم. ولمحمد بن كناسة:

[المنسرح]

فِيَّ انقباضٌ وحِشمةٌ فإذا
لاقيتُ أهلَ الوفاءِ والكرَمِ

أرسلتُ نفسي على سجيّتها
وقُلتُ ما شئْتُ غيرَ مُحتشمِ

قال إسحاق الموصلي[2]: وددتُ أنَّهُما لي وينقص من عمري سنتان.

فكاهة:

(١) لا وجود لهذه الأبيات في ديوان البحتري شرح الدكتور يوسف الشيخ محمد، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٠.

(٢) هو إسحاق بن إبراهيم الموصلي توفي سنة ٢٣٥هـ، انظر من حوله: الأغاني ج٥، حيث توجد ترجمة عن حياته مفصلة ابتداء من ص٢٤٢، طبقات الشعراء لابن المعتز، ص٣٦٠-٣٦٢، الموشح للمرزباني ص٤٦٠-٤٦٢، تاريخ بغداد، ج٦، ص٣٣٨.

(٣) هوالحافظ أبوطارة محمد بن إبراهيم سلفه الأصبهاني (٤٧٨-٥٧٦هـ١٠٨٥/-١١٨٠م) الوفيات لابن خلكان، ج١، ص ١٠٥-١٠٧ ، أزهار الرياض للمقري ج٣، ص١٦٧ ، الأعلام للزركلي، ج١، ص٢٠٩.

(٤) الصلف: مجاوزة القدر في الظرف والبراعة والادعاء فوق ذلك تكبراً.

قال السَّلف[٣] دَخل مهران الطبَّاخ على بعض الرُّؤساء، وكان أبوالوفاء المافروخي حاضرًا فقعد فوقه، فقال أبوالوفاء على البديهة في الحال:

[البسيط]

تَـخلَّ عن صـلفٍ[٤] لم تُـؤتَ عن شـرفٍ
فـلـيس كـبـرُكَ عن قَـدْرٍ ومَـعـرفـةِ
لأن والـــدكَ الــطــبّــاخ أعـــرفـه
فـانـشـرْ حـديـثَكَ عن قِـدْرٍ ومِـغـرفـةِ

ولطبّاخ بن عامر السّمعي:

[الوافر]

طـبـخـتُ قـلـيّـةً من كِـبْـد جِـسـمي
بـنـار الـشـوقِ في قِـدْر الـبِـعَـادِ
وأنـــبـــذُ حـــبَّـــهم في دنٍّ قـــلـــبي
فـعـربـدتِ الـهـمـومُ عـلـى فـؤادي

وللبيب الحجّام:

[الطويل]

حلقتُ بموسى الـهجرِ ناصيةَ الـعهدِ
وأجـريتُ مُشطَ الـصدِّ في طُرّة[١] الـودِّ
قصصتُ بمقراض القِلى جُمَّةَ[٢] الـوفا
فـجبـهةُ رأسِ الـودّ مكشـوفـةُ الجـلد
وشعرُ سبـالِ الـوصلِ صرتُ مُـنـقّـيـاً
طلـوبًـا بمنـقـاش الـقطيـعـةِ والـصدّ
ومـازلتُ مَـصّـاصـاً بـغـيـر إسـاءةٍ

(١) طرة كل شيء: حرفه، والجمع طُرَر وطِرار، والطرة من الشعر الناصية.

(٢) جمة بالضم: مجتمع شعر الرأس وهي أكثر من الوفرة، تصغير جميمة، وتجمع على جُمم وجِمام، ويقال إن الجمة الشعر، وقيل الجمة من الشعر أكثر من اللمة.

(٣) يقول ابن الخطيب: هو الكاتب الرئيس أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن صفوان القيسي الشاعر الزاهد وحيد زمانه في فك المعمّى والصعب توفي عام ٥٩٨هـ ومولده عام ٥٦٠هـ، انظر من حوله: ابن الخطيب، الإحاطة، ج٣، ص٢٣٦-٢٣٩، ابن الخطيب، الكتيبة الكامنة، ص ٢١٦-٢٢٣ ، وزاد المسافر لصفوان بن إدريس ص٩-١٣.

(٤) أغيد: من غيد غيداً وهو أغيد، مال عنقه ولانت أعطافه، ظبي أغيد.

بمحْجمَة الخُلفِ القبيحِ دَمَ الوعدِ

مُذهَبَة:

لأبي عمر بن إدريس الخطيب بمرسية[٣]:

[الطويل]

وأغْيدَ[٤] حظِّي منه ما اختلس الطَّرْفُ
يُميلُ بقلبي نحوه الحسنُ والظَّرفُ
غزالٌ ضعيفُ اللّحظِ - ويحِي - وإنّما
جفَى ضعفَ صبري في الهوى ذلك الضعف
هوالخِشفُ[١] إلاَّ أنَّه كلَّما رنى
جزعتُ وفي المُعتاد أن يجزع الخشفُ
أرى هجره وقْعاً عليَّ فهَلْ غَدا
جزاءً على أنِّي على حُبّه وقفُ
سلوهُ برفقٍ هل جنيتُ جنايةً
فإن قال إنّي فاسألُوهُ عَسىَ يعف
ويصرفني من جَوْره نحوعدلهِ
فها أنا لا عدلٌ لديَّ ولا صرف
سأثنيه نحْوي بالقوافي فإنَّها
نسيمٌ ويحكي الغُصنُ لي ذلك العِطف
قنعتُ بأن يهدي إليَّ سلامَه
إذا لم يكن زهرٌ من الرّوض فالعَرفُ[٢]

وقال بعضهم:

[الطويل]

غرستُ الهوى حتّى إذا أورقَ الهوى

---

(١) الخشف: هوالظبي بعد أن يكون جداية، وقيل هوخشف أول ما يولد، وقيل أول مشيه، والجمع خِشَفة، والأنثى بالهاء، أما الأصمعي فقال أول ما يولد الظبي فهو طلا، وقال غير واحد من الأعراب ثم طلاً ثم خشف.

وأيْـنَـعَ في أغـصـانه ثـمـرُ الـوصـلِ

وحـــفَّتْ بـه أزهـــارُه في ريــــاضه

فـأصـبحَ مـلـتفَّ الحـدائق بـالحـقل

ولم يــبقَ لي إلاَّ اجــتـنـاءُ ثِـمـــاره

سـرورِ الـتّـصـافي والمـودّةِ والـقُـبل

---

(١) ابن خاتمة: هو أحمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن خاتمة الأنصاري من أهل المرية يكنى أبا جعفر ويعرف بابن خاتمة، هذا الرجل هو من مفاخر إمارة غرناطة، له أخ شاعر اسمه محمد بن علي ويكنى أبا عبدالله توفي بمرض الطاعون عام٧٥٠هـ، ترجم له ابن الخطيب في الإحاطة، ج١، ص٤١٢، وكذلك ابن القاضي في درة الحجال، ج١، ص١٩٤–١٩٦. كان أبوجعفر ابن خاتمة من كبار الشعراء والكتاب، دخل غرناطة غير ما مرة، منها في استدعاء شمل الوجهاء من الأقطار الأندلسية عند إعذار الأمراء في الدولة النصرية (اليوسفية) وذلك في شهر شعبان عام ٧٥١هـ، كما ذكر ابن الخطيب في الإحاطة، ج١، ص٢٥٢–٢٥٤، من جميل شعره قصيدته التي مطلعها:

من لم يشاهد موقفاً لفراقِ　　　لم يدرِ كيف تَولُّهُ العشّاقِ

أثبت منها ابن الخطيب ٢٧ بيتًا وقد لاحظت تأثير هذه القصيدة على قصيدة ابن الخلوف القسنطيني شاعر الدولة الحفصية والتي في نفس الغرض الغزلي والتي مطلعها:

من لم ترمه صوارمُ الأحداقِ　　　لم يدرِ كيف مصارعُ العشاقِ

وهي ٤٥ بيتاً توجد ضمن ديوانه، ص١٢٧–١٣٠، وكلا القصيدتين قد تأثرتا في رأيي بقصائد الشاعر الغرناطي ابن خلصون، انظر: الإحاطة، ج٣، ص٢٥٨. ومن عجيب الأمور أن الكثير من شعر ابن خاتمة غير مثبت في ديوانه الذي حققه د.محمد رضوان الداية عام ١٩٧٢، وهذه القصيدة التي سبق ذكرها غير مثبتة في الديوان المحقق، قال فيه ابن الخطيب الذي كان يكن له احتراماً كبيرًا:　　　[مجزوء الكامل]

قسماً بالكواكب الزُّهْر والزهر عاتمه　　　إنما الفضلُ ملّةٌ خُتمتْ بابن خاتمه

جاء في درة الحجال لابن القاضي، ج١، ص٨١–٨٢ أن له كتابًا بعنوان: مزية ألمرية على غيرها من البلدان الأندلسية، وقد ذكر المقري في النفح، ج١ص١٥٤، أنه مجلد ضخم يقول تركته من جمل كتبي بالمغرب (تلمسان) وهذا بعد رحيله إلى المشرق. أما في مقدمة تحقيق الديوان فيقول في شأن ابن خاتمة له: «تحصيل غرض المقاصد في تفصيل المرض الوافد» تحدث في هذا الكتاب عن الطاعون الذي اجتاح الأندلس في حدود ٧٤٩هـ، وقد أودى بحياة العديد من البشر وخاصة كبار مشايخ العلم في مملكة غرناطة، اهتمت بأعماله الأديبة المستشرقة الكبيرة **Solidad Gidert Fenech** تحقيقاً وترجمة ودراسة منها

Una El Dewan de Ibn Jatima de Almeria. Barcelona. 1995.
colleccion de Tawriyas de Ibu Jafar Ahmed B. Jatima.

(رائق التحلية في رائق التورية)

etude de l'orientalisme dotie a la memoire de Levi-Provencal, tome2, 1962. Un tratado de Ibn Jatima sobre los enemigos de los amantes "Al Andalus".

(الفصل العادل بين الرقيب والواشي والعاذل) مجلة الأندلس **1963**.

كما وقعت الباحثة مقالاً باسمها في دائرة المعارف الإسلامية **Enciclopedia, tome3 p 861**. .

وورد ذكر ابن خاتمة في أزهار الرياض للمقري ، ج١ ص٢٣، ٢٥، ٢٦٥. ,عيد فيه ما ذكره ابن الخطيب في الإحاطة ج١، ص٢٤٧–٢٦٧ ، وذكر كذلك في نثير فرائد الجمان لابن الأحمر ص٣٣١–٣٣٢ ، والكتيبة الكامنة لابن الخطيب ص٢٣٩– ٢٤٥، ونفح الطيب للمقري، ج٨، ص١٤٧–١٤٨، ونيل الابتهاج بتطريز الديباج للتنبكتي الذي يحدد تاريخ وفاة ابن خاتمة بعام٧٧٠هـ.

أطـافتْ به ريحُ الـوشــاةِ فــهـيّـجـتْ

سـحـــابــةَ هُـجــرانٍ تــكبّ عــلـى رَسْلْ

ودبّتْ سـيُـولُ الـهـجـرِ حـول أُصـولهِ

بـأمـواجـهـا فـاسـتـقْلـعـتْهُ من الأصْلِ

(١) هو الشيخ أبو البركات محمد بن أبي بكر بن محمد بن إبراهيم بن الحاج البلفيقي نسبة إلى حصن بلفيق، السلُّمي (٦٨١؟-٧٧١هـ١٢٨٢/-١٣٧٠م) من أساتذة ابن الخطيب، فقيه وأديب وشاعر، يقول عنه ابن الخطيب: ولولم يكن من هذه الطبقة الجليلة إلا هذا الرجل لكان كافيًا رحمة الله تعالى عليه، الكتيبة، ص١٣٤، وربما يقصد ابن الخطيب بالطبقة، الطبقة الأولى من علماء وأدباء مملكة غرناطة حين استقلت بشخصيتها التي ظهر فيها أسماء معاصرون لأبي البركات أمثال الشاعر والفقيه ابن الجياب، والوزير ابن الحكيم، والشاعر ابن خميس التلمساني، والشاعر والفقيه الشريف الغرناطي، والشاعر والطبيب العالم ابن هذيل، والشاعر ابن جزي الأكبر ،والشاعر والفقيه ابن شبرين، والشاعر ابن المرحل، وابن سلمون، وابن خلصون، وغيرهم كثيرون. لقد ألف أبوالبركات العديد من الكتب ولكن لسوء الحظ لم يصلنا منها ولو كتاب ولكن كما يقول في الإحاطة وأما تواليفي فأكثرها أوكلها غير متمم في مبيضات وقد ذكر له ابن الخطيب أزيد من عشرين عنواناً، انظر: الإحاطة، ج٢، ص ١٤٨-١٤٩. وأما الأسباب التي جعلته لا يتم هذه المؤلفات فإن أبا البركات يحصرها في ستة أسباب، انظر: الإحاطة ج٢، ص١٤٩. امتاز شعر البلفيقي بالجودة والسهولة المتنعة ويعد حسب رأيي من أعظم شعراء الدولة النصرية ولووصلنا ديوانه «العذب والأجاج من كلام أبي البركات ابن الحاج» والذي انتخب منه معاصره الشاعر الشريف الغرناطي الحسيني مجموعة سماها «اللؤلؤ والمرجان من بحر أبي البركات يُستخرجان» لأعطانا صورة ولو مقتضبة عن شاعريته، كما ألف كتابًا آخر رد فيه على معاصره الشاعر ابن صفوان عنوانه «شواظ من نار ونحاس يرسل على من لا يعرف قدره وقدر غيره من الناس» وله كذلك كتاب تاريخ ألمرية وأظن أن ابن خاتمة يأخذ منه، وكتاب «شعر من لا شعر له» خصصه للعلماء والفقهاء والنحويين الأدعياء على الشعر. لقد تعرض له بالترجمة الضافية ابن الخطيب في الإحاطة، ج٢، ص١٤٣-١٦٩، وج٣، ص٦٢، المرتبة العليا للقاضي النباهي ص١٦٤-١٦٧، الكتيبة الكامنة لابن الخطيب، ص٧٩-٨٢، نفح الطيب للمقري، ج٧، ص٣٩١-٤٠٨، الديباج المذهب لابن فرحون، ج٢، ص٢٦٩-٢٧٤ ،كما اهتمت المستشرقة الإسبانية **Soledad Gibert Fenech** بأبي البركات في دراسة نشرتها في مجلة **Al-Andalus** بعنوان:

Abu Al- Barakat Al- Balafiqi, Qadi, Historiador y Poeta, Al-Andalus 1963

(٢) نسبة إلى آل العزفي ولاة مقاطعة سبتة، يقول ابن الخطيب: ...رياسة آل العزفي لسبتة بدأت في سنة ٦٤٧هـ١٢٤٩/م بينما قامت بها ثورة ضد الموحدين وانتهت باختيار قاضيها وكبير علمائها أبي القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن الحسين اللخمي العزفي رئيسًا لها واستمرت رياسة أبي القاسم لسبتة (وأحيانا لطنجةوأحوازها) حتى وفاته سنة ٦٧٧هـ١٢٧٨/م. وهو الذي أكمل كتاب أبيه العلامة الورع الزاهد أبي العباس العزفي (٥٥٧-٦٣٣هـ١٢٣٦/-١٢٦٢م) «الدر المنظم في مولد النبي المعظم»، وخلفه في إمارة سبتة ولده أبوطالب واستمرت رياسته حتى استولى بنومرين على سبتة سنة ٧٠٥هـ وتوفي مخلوعاً بفاس سنة ٧١٣هـ، وتولى بعض أفراد الأسرة بعد ذلك رياسة سبتة من قبل بني مرين فتولى يحيى رياستها حتى وفاته سنة ٧١٩هـ، ثم تولى والده محمد وخلع في صفر سنة ٧٢٠هـ وانتقل إلى غرناطة، وكان آل العزفي من أعرق الأسر جاهًا وعلمًا وفضلاً، مدحهم الشاعر ابن خميس التلمساني مؤكدًا على نسبهم اللخمي ديوان ابن خميس التلمساني: الدر النفيس من شعر ابن خميس، ص٥٠، لكن ابن الخطيب يشكك في هذه الأنساب المزعومة قائلاً: وقد اشتهر بانتحال هذه الأنساب الموالي، كذلك شكك ابن خلدون بدوره، انظر حول هذه الأسرة ابن الخطيب، الإحاطة، ج٣، ص١١-١٧ و١٣٤-١٣٥و٣٨١-٣٨٥، نفح الطيب للمقري ج٧، ص٣٩٨، عبدالله قنون: أبوالعباس العزفي سلسلة مشاهير رجال المغرب، رقم ٢٧، تطوان.

فكاهة:

فقلتُ من تـأليفٍ للفقيه الأديب أبي جعفر ابن خـاتمة[١] قـال: حدّثني شيخنـا القاضـي الخطيب أبوالبركات بن الحاج البَلَفيقِي[١] قال: كان الشيخ أبوأميَّة بن حمدُون الإشبيلي من أهل العِلم والفضل والدُّعابة التي صارت له مَلَكَة حتى وقعت له نادرة في أبي القاسم العَزَفي[٢]والي سبْتة فـأمر بإخراجه منها فـأجاز البحر إلى الجزيرة الخضـراء وكانت له امرأةً سيِّئة الخلق والمعاملة له، تُخاطبُه على أدنى شيءٍ بالقبيح، سَمِعَها بعض الطَّلبة القارئين عليه تقول له وهو دَاخل لِدَاره على إثْر ما غَسلَتْها: شيخ سوزُوّل قرقك [١] هناك لناحية من الدّار، فقال لها: نعم، فقالوا له يومًا: يا سيّدنا وتصبرُ على سوءِ مُعاملة هذه المرأة وسماجَةِ أخلاقها ! سمعناها تقول لك كذا، وكان يقرأ عليه الأمير أبوعبدالله محمّد بن السلطان المعظّم الكبير الشهير أمير المسلمين محمد بن يوسف بن نصْر وَالي الجزيرة[٢]، فقال لهم الأميرُ: يقولُ لي سيِّدي وأنتم كذلك، فلوكانت تُخاطبني بسيِّدي لفسد مزاجي؛ سيّدي من خارج ودَاخل، دعها تعدّل مزاجي، لاَ أَقل من سيدي من خارج، وشيخ سوء من داخل.

مذهبة:

قال ابن خاتمة: وحدَّثني الشريف الأديب أبوعبدالله بن رَاجح التُّونسي[ ][٣] مقدمه علينا بألمرية قال: سَجن القاضي أبوعبدالسلام[٤] شابًا وسيماً لحقٍّ تعيّنَ عليه فأنشدتُه مُداعباً:

[الوافر]

أقـاضي المسـلمـين حَـكمت حُـكمـاً
غــدا وَجهُ الــزمـــانِ له عَــبـــوســا

(١) المقصود هنا أن الزوجة خاطبت زوجها باللهجة الأندلسية قائلة له: اخلع قرقك أي نعليك، والقرق هونوع من الأحذية المصنوع من شعر الخيل وظلت تستعمل في أرياف إفريقيا الشمالية إلى حدود الستينيات من القرن العشرين.

(٢) هوأبومحمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر، أنصاري مولده بغرناطة عام ٦٣٣هـ، انظر: الإحاطة لابن الخطيب، ج١، ص٥٦٤-٥٧٤.

(٣) يظهر أن كلمة ناقصة في المخطوطتين ربما [أثناء].

(٤) القاضي أبوعبدالسلام: هو أبو محمد عبدالعزيز بن عبدالسلام بن أبي القاسم بن الحسن الدمشقي، عز الدين الملقب بسلطان العلماء، فقيه شافعي بلغ رتبة الاجتهاد، ولد سنة ٥٧٧هـ وتوفي سنة ٦٦٠هـ، من كتبه: التفسير الكبير، قواعد الأحكام في إصلاح الأنام، انظر: كتاب الوفيات، ص٣٢٧-٣٢٨.

سـجـنتَ عـلى الـدراهم ذا جَـمَـالٍ
ولم تـسـجـنه إذْ غَـصَبَ الـنّـفُوسا !

قال: فأجابني بأن قال: إنَّما شكاهُ إليَّ أربابُ الدراهم دُون أرباب النفوس. وفي صبيٍّ ضُرب وسُجنَ:

[الطويل]

بـنـفسيَ من لم يـضربـوه لـريـبـةٍ
ولكنْ، ليبدو الوردُ في سائر الغُصنِ
ولم يُـودعُـوه الـسـجنَ إلاَّ مَـخـافـةً
من الـعـين أن تـعـدوعلى ذلك الحُسن

وقالوا له:شاركْت في الحُسْنِ يوسفاً فشارِكْه أيضاً في الدخول إلى السّجن، وقال بعضهم:

[البسيط]

أشـكـو إلى الـلـه من نـارَيْنِ: واحـدةٍ
في وَجـنـتـيْه، وأُخرى منه في كبدي
ومن سـقـامـيْن: سُـقمٍ قـد أَهلَّ دَمي
من الجُـفُون، وسُقمٍ منه في جَسَدي
ومن نَـمـيـمـيْن: دَمعٍ حـين أذكُـره
يُـذيعُ سِرِّي، وواشٍ مـنه بـالـرَّصَدِ
ومن ضعيفَين: صبْرُ حـين يـهجُرني
وودّه ويـراهُ الـنـاسُ طـوْعَ يَـدِي

وقال بعضهم:

[الطويل]

وسـامـعـةٍ شَكْـوايَ والـلـيلُ عـاكـفٌ
وقـد هُـيِّـجتْ لي زفـرةٌ ونـحـيبُ
تـقولُ وقد طال الـوقوفُ بـبـابـهـا
مَنِ الـوَاقفُ الـبـاكي؟ فـقـلت: غـريبُ

فقالت أَلَستَ الناقِضَ العهدِ ما الذي
أتَى بِكَ يا غَدَّارُ؟ قُلتُ خُطوبُ
فقالت: أتانا مُخبرٌ عنك بالذي
أذعتَ من الأسرار، قلتُ: كذُوب
فقالت: بَلَىَ قَدْ جاءنا غيرُ واحدٍ
أمينٌ، صدوقُ القولِ، قلتُ: أتوب
فقالت: أهذا ما الذي أنتَ صانعٌ
إذا نحن أقصيْناكَ، قلتُ: أذوبُ
فرقّت لحالِي، ثم قالت برحمةٍ
قبِلْنا فما للتّائبين ذنُوبُ

فكاهة:

من نوادر أهل إشبيلية أنه تبع إحدى الماجنات بها رجل أحول فأَطْمَعَتْهُ في نفسها وأشارت عليه أن يتبعها فاتبعها حتى أتت به سُوق الصّاغة إلى إحدى حوانيتها فوقفت على صانع من صُنَّاعها وقالت له: يا معلم، مثل هذا يكون فصّ الخاتم الذي قلتُ لك عنه، تشير لعين ذلك الرَّجل الأحول الذي تبعَها، وكانت قد كلفت لذلك الصانع أن يعمل لها

---

(١) هذه القصة من المؤكد أنها مستوحاة من نوادر الجاحظ التي ذكرها أبوإسحاق إبراهيم بن يحيى بن علي الكتبي المعروف بالوطواط (توفي ٧١٨هـ) في كتابه «غرر الخصائص الواضحة وغرر النقائص الفاضحة» وهو بصدد الحديث عن الجاحظ فقال: وكان الجاحظ واسمه عثمان بن بحر ذميم الصورة قبيح الوجه ناتئ العينين، يحكى عنه أنه قال ما أخجلني أحد قط إلا امرأة أخذت بيدي وحملتني على نجار وقالت له مثل هذا، ثم تركتني وانصرفت فبقيت متعجباً من أخذها إلي مثالاً، فسألت الصانع فقال: إن هذه المرأة سألتني أن أصنع لها مثال شيطان تفزع به ولدها، فقلت لها إني لم أرَ شيطاناً قط حتى أعمل على مثال، وطلبت منها مثالاً فقالت أنا آتيك فجاءتني بك... مجلة المورد، المجلد السابع، عدد٤، ١٩٧٨، ص ١١٤. وذكر ابن نباتة المصري (توفي ٧٦٨هـ) في كتابه «سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون» قصة مماثلة جاء فيها: قال الجاحظ ما أخجلني أحد مثل امرأتين رأيت في العسكر وكانت طويلة القامة وكنت على طعام فأردت أن أمازحها قلت انزلي كلي معنا، فقالت: اصعد أنت حتى ترى الدنيا، وأما الأخرى فإنها أتتني على باب داري فقالت لي إليك حاجة وأريد أن تمشي معي فقمت معها إلى أن أتت بي إلى صائغ يهودي فقالت له مثل هذا، وانصرفت فسألت الصائغ عن قولها، فقال: إنها أتت إلي بفص وأمرتني أن أنقش لها عليه صورة شيطان فقلت يا ستي ما رأيت الشيطان؟ فأتت بك وقالت ما سمعت، مجلة المورد، المجلد ٧ ، العدد٤، ص١١٦.

(٢) غير مذكورة في مخطوط (ب.ح) ص١٥.

(٣) هو يحيى بن خالد بن برمك أبو الفضل (١٢٠-١٩٠هـ٧٣٨/-٨٠٥م) انظر: الأعلام للزركلي، ج٩، ص١٧٥-١٧٦.

خاتماً يكون فصّه عين إبليس، فقال لها الصانع: جيني بالمثال فإني لم أر مثل هذا ولا سمعته قطُّ فجاءته به عن مثال[1].

مذهبة:

كان[2] يحيى بن خالد بن برمك[3] على ما يعلم من التسرُّع بقضاء الحوائج والابتهاج بها، وكان أصحابه إذا رأوه مُنقبضاً علِموا أنه لم يُسأل في ذلك اليوم حاجة فبسطوه بما ينقبض الناس به من التكاليف، وكان كثيرًا ما يقول: اللَّهُمَّ اجْعَلْنا ممَّن يؤدِّي حقوق نِعمكِ بقضاء حوائج عِبادك، وإذا رأى أولاده يوفقون في حوائج النَّاس تهلَّلَ وَجهه وقال:

[المديد]

وقّـــعـــوا مـــا دام خــــاتــــمــــكُم
في طـــريق الـــنّـــفع مـــقـــبـــولا

وقال بعضهم: حضرتُ مجلسَ الحسن بن سهل[1] وزير المأمون وقد كتب لرجل كِتابَ

---

(١) الحسن بن سهل بن عبدالله السرخسي وزير المأمون العباسي (١٦٦-٢٣٦هـ/٧٨٢-٨٥١م) والد بوران الشهيرة زوج المأمون والتي يضرب المثل بزفافها منه، كما يضرب المثل باحتفالات ختان أولاد ملوك بني ذي النون بطليطلة في الأندلس. قال بعضهم حضرت مجلس الحسن بن سهل وقد كتب لرجل كتاب شفاعة فجعل الرجل يشكره فقال الحسن: يا هذا علام تشكرنا؟ إنا نرى الشفاعات زكاة مروءاتنا، ثم أنشد يقول: (الكامل)

فُرضتْ عليَّ زكاةُ ما ملكتْ يدي — وزكاةُ جاهي أن أُعينَ وأشفعا
فإذا ملكتَ فجدْ فإن لم تستطعْ — فاجهدْ بوسعكَ كله أن تنفعــا

(٢) ورد في مخطوط (ز.س.خ) قال وحضرته ص٣٠.

(٣) قال الحاكي: وحضرت يوماً وهو يملي كتاب شفاعة: إنه بلغني أن الرجل يُسأل عن فضل جاهه يوم القيامة كما يسأل عن فضل ماله، انظر: الوفيات لابن خلكان، ج٢، ص١٢٠-١٢٣.

(٤) أبوالعيناء: ولادته بالأهواز (١٩١-٢٨٢هـ) نشأ بالبصرة وكُفّ بصره وقد بلغ الأربعين، ولقب بأبي العيناء لأنه قال لأبي زيد الأنصاري: كيف تُصغّر عيناً؟ فقال عُييناً، يا أبا العيناء فبقي عليه. أبوالعيناء هوأبوعبدالله محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر بن سليمان الهاشمي بالولاء... صاحب النوادر والشعر والأدب الظريف، يقال إنه صار يوماً إلى باب صاعد بن مخلد فاستأذن عليه، فقيل هومشغول بالصلاة، فقال: لكل جديدة لذة. كان صاعد قبل الوزارة نصرانيًا. وكانت بينه وبين أم مكرم مداعبات، فسمع ابن مكرم رجلاً يقول: من ذهب بصره قلت حيلته. فقال ما أغفلك عن أبي العيناء، ذهب بصره فعظمت حيلته، وقد ألم أبوعلي البصير إلى هذا المعنى يشير به إلى أبي العيناء: (مجزوء الكامل)

قد كنتُ خفتُ يدَ الزما — نِ عليك إذ ذهب البصرْ
لم أدرِ أنكَ بالعمــــى — تغنى ويفتقر البشـــــر

وله نوادر كثيرة وطريفة أورد جزءًا هامًا منها ابن خلكان في الوفيات، ج٤، ص ٣٤٣-٣٤٨، وانظر: طبقات الشعراء لابن المعتز، ص٤١٥-٤١٦، ونكت الهميان، ص٢٦٥، وتاريخ بغداد للذهبي، ج٣، ص١٧٠.

شفاعةٍ فجعل الرجل يشكره ويدعُو له فقال له الحسن: عَلامَ تشكر يا هذا ! إنّا نرى الشفاعات زكاة مروءاتنا.

وقال: حضرته[٢] يومًا يُملي كتاب شفاعة، فكتب في آخره: بلغني أنَّ الرجل يُسأل عن فضل جاهه كما يسأل عن فضل ماله[٣].

وقال أبوالعيناء:[٤] كان عيسى بن فَرْخَانْشاه يتيه عليَّ في وزارته فلمَّا صُرِفَ رَهبني فلما لقيني سلَّم وأحفى فدنوْتُ منه وقلت: والله لقد كنت أقنع إيماءك دون أنبائك، وبلحظك دُون لفظك، فالحمد لله على ما آلت إليه حالُك، فلئن كانَتْ أخْطَأتْ فيكَ النِّعمة، لقد أصابت فيك النقمة، وإن كانت الدنيا أبدت مقابحها بالإقبال عليك، فلقد أظهرت محاسنها بالإدبار عنك، ولله المِنَّةُ إذ أغنانا عن الكذب عليك، ونزَّهنا عن قول الزُّور فيك، فقد واللهِ أسأْت حمل النِّعم، وما شكرت حقّ المُنعم، فقيل له يا أبا عبدالله لقد بالَغْت في السبِّ فما كان الذَّنب؟ قال: سألته حاجةً أقلّ من قيمته فردَّني عنها بأقبح من صُورته.وكان لأحمد بن أبي داوود[١] شخصًا يختصُّ به ويسعى في قضاء حَوَائجه فمنعه الوزير محمد بن عبدالملك الزيَّات من التراداد إليه لمنافسة كانت بينه وبين القاضي المذكور وشحناء، فبلغ ذلك القاضي فجاء إلى

(١) في مخطوط (ز.س.خ) دواد، ص٣١. هو أحمد بن أبي دؤاد بن جرير بن مالك بن عبدالله بن عباس بن سلام الإيادي (١٦٠-٢٤٠هـ/٧٧٧-٨٥٤م) أحد القضاة المشهورين من المعتزلة ورأس الفتنة بخلق القرآن، كان من أصحاب واصل بن عطاء فصار إلى الاعتزال، امتحن أحمد بن حنبل وألزمه بالقول بخلق القرآن وذلك في شهر رمضان، سنة ٢٢٠هـ، انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان، ج١، ص٨١-٩١، وتاريخ بغداد للذهبي، ج٤، ص١٤١-١٥٣.

(٢) كان بينه وبين الوزير ابن الزيات (سبق التعريف به) منافسات وشحناء حتى أن شخصًا كان يصحب القاضي ويختص بقضاء حوائجه منعه الوزير المذكور من التردد إليه فبلغ ذلك القاضي، فجاء إلى الوزير وقال له: والله ما جئتك متكثرًا بك من قلة، ولا متعززاً بك من ذلة، ولكن أمير المؤمنين أرتبك مرتبة أوجبت لقاءك، فإن لقيناك فله، وإن تأخرنا عنك فلك، ثم نهض من عنده، يقال إن الخليفة الواثق أمر أن لا يرى أحد من الناس محمد بن عبدالملك بن الزيات الوزير إلا قام له، فكان ابن أبي دواد إذا رآه قام واستقبل القبلة يصلي فقال ابن الزيات: (الكامل)

صلّى الضحى لما استفاد عداوتي وأراه ينسك بعدها ويصومُ
لا تعدمنَّ عداوةً مسمومةً تركتك تقعد تارةً وتقومُ

انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان، ج١، ص ٨٥-٨٨.

(٣) ابن خلكان: هوأحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان قاضي القضاة شمس الدين (٦٠٨-٦٨١هـ) ورد ذكر ابن خلكان في أزهار الرياض للمقري، ج١، ص٢٤-٢٧ ، حين تعرض له المقري بالتصويب لبعض معلوماته حول كُتَّاب المغرب والأندلس لكونه مشرقيًا وكتاب أهل المغرب أدرى بهذا المجال.

الوزير فقال له: والله ما جئتك مُتكثرًا بك من قلّة، ولا مُتعزّزًا بك من ذِلّة، ولكن أمير المؤمنين رتَّبك رُتبة أوْجبت لقاك، فإن لقيناك فله، وإن تأخَّرنا عنك فلك، ثمَّ نهض من عنده(٢).

قال ابن خلكان(٣) المؤرخ:

[الدوبيت]

يــا غُــصنَ نَــقــا قِــوامُه مَــيَّــادُ
أيَّـــامُ رضـــاكَ كُـــلُّــهـــا أعْـــيـــادُ
مــا أكــتُم حُـزني عـنـدمـا تـهـجـرني
إلاَّ حَـــذِراً أن يـــشـــمتَ الحُـــسَّـــادُ

فكاهة:

قال العبَّاس بن الأحنف(١):

[السريع]

جَـــاريـــةٌ أعـــجـــبـــني حُـــســنُــهـــا
ومــثــلُــهـــا في الــنَّـــاس لم يُــخــلَــقِ

---

(١) العباس بن الأحنف (١٣٣ – ١٩٣هـ/ ٧٥٠ – ٨٠٨م) من بني حنيفة ومنشؤه ببغداد، كان شاعرًا ظريفًا وصاحب غزل رقيق يشبه في عصره عمر بن أبي ربيعة المخزومي في عصره ولم يكن يمدح ولا يهجو، انظر من حوله: طبقات الشعراء لابن المعتز، ص ٢٥٤ – ٢٥٧، والموشح للمرزباني، ص ٤٤٥ – ٤٤٩، والأغاني، ج ٨، ص ٣٥٤ – ٤٤٩، والوفيات لابن خلكان، ج ٣، ص ٢٠ – ٢٧، وانظر دائرة المعارف الإسلامية، ج١، ص ١٠ – ١١. (مقال المستشرق بلاشير) أما الأوروبيون فقد تناولوا شعر العباس بن الأحنف **Jena Claud Vadet: l'esprit coustois en orient dans les cinq premiers siecles de l'egire- Paris. 1968.** حيث خصص فصلاً كاملاً لابن الأحنف **J.M.Continente Ferrer: Notas Sobre la poesia Amorosa de Ibd Rabbihi, Revista Al-Andalus: 1970. PP:358-366.**

(٢) الرشأ: الظبي إذا قوي وتحرك ومشى مع أمه والجمع أرشاء.

(٣) الوسنان: النعسان، والسِنَة النعاس من غير نوم، والوسن أول النوم والأنثى وسنة.

(٤) قرطق: جاء الغلام وعليه قَرطق أي قباء، وهو تعريب كرته، وقد تَضم طاؤه، وإبدال القاف من الهاء في الأسماء المعربة كثير كالبرق والباشق والمستق، وتصغيره قريطق.

(٥) وردت هذه الأبيات في ديوان العباس بن الأحنف، شرح مجيد طراد، ص ٢٢٠، دار الكتاب العربي، ط٢، ١٩٩٧.

(٦) هوالوزير الفضل بن سهل بن هارون بن راهبون، تولى الوزارة في عهد المأمون خلفًا لوالده سهل بن هارون.

(٧) هوالحسن بن هانئ ويكنى أبا علي، ولد بالأهواز سنة (١٣٩هـ) ومات ببغداد سنة (١٩٥هـ) مات في بيت خمارة كان يألفها ،انقطع في تعليمه إلى والبة بن الحباب الشاعر الماجن، ولما مات هذا الأخير لزم خلف الأحمر الذي كان أشعر أهل زمانه وأعلمهم بالشعر. كان أبونواس يتهم برأي الخوارج. انظر: تفاصيل ذلك في طبقات الشعر لابن المعتز ص١٩٣–٢١٧، وانظر من حوله: أخبار أبي نواس لأبي هفان، والموشح للمرزباني، ص٤٠٧–٤٥٤، وله ذكر في معظم المصادر والتي يقول بعضها إن تاريخ ولادته ووفاته كانت (بين ٧٤٧/١٣٠و٧٦٢/١٤٥ وتوفي ١٩٨/٨١٣ و٨١٥/٢٠٠) انظر تعريفًا مفصلاً عن حياته: **El 2** .**1**. **pp: 147-149** محررًا بقلم: **Edward Wagner**

خـــبَّـــرتُـــهـــا أنِّي مُـــحبٌّ لـــهـــا
فـأقـبـلـتْ تـضـحـك من مـنـطـقي

والـتـفـتـتْ نـحـو فـتـــاةٍ لـــهـــا
كـالـرَّشـأ [٢] الـوسـنـان[٣] في قُرطق[٤]

قـالت لـــهـــا: قُـولي لـــهـذا الـفـتى
انـــظـــرْ إلى وجـــهكَ ثمَّ اعـــشق![٥]

وكان للفضل بن سهل[٦] وصيفة ظريفة كثيرة المُلح والنَّوادر وكانت ساقية، وكان أبونواس[٧] يُولع بها ويُمازحها فقال لها يومًا: أنا أحبّك وتبغضيني فلِمَ ذلك ؟فقالت له: وجهك والحرام لا يجتمعان، فقال في ذلك:

[الوافر]

مُـــذكّـــرةٌ مـــؤنّـــثـــةٌ مَـــهـــاةٌ[١]
إذا بـــرزتْ تُـــشـــبّـــهـــهـــا غُلامـــا

تـــعـــاف المـاءَ والـعـسل المُـصـفَّى
وتـشـرب من فُـتـوَّتـهـا المُـدامـا

وقـــائـــلـــةٍ لـــهـــا في وجه نُـــصحٍ
عَـلى مَ قـتـلـتِ هـذا المُـسـتَـهـامـا

فـــكـــان جـــوابُـــهـــا في حَسٍّ مَسٍّ
أأجـــمع وجْهَ هـــذا والحَـــرامـــا ؟

مذهبة:

قال بعضهم:

[البسيط]

طـاف الخـيـالُ بـواديـنـا فَـمـا زارا
إلاَّ ووَاقعُ سِـرب الـنَّـومِ قـد طـارا

---

(١) المهاة: البقرة الوحشية البيضاء وسوداء العنق، معجم متن اللغة للشيخ أحمد رضا، ج٥، ص٣٦٢.

(٢) هكذا وردت في الأصل.

(٣) «فوق» ساقطة في مخطوط (ز.س.خ) ص٣٣.

لا ذنبَ للنوم بل للعين تدفعه
بل للحَشى، بل لمن حَشّا الحَشى نارا
لا وَاخَذ اللهُ أحبابي بما صنعوا
إن الحبيب لمحمُولٌ وإن جارا
وإنّ من حكمة المَوْلى ورحمته
أن لا يُحمِّلَ أهلَ الحُسنِ أوزارا
من أين للقوم ذنبٌ أنما[2] امتُحنوا؟
يا عينُ تجتني الأنوار نُوَّارا
من قيَّدَ اللَّحظَ في روضات أوجُههم؟
من أرسلَ الدّمع [فوق][3] الخدِّ مِدرارا؟
من قال للقلب في طيِّ الجوانحِ طِرْ
فطار واللهُ لم يخلقه طيَّارا
يجني المحبُّ بعينيه منيَّتَه
عَمْداً، ويطلب في أحبابه الثارا
قد كان يُبصِرُ ما يَأتيه من خطأٍ
لو يجعل اللهُ للعشّاق أبصارا

وللقاضي أبي الحسن التنوخي:

[الكامل]

قُلْ للمليحة في الخمارِ المُذْهَبِ
أفسدتِ نُسكَ أخي التُّقى المترهّبِ
نورُ الخمارِ ونورُ خدّكِ تحته
عجبًا لوجهكِ كيف لم يتلهَّبِ
وجمعتِ بين المُذْهَبين فلم يكن
للحُسن عن نَهْيَيْهما من مَذهب

---

(١) هناك تقليد واضح لبشار بن برد.

وإذا أتَتْ عــينٌ لــتــســرِقَ نــظــرةً
قــال الــشُّــعــاعُ لــهــا اذهــبي لا تــذهب[1]

فكاهة:

قال الفقيه أبوبكر القرشي:

[الكامل]

غــنَّى بــشِــعــر ســوايَ أغــيــدُ لم يــلــحْ
لــلــعــين أفــتنُ من بــدائع حُــســنهِ
فــغــدوتُ فــيه مُــخــالــفــاً كلَّ الــورَى
ومُــســاعــداً هــذا الــهــوى في فــنِّه
فــالمــرْءُ يُــفــتَن بــابــنه وبــشِــعــرهِ
إلاَّ أنــا فــبــشــعــر غــيــري وابــنــه

مذهبة:

قال أبوجعفر ابن خاتمة: حدّثني القائد على الأسطول بألمرية أبوعلي حسن الرُّنداحي[1] قال: جُلِبَ إلى أمير المسلمين الخليفة أبي يحيى بن أبي حفص صاحب إفريقية[2] فرسٌ أحمر من عتاق الخيل، وكان له قبل ذلك فرسٌ آخر أصفر كان أحظى مركوباته لديه فأهداه إلى السلطان الخليفة أمير المسلمين أبي الحسن صاحب المغرب ومازال يتشوّف بعده لأن تُقصد حضرته بفرس يكون على مثاله، فلمَّا قدِم على حضرته القادم بهذا الفرس الأحمر ووقف إلى بابه دَخل إليه بعض خاصّة خُدَّامه يبشِّره أن ببابه فرساً على مثال الفرس الأصفر جلبه بعض العرب إليه، قال: فأمر في الحين بإدخاله عليه

(١) هو أبوعلي حسن الرنداحي قائد أسطول إمارة سبتة، يكثر ذكره في مرويات ابن خاتمة وابن الخطيب لكن دون ذكر ترجمة لحياته من طرفهم.
(٢) المقصود بإفريقية آنذاك هي تونس الحالية.
(٣) هي أبوفهر أوجنان أبي فهر المشهورة والتي ذكرها ابن خلدون في كتاب العبر، ج٦، ص٦٣٠.
(٤) درقته: من الدرق، ضرب من الترسة، الواحدة درقة تتخذ من الجلود، والجمع دَرق وأدراق ودِراق.
(٥) جاء في مخطوط (ز.س.خ) عنه بدل عليه ص٣٥.
(٦) ورد هذا النص في كتاب العبر لابن خلدون، ج٦، ص٦٣ .

وهوبالجنان المعروف بأبي (فير)[٣] يلاعب ابن تيفراجين الشطرنج، فلمَّا مَثُلَ الفرسُ بين يديه استحسنه وقال: نعم هوعلى مثال الأصفر في صورته وبقي الاختبار، وأمَرَ علِجاً من أعْلاجه اسمه علي وهوصاحب درقته[٤] أن يركبه، قال: فركبه العلج وأرخى له من عِنانه وجذبه فظهر من حُسن رياضته وجمال أدبه في حركته ما أربى على حسن صورته فتهلَّلَ له وجهُ الخليفة أبي يحيى سروراً وبشراً، فقال ابن تيفراجين للعِلج عَلِي: انزل والحمد للهِ الذي أخلف على مولانا فرسه الأصفر وكمَّل له في ذلك أمنيته، فقال علي والله لا أنزل [عليه][٥] إلاَّ في إصطبلي ولا يركبه أحد غيري! قال ابن تيفراجين فاستشطتُ غضبًا عليه وأخذَ فيَّ ما قدم وحدث، وقلتُ له: أتتهجَّم على مولانا في طلبته وتقْتَات عليه في أمنيته، وتُسيء الأدب في التصرّف بين يديه؟ وأطلتُ نفسي في ذلك، فلما رأى الخليفة أبو يحيى غضبي لِما صدر عنه قال: لا عليك حلَفَ على حلمنا، ثمَّ ثنى وجهه إلى العلج وقال له: اذهب فهو لك وعاد إلى لعبه بالشطرنج كأن لم يكن ممَّا جرى شيء[٦].

قال أبوجعفر بن عبدالعظيم:

[الرمل]

يـــا منِ اخــتـــار فــؤادي مــنـــزلا
بـــابُه الـــعـــينُ الـــتي تـــرمُـــقهُ
فــتحَ الــبــابَ سُــهـادي بــعــدكم
فــابــعــثـوا طــيــفَـكمُ يُــغــلــقهُ

فكاهة:

بينما ابن الرُّومي[١] سائر في بعض أزقة بغداد إذ خرجت امرأة إلى باب دارها

(١) ابن الرومي: هو أبو الحسن علي بن العباس (٢٢١-٢٨٣هـ/ ٨٣٦-٨٩٦م) انظر: الموشح للمرزباني ، ص٥٤٥-٥٤٦، و(**E I 2, tome 3, pp 932-933**)

(٢) ابن الأعرابي: هومحمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي (١٥٠-٢٣١هـ٧٦٧/-٨٤٥م) راوية ونسابة، علامة باللغة والشعر، من أهل الكوفة ، من علم ابن الأعرابي أن المأمون سأله قائلاً: أخبرني عن قول هند بنت عتبة: [مجزوء الرمل]

نـــحن بـــنـــاتُ طـــارقْ
نمـــشي عـــلى الـــنـــمـــارقْ

من طارق هذا؟ قال: فنظرت في نسبها فلم أجده؟ فقلت: يا أمير المؤمنين ما أعرف في نسبها، فقال: إنما أرادت النجم وانتسبت إليه بحسنها من قوله تعالى: و«السماء والطارق»، انظر ابن خلكان: وفيات الأعيان،ج٤،ص٣٠٦-٣٠٩، وتاريخ

وبيدها حجر فقالت: يا سيِّدي خذ هذا الحجر فارمِ به وقُل هذا فطام محمد لصبيّ فطمناه الساعة، وهي عادتهم عند فِطام المولود فأجابها إلى ذلك، قال رَاويه فمشينا وهومُطرق ثم قال لي: اسمع، وأنشد:

[الخفيف]

مــــــنـــــحَــــــثْهُ أحبُّ شيءٍ إلـــــيــهِ
من جـــمـــيع الـــورى ومن والـــديْهِ
عَـجَـبِي مـنه ذا عـلى صِـغَـرِ الـسِّنْ
ـنِ هــوى، فـاهــتــدى الــفِـراقُ إلــيهِ

مذهبة:

قال أحمد بن عِمران كنت عند أبي أيُّوب بن شجاع وقد تخلَّفَ في منزله فبعث غلامًا من غلمانه إلى أبي عبدالله ابن الأعرابي[٢] صاحب «الغريب المصنَّف» يسأله المجيء إليه فعاد إليه الغلام فقال: قد سألته ذلك فقال لي: عندي قَوْمٌ من الأعراب فإذا قضيتُ أربي معهم أتيته، قال الغلام وما رأيت عنده أحدًا إلاَّ أنّه بين يديه كتب ينظر في هذا مرَّة ثم ما شعرنا حتى جاء فقال له أبو أيُّوب: يا أبا عبدالله سبحان الله العظيم تخلَّفت عنَّا وحرمتنا الأنس بك، ولقد قال لي الغلام إنه ما رأى عندك أحداً وقد قلتَ له أنا مع قوم من الأعراب إذا قضيت أرَبي معهم أتيت ؟ فقال:

[الطويل]

لــنــا جُـلــســـــاءُ لا نملّ حــديــثَــهم
ألِـبَّاءُ[١] مـأمـونـون غَـيْـبًـا ومَـشـهـدا
يُـفيـدونـنـا من عِـلـمـهم عِـلمَ مـا مضى

---

(١) ألباء: مفردها لبيب، عاقل ذو لب من قوم ألباء، قال سيبويه لا يكسر على غير ذلك.

(٢) مفند: من فند: الخرف وإنكار العقل من الهرم والمرض، والفند الخطأ في الرأي والقول، والمفند الضعيف.

(٣) ورد ذكر هذين البيتين في كتاب المحاسن والمساوئ للبيهقي بهذه الرواية مع اختلاف طفيف، ص١٦، جاء فيها:

نــعمَ [المحــدِّثُ] والــصــديق كــتــابُ
تــلــهــو به إن خــانكَ الأصــحــابُ
لا مُـفـشـيًـا سِـرّاً إذا اسـتـودعـتَه
و[تُـنَــالُ] مــنه حــكــمــةٌ وصــوابُ

وانظر ما ذكر في محاسن الكتاب، المصدر نفسه من ص٥ إلى١٧.

ورأيــاً وتــأديــبــاً وعــقلاً مُــســدَّدا
بِلا فـتـنـةٍ تُـخـشى ولا سوءِ عِـشـرةٍ
ولا نـتَّـقي مـنـهم لِـسـانًـا ولا يـدا
فـإن قـلتَ أمـواتًـا فـمـا أنتَ كـاذبٌ
وإن قـلتَ أحـيـاءً فـلـستَ مُـفـنَّـدا(٢)

وقال آخر:

[الكامل]

نِـعم الأنـيسُ إذا خـلـوتَ كـتـابُ
تـلـهـو به إن خـانكَ الأصـحـابُ
لا مُـفـشِـيـاً سِـرّاً إذا اسـتـودعـتَه
وتُـفـاد مـنه حـكـمـةٌ وصـواب(٣)

وقال ملك الهند لبنيه: يا بنيّ أكثروا من النظر في الكتب:وازدادوا كل يوم حرفًا فإن ثلاثة لا يَسْتَوْحِشُونَ في غُربَة: الفقيه العالم، والشجاع البطل، والحلو اللّسان الكثير مخارج الرأي.

قال الشاعر:

[الكامل]

ولـكـلِّ طَـالـبِ لَـذَّةٍ نُـزَهٌ
وأَلَـذُّ نُـزْهَـةِ عـالمٍ كُـتُـبُهْ

فكاهة:

قال عُبيد بن منصور الفقيه: طلبتُ بيضة في اللَّيل وأنا صبيٌّ صغير وبكيت بُكاء كثيرًا أرِق منه أهلنا فقال بعض من في منزلنا: إنَّ في بيت جارنا دَجاجاً فاطلبوا لعلَّ عندهم بيضة، قال: فدُقَّ عليهم الباب فارتاعوا وظنُّوا حادثًا حدث علينا فقيل لهم: معنا رُقعة من الشيخ وكان قد أملاها على أختي فكتبتُ فيها من قول أبي:

[مجزوء الرّمل]

(١) لجاجة: من لججت في الأمر ألجُّ لججًا ولجاجًا ولجاجةً، ولجَّ في الأمر تمادى عليه وأبى أن ينصرف عنه.

لأبـــي الفضـــلِ عُبَيْدٍ   في الذي يبغي لَجاجَهْ[1]
ولـــه عندكَ مَطْلـــــو   بٌ ومرغوبٌ وحـاجــهْ
دُرَّةٌ ليسـتْ من البَحْـ   ـرِ، ولكنْ من دجَاجــهْ !

قال: فحُمل إلينا قفص من الدَّجاج لحينه بجميع ما كان فيه من البيض.

كتب بعض الأدباء لعطَّار مُعرِّضًا بمطلبه: [المجتث]

أهديتَ مـــــن كلّ شيءٍ   جَمّاً فشكـــري يزيدُ
لـــم يـبقَ ممَّا أريـــــدُ   إلاَّ الذي لا أريـــــدُ

يعني سِوَاك.

وسأل بعض الملوك من حضره من النجباء فقال له: ما جمْعُ سِواك ؟ قال: محاسنك يا أمير المؤمنين، ولم يقل له مساويك.

ومن أناشيد القاضي أبي البركات ابن الحاج[1] لأبي القاسم ابن الشَّاط[2]:

[الخفيف]

قـــلتُ يــومًـــا لمن تَـــخِـــذتُ هـــواه
مِـــلَّــةً قـد تـبـعـتُـهـــا وشـريــعهْ
لِمَ تـــأبى الـــوِصـــالَ وهـــومُـــبــاحُ
وتـســوم المحبَّ ســوءَ الـقــطـيــعهْ
قــــال إنيِّ خـــشـــيتُ مــــنكَ مَلالاً
فــتــركتُ الـــوِصـــال سَـــدَّ ذريـــعهْ

---

(١) سبق التعريف بابن الحاج البلفيقي

(٢) هو أبوالقاسم بن الشاط بن عبدالله بن محمد بن الشاط الأنصاري (٦٤٣-٧٢٣هـ) كان أستاذ الجيل الأول من أدباء مملكة غرناطة من أمثال ابن هذيل وابن الجيَّاب وابن شبرين... كان مولده بسبتة وكانت وفاته بها، انظر حوله: الديباج المذهب لابن فرحون،ج٢، ص١٥٢-١٥٣، والنبوغ المغربي، ج١، ص١٣٨-١٣٩. قال عنه ابن الخطيب هو من المقرئين والعلماء، وهو أبوالقاسم عبدالله محمد بن الشاط الأنصاري نزيل سبتة وأصله من بلنسية، يكنى أبا القاسم والشاط اسم لجده، وكان طويلاً فجرى عليه الاسم، ترجم له أبوالبركات تلميذه وصديقه في كتابه المفقود المؤتمن، والبيتان في الإحاطة، ج٤، ص ٢٦١ ، وكذلك الإحاطة، ج٤، ص٢٥٩-٢٦٢. من العجيب أننا لا نزال نستعمل في لغتنا الدارجة أوالعامية بالجزائر عبارة شايط تعني زايد عن الحد وبالتالي فهو الشايط.

(٣) الكلمة غير واضحة الدلالة.

ومن حسن المحاورة قول بعضهم:

[الكامل]

مـرّتْ فـقـلـتُ لـهـا شـكـايَــةَ مُـغـرمٍ
مــاذا عــلــيكِ من الــسلام فــســلّمِ؟
قــالت لمن تــغْــدَى(٣) فــحــبّك بــيّنٌ
بـنـحـول جـسـمكَ، قـلـتُ: بـالمـتـكـلّم
فـتـبـسَّـمتْ فـبـكـيتُ قـالت: لا تُـرَعْ
فـلــعلَّ مــثلَ هــواكَ بــالمــتـبــسّم
قـلـتُ: اتّـفـقـنـا في الـهـوى فـزيـارةٌ
أوقُــبــلــةٌ قــبل الــزيـــارةِ قَــدّمي
فـتـضـاحـكتْ عـجـبـاً وقـالت هـكـذا
لــو لم أدعكَ تــنــام بي لم تــحــلم

ومن ذلك أيضًا:

[المنسرح]

قـلتُ لـــهـا والمِـزاجُ يُـعـجـبـهـا
وهــو منَ الحبِّ لــلــمــحبّ حَــسنْ
قُــولي لمن أنتِ واصــدُقي بــأبي؟
قــالت: لمن أشــتــهي فــأنتَ لمن؟
قــلتُ لــهــا: لــلّــتي تُــقــاولــني
قـــالت: فـــأنتَ الـــذي أحبُّ إذن

ومن ذلك أيضًا:

[الرجز]

(١) هو أبوالطيب المتنبي الشاعر المشهو ر الذي ملأ الدنيا وشغل الناس على حد تعبير ابن رشيق، انظر حول حياته مقدمة محقق ديوانه، عبدالرحمن البرقوقي، ج١، ص٣-١٢٦.

(٢) هذا البيت هو من قصيدة مدح فيها المتنبي شجاع بن محمد الطائي المنبجي، ومطلعها:

اليومَ عهدكُمُ فأين الموعدُ هيهاتَ ليس ليوم عهدكمُ غدُ

ديوان المتنبي، ج٢، ص٥٢.

قـــال لإلفٍ مـــعه مُـــســـتـــنـــكـــراً
لـوقـعـتـي: هــذا الــفـتـى تُــراه مَنْ ؟
قـلـتُ: فـتًى يـشـكــو الــغــرامَ قـلــبُهُ
قــــال بمن؟ قــــلــتُ: بمن، قــــال بمن؟

وهذا المعنى مأخوذ من قول أبي الطيب المتنبِّي[1]:

[الكامل]

قــالـت وقــد رأتِ اصــفــراري: من بهِ
وتَـنـهَّـدتْ، فـأجـبـتُـهـا: المـتـنـهّـدُ[2]

فكاهة:

قال الفقيه أبوجعفر ابن خاتمة: حدَّثني القائد أبو علي حسن الرّنْداحي قال: أُنْهِي إلى الحاجب أبي عبدالرحمن بن أبي الغُمر أن أحد شيوخ الموحدين من أكبرهم سناً وأعظمهم كفاية يقعُد معهم للمنادمة فإذا أصرعهم السُّكر ومال بهم النّوم قام فَبالَ عليهم وجعل يقول: أمَّة نبيِّك وطائفة مَهْدِيِّك، على جهَة التهكُّم بهم والتعريض بهم والازدراء منهم، قال فاستحضره الحاجب في مجلس احتفل في الانتداب إليه الموحدون فلمَّا غصَّ المجلس بأهله أُحضر الشيخ فلما أطلَّ على المجلس وقف في أخرياته فقال له الحاجب: أتعرف ما يقول هؤلاء الشيوخ عنك؟ فقال لمن يليه كأنَّه لم يسمع: وما يقول سيِّدنا ؟ فقال له الحاجب: إنّهم أُنْهيَ إليهم أنَّك تبغض الموحّدين ؟ فرفع عقيرته[1] بصوت جهوري وقال: أنا يا سيدنا أبْغض الموحدين ؟ سأل الله الذي يبغضهم ألاَّ يحشره معهم وأعاد ذلك مرَّات، قال: فتبسَّم الحاجب وكلّ من حضر وقال: أخرجُوه لئلاَّ يقول ما يبقى تاريخًا على الأيّام، فانصرف

---

(١) عقيرة الرجل: صوته إذا غنى أوقرأ أو بكى، وقيل أصله أن رجلاً عُقرت رجْلُه فوضع العقيرة على الصحيحة وبكى عليها بأعلى صوته فقيل رفع عقيرته ثم كثر ذلك حتى صار الصوت بالغناء عقيرة، فقيل لكل من رفع صوته بالغناء رفع عقيرته.

(٢) ديوان ابن خاتمة الأنصاري: ص١٨٨، وتوجد الأبيات كذلك في المقري: نفح الطيب، ج٦، ص٣٨.

(٣) دوبيتي: لتوضيح خصوصيات هذا النوع من النظم الإبداعي يمكن العودة إلى رسالة الشاعر الكبير ابن المرحل في عروض الدوبيت إذ جاء فيها قوله: ...رأيت النوع المعروف بالدوبيت من أوزان الكلام المنظوم مستقيم البناء، مستعذباً في الغناء إلا أن بعض الناس يخلط في النظم عليه ويسلك مسلك العجم في الزيادة فيه والتقصير منه حتى يخلّ به، فصنعت له ميزانًا وبينت ما يجب أن يلتزم فيه، وما يحسن وما يقبح قياساً على الأنواع العربية واتباعًا للأكثر في المساق والأعذب في المذاق ووضعت له أربعة أجزاء، أما الأجزاء فهي:

فَعْلُنْ مُتَفَاعِلُنْ فَعُولُنْ فَعِلُنْ   فَعْلُنْ مُتَفَاعِلُنْ فَعُولُنْ فَعِلُنْ

انظر: مجلة المورد، مجلد٣/ع٤، دار الحرية للطباعة، بغداد، العراق ١٩٧٥/ص١٦١.

الشيخ ونفعه دهاؤه ولم يضرّه ازدراؤه.

ومن نظم ابن خاتمة المذكور في فرّان مليح الوجه:

[الرمل]

رُبَّ فرَّانٍ جلا صفحتَهُ
لهبُ الفُرنِ جَلاءَ العَسْجَدِ
يُضرم النارَ بأحشاء الوَرَى
مثلَ ما يُضرم في المستوقد
فكأنّ الوجهَ منه خُبزةٌ
فوقها الشَّعرُ كقِدْرٍ أسودِ[٢]

مُذهبَة:

للملك الأمجد صاحب بعلبك دُوبِيتي[٣]:

[الدوبيت]

كم حَلَفتْ بكلّ أمٍّ وأبِ
أن تسمحَ لي فأعْقَبَتْ بالكذبِ
حتى حلفتْ على التجنِّي فوفَتْ
ما تصدقُ إلاَّ في يمين الغضبِ

وممًّا نظمته:[١]

[الكامل]

(١) الإشارة هنا إلى مؤلف هذا المخطوط علي بن عبدالرحمن بن هذيل الفزاري الغرناطي.

(٢) هو الكاتب أبو علي حسين بن علي بن عمر بن إبراهيم القيجاطي نسبة إلى قرية قيجاطة (**Quesada** حاليًا) من عمالة جيان (**Jean** حالياً) هذا الرجل كما ذكره ابن الخطيب مولع بالغزل بالمذكر، انظر: الكتيبة الكامنة لابن الخطيب، ص١٩٣-١٩٤.

(٣) من مشاهير الكواكب، منها بنات نعش الصغرى وهي سبعة: أربعة منها نعش، وثلاثة بنات، وهناك بنات نعش الكبرى بالقرب من الصغرى وهي سبعة أنجم ظاهرة... وإلى جانب الكوكب الأوسط من البنات كوكب صغير جداً يكاد يلزق به يُسمّى السها، ويقال له الصديق، والمنجمون يسمون بنات نعش الصغرى الدب الأصغر، وبنات نعش الكبرى الدب الأكبر، انظر: كتاب الأنواء لابن قتيبة، ص١٤٥-١٤٨.

(٤) هو عدي بن زيد بن مالك بن الرقاع العاملي، معاصر لجرير، وأخباره معه في حضرة الوليد بن عبدالملك مشهورة، توفي نحو ٩٥هـ/٧١٤م، انظر: طبقات فحول الشعراء لابن سلام، ص٣٢٤-٣٢٥ و٤٣٥-٥٠١، المؤتلف والمختلف للآمدي ص١١٦ ، ومعجم الشعراء للمرزباني ، ص٢٥٣، والموشح للمرزباني ، ص٣٠٠-٣٠١، والأغاني، ج٩، ص٣٠٠، والأعلام للزركلي، ج٥، ص١٠.

سَحَرَ الورى هذا الرشا بجفُونهِ
وتحيَّرتْ في حُسنه الألبابُ
فإذا نظرتَ جُفونَه ووعُودَه
بالوصل قلتَ السّاحرُ الكذَّابُ

ولحسين ابن الأستاذ القِيجاطي:[2]

[الكامل]

لاقيتُه في فِتيةٍ قد أُلبسوا
حُلَلَ الجمالِ وتُوِّجُوا تاجَ البَهَا
فكأنَّه وكأنَّهم وكأنَّني
بدْرُ الدجى وبناتُ نعشٍ والسُّها[3]

اجتمع نفر من الشعراء بباب عدي بن الرقّاع[4] الشاعر يسألون عنه فقالت لهم بنته ما تريدون منه ؟ فقالوا: جئنا لِنهاجِيَهُ، فقالت:

[البسيط]

إذْ نحن قِسناكَ قَدًّا بالقضيب فقد
خِفنا عليك به ظلماً وعُدوانا
إذ كان أحسنُ ما نلقاه مكتسياً
وأنتَ أحسنُ ما نلقاكَ عُريانا

ولبعضهم:

[الكامل]

يا مُحرقاً قلبًا أقام بربْعهِ
هلاَّ كَفَفْتَ هَواكَ عن إحْراقهِ
رِفْقًا بصبِّكَ إن أردتَ بقاءَهُ

(١) هو أبو القاسم هبة الله بن القاضي الرشيد أبي الفضل جعفر بن المعتمد سناء الملك، الملقب بالقاضي السعيد، والمعروف بابن سناء الملك، أول من أدخل الموشحات إلى المشرق، ولد سنة ٥٥٠–٦٠٨هـ/١١٥٥–١٢١١م وهو مؤلف كتاب «دار الطراز» المشهور، انظر: الأعلام للزركلي، ج٩، ص٥٧.

(٢) ورد في مخطوط (ز.س.خ) الخيال بالتعريف بدل خيال في مخطوط (ب.ح) ص٤٢.

يَـكْـفـيكَ مــا يَـلْـقــاهُ من أشــواقِهِ
أَسْــهَــرتَهُ وأَسَـلْتَ مُــقْـلَــتَه دَمًــا
أتُـــرى ذبـــحْتَ الـــنـــومَ في آمـــاقه

فكاهة:

قال ابن سناء الملك(١) في قوّاد:

[السريع]

لـي صـــــاحبٌ أفـــديه من صـــاحبٍ
حُـلـوُ الـتـثـنِّي حَـسَنُ الاحـتـيـالْ
لـــو شـــــاء من رِقَّـــة أَلـــفــاظِهِ
أَلّفَ مـــا بـــينَ الـــهُـــدى والـــضّلال
يـــكـــفـــيكَ مـــنه أنّه رُبَّـــمَـــا
قـاد إلى المـهـجُـور طـيفَ خـيـال(٢)

ذُكر أنَّ أعرابيًا تلف له حمار فخرج في طلبه فمرَّ بامرأة متنقّبة مليحة العينين جالسة بموضع، فجلس إليها يتحدّث معها ونسيَ ما خرج إليه من طلب الحمار، فهبَّت ريح فارتفع النّقاب فنظر إلى فم قبيح كثير الأضراس مفلّل الثنايا، فنهض قائمًا وقال: أذْكرني فُوكِ حِمار أهْلِي، فأرسلها مثلاً ثم أنشأ يقول:

[الكامل]

لَـيت الـنِّـقـابَ عـلـى الـنِّـسَـاء مُـحـرَّمٌ

---

(١) هذا المثل أو البيت السائر نجد أوفى منه عند شاعر الأندلس المشهو ر مالك بن المرحّل في قصيدة أبدع فيها أيما إبداع حين غُرّر به وهو شيخ مسن فزوجوه امرأة بنقاب، قيل له: إنها تضاهي البدر جمالاً وحسناً، وبعد انقشاع القناع أرسلها قصيدة من ٥٦ بيتًا وصارت مثلاً سائرًا في كل من غرناطة وسبتة موطنه ومطلعها: (الكامل)

الــلـهُ أكــبــرُ في مـــنـــار الجـــامـعِ
من ســبــتـــةٍ تـــأذينُ عـــبـــدٍ خـــاشـعِ
إن الــنــســـاء خــدعــنَــني ومــكــرنَ بي
وملأنَ من ذكــر الــنــســاءِ مــســامــعي

انظر: الإحاطة لابن الخطيب، ج٣، ص٣١٧-٣٢٠.

(٢) أبو الفضل الجوهري (توفي سنة٣٩٣هـ-١٠٠٣/م) انظر: يتيمة الدهر للثعالبي، ج٤، ص٢٧-٤٣، الأعلام للزركلي، ج١، ص٣٠٩-٣١٠.

كي لا تَـغـرَّ قَـبِـيـحـةٌ بـنِـقـاب[1]

مُذهَبَة:

قال أبوالفضل الجوهري:[2]

[الخفيف]

خُـذْ كلامي مـجـرَّبًـا فـامْـتَـحِـنْهُ
وبِـمِـيـزان فَـضْلِ عَـقْـلِك زِنْهُ
طـاعـةُ الـلـهِ خـيـرُ مـا لـزم الـعَـبْـ
ـدُ، فـكُن طـائـعـاً ولا تـعـصِـيَـنْهُ
إنَّ شـيـئـاً هلاكُ نـفـسكَ فـيهِ
يـنـبـغي أن تـصـونَ نـفـسَكَ عـنه

وللزّاهد أبي عِمران:

[السريع]

ما الزّهدُ يا قومُ فلا تجهلوا	**بلبس أسمالٍ وأخلاقِ**
لكنّه لبسُ ثيابِ التّقى	**في حُسن آدابٍ وأخلاق**

ولابن المَغْرِبي:

[البسيط]

اللهُ يعلم ما إثمٌ هممتُ بهِ	**إلاَّ ونقَّصه خوفي من النارِ**
وإنّ نفسيَ ما همَّتْ بمعصيةٍ	**إلاَّ وقلبي عليها عاتبٌ زارِ**

وقال آخر:

[الطويل]

ألا من لـقـلبٍ في الـهـوى غـيـرِ مـنـتهٍ

(١) أبومحمد ابن برطلة: هو أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن بن عبدالله بن موسى بن سليمان الأزدي ويعرف بابن برطلة (٦٦١أو٦٧٠هـ/ ١٢٦٢-١٢٧٢م) فقيه مالكي، قاضي من أهل مرسية، انتقل إلى المغرب الأوسط فسكن مدينة بجاية وولي القضاء بمدينة الجزائر وغيرها ثم انتقل إلى تونس فاستقر بها إلى أن توفي، انظر الغبريني: عنوان الدراية، ص٣٢٢-٣٢٤، وكتاب الوفيات لابن قنفذ، ص٣٣٠.

(٢) أودك: من أَوِد الشيء بالكسر يأود أودًا فهو آوِد؛ اعوجّ، وأقام أودَه بالثقاف أي قَوّمَ اعوجاجه.

وفي الـغيِّ مِـطـواعٌ وفي الـرُّشـد مُـكرَهُ

أُعــاتــبه في تــوبــةٍ فــيــقـول لا

فـإن قـلـتُ تـأتـي فـتـنـةٌ قـال أيـنَهُ ؟

وللخطيب أبي محمد ابن برطلة:(١)

[الطويل]

بــأربــعــةٍ أرجــو نجــاتي وإنَّــهــا

لأكـــرمُ مـــذخـــورٍ لـــديَّ وأعـــظمُ

شــهــادةِ إخلاصي، وحــبِّي مـحـمَّـدًا

وحُــسنِ ظـنــوني، ثمّ إنِّيَ مُـســلم

ولشاعر أعرابيٍّ:

[الرمل]

حَسِّنِ الظنَّ بمن قد عوَّدَكْ كلَّ إحســانٍ وقَوَّى أَوَدَكْ(٢)

(١) لطائف: من اللطف، اللطيف صفة من صفات الله، واسم من أسمائه، لطف يلطف لطفًا: رفق به، لطف الله لك أي أوصل إليك ما تحب برفق، واللطف: البر والتكرمة.

(٢) أبو الوليد الباجي: هو الفقيه القاضي أبو الوليد الباجي كما يقول الفتح بن خاقان في حقه: بدر العلوم اللائح وقطرها الغادي الرائح... كان إمام الأندلس الذي تقتبس أنواره... رحل إلى المشرق فعكف على الطلب ساهرًا وقطف من العلوم أزاهراً ، ثم استدعاه المقتدر بالله فسار إليه مرتاحًا، انظر: قلائد العقيان، ص٢١٥.

(٣) ورد في مخطوط (ب.ح) ص٢٢ عبارة ضنين بالإشالة وهو خطأ إملائي، لأن ضنينًا به في قول أبي الوليد من الضنة.

(٤) ورد البيتان في قلائد العقيان للفتح بن خاقان، ص٢١٦.

(٥) هو زند بن الجون الأشجعي، أبودلامة، مليح الشعر كثير النادرة، توفي سنة ١٦٠هـ/٧٧٦م. جاء في رواية البغدادي أن أبا دلامة ولدت له ابنة فغدا على أبي جعفر المنصور فقال له: يا أمير المؤمنين إنه ولد لي الليلة ابنة، فقال فما سميتها؟ قال: أم دلامة، قال وأي شيء تريد، قال: أريد أن يغنيني عليها أمير المؤمنين، قال: فهل قلت فيها شيئًا؟ قال: نعم قلت:[البيتين]قال: فضحك أبوجعفر المنصور،ثم أخرج أبودلامة خريطة من خرق فقال ما هذه؟ قال: يا أمير المؤمنين اجعل ما تحبون. قال: املؤوها له دراهم، فوسعت ألفي دينار، البغدادي ص٤٩٢. وفي رواية ابن المعتز قال: ولأبي دلامة في بنية له، يقال لها أم دلامة مدللة، يقول فيها ساعة ولدت [البيتان] طبقات ابن المعتز ص٦٢. وقد ترجم لابن دلامة في دائرة المعارف الإسلامية (**El,I,P, 120 (J. Horov Lez**وفي تاريخ بغداد، ج٨ ، ص٤٨٨–٤٩٣. والمؤتلف والمختلف للآمدي ص١٣١، وترجمة ضافية لابن المعتز في طبقاته ص٢٥٤، وورد في الأغاني رواية أخرى تقول: أخبرني الحسن بن علي الحفّاف قال: حدثنا أبوبكر أحمد بن أبي خيثمة قال: حدثنا محمد بن سلام عن علي بن إسماعيل قال: كنت أسقي أبا دلامة والسيد الحميري، إذ خرجت بنت لأبي دلامة فقال فيها أبودلامة:

فما ولدتكِ مريمُ أم عيسى ولا ربّاكِ لقمانُ الحكيمُ

أجزْ يا أبا هاشم فقال السيد:

ولكنْ قد تضمّكِ أمُّ سوءٍ إلى لبّاتها وأبٌ لئيـمُ

والمكنى هنا أباها ثم هو الشاعر الشيعي السيد الحميري، انظر: الأغاني، ج٧، ص٢٢٤–٢٢٧، وترجمة مفصلة في الأغاني، ج١٠، ص٢٤٧–٢٨٥.

إنَّ ربّاً كان يكفيــــكَ الذي كان بالأمس سيكفيكَ غدَكْ

وقال آخر:

[مجزوء الرمل]

خَفْ إذا أصبحتَ ترجُو وارجُ إن أصبحتَ خايفْ
رُبَّ مكروهٍ مَخُـــوفٍ فيــــه للّهِ لطـايفْ[1]

ولأبي الوليد الباجي:[2]

[المتقارب]

إذا كـنتُ أعـلم عـلـمًـا يـقـيـنًـا
بـأنّ جـمـيع حـيـاتي كـسـاعَةْ
فـلِمْ لا أكـون ضـنـيـنًـا[3] بـهـا
وأجـعـلـهـا في صلاحٍ وطـاعـةْ[4]

فكاهة:

وُلد لأبي دُلامة[5] بنت فقال يهجُوها تضجّرًا بها:

[الوافر]

فـمـا وَلـدتكِ مَـريمُ أمُّ عـيـسى
ولم يـكـفـلْكِ لـقـمـانُ الحـكـيمُ
ولـكنْ قـد تـضـمّكِ أمُّ سـوءٍ
إلى لـبّـاتـهـا[1] وأبٌ لـئـيمُ

مُذهبَة:

قال الزبير بن بكّار[2] كان المِسْوَر بن مخرمة ذا مال كبير، فأسرع فيه على إخوانه، فذهب، فسأل امرأته وكانت مُوسرة فمنعته وبخلت عليه، فخرج يريد بعض الخلفاء من بني

---

(١) أي لزومًا إلى طاعتها.

(٢) عليه اعتماد الناس في نسب القرشيين، له كتاب أنساب قريش، توفي سنة ٢٥٦هـ. انظر: الوفيات لابن خلكان، ج٢، ص٢١١-٢١٢ ، وتاريخ بغداد، ج٨، ص٤٦٧-٤٧١ ، وانظر: جمهرة أنساب العرب، تحقيق محمود شاكر، المقدمة، ص٥٤-٧٢ ، تجد كل ما يتعلق بحياة الزبير بن بكار.

أميَّة منتجعًا، فلمَّا كان ببعض الطريق نزل ماء يُقال له بِلاكثْ، فقال لغلامه كيف يقال لهذا الماء ! قال: يُقال له بلاكث. قال: غنِّ قول الشاعر فغنّاه:

[الخفيف]

بـيـنـمـا نـحـن في بِلاكثَ بـالـقـا
عِ سِـراعـاً والـعـِيسُ تـهـوي هُـويّـا
خـطـرتْ خـطـرةٌ عـلـى الـقـلـب من ذِكْ
ـراكِ وَهْـنـاً فـمـا اسـتـطـعتُ مُـضـيّـا
قـلـتُ لـبّـيـكِ إذ دعـانـي لكِ الـشَّـوْ
قُ ولـلـحـادِيـيْـن كُـرَّا الـمـطـيّـا

قال هنّ بُدنٌ إن لم نكرّها رواجع، فقال له غلامه:قد أشرفت على أمير المؤمنين، قال: هُنَّ بُدنٌ إن لم نَكرّها رواجع، فانصرف راجِعاً ودَخل المصلَّى ليلاً فوجد رجال قريش حلقًا يتحدثون فقالوا له: أرادٌ خَيْرٍ؟ قال: رادٌ خَيْرٍ حتى انتهى إلى داره، فقالت له امرأته: أرادٌ خَيْرٍ؟ فأنشدها الأبيات، قالت له: كل ما أملكه في سبيل الله لئن لم أشاطرك مالي فَشَاطَرَتْهُ.

واشترى عبدالله بن طاهر جارية[1] فمكث شهرين لا تكلّمه فصنع:

---

(١) ورد في مخطوط (ز.س.خ) ص٤٦ بمال جسيم على ابنة عمه خلافاً لمخطوط (ب.ح) الذي أهملها، وعبدلله بن طاهر المشار إليه هو أبو العباس بن طاهر بن الحسين بن مصعب بن رزيق بن ماهان الخزاعي بالولاء،كان المأمون كثير الاعتماد عليه وقد مدحه أبوتمام، توفي سنة ٢٣٠هـ وعاش مثل أبيه طاهر ثمانياً وأربعين سنة، انظر من حوله: الوفيات لابن خلكان، ج٣، ص٨٣–٨٩، تاريخ بغداد، ج٩، ص٤٨٣ –٤٨٩ ، وتاريخ الطبري، ج١٠ ، ص٢٧٨ ،الأغاني، ج١٢ ، ص٩٢–١٠٣ ، وج٢٠ ، ص١٤٣.

(٢) هو مالك بن عبدالرحمن بن علي بن عبدالرحمن بن فرج بن أزرق بن سعد بن سالم بن الفرج يعرف بابن المرحّل (٦٠٤–٦٩٩هـ١٢٠٧/–١٢٩٩م) يقول ابن الخطيب: قال شيخنا الفقيه أبوعبدالله بن القاضي المتبحر العالم أبي عبدالله بن عبدالملك: سألته عن مولده –يقصد مولد ابن المرحل– فأنشدني:

يا سائلي عن مولدي كي أذكرَهْ ولدت يوم سبعةٍ وعَشرهْ
من المحرّم افتتاح أربعٍ عن بعد ستمائة مفسّره

(أي في ١٧من محرم عام٦٠٤هـ) أما وفاته فهي في التاسع عشر لرجب عام تسعة وتسعين وستمائة ودفن بمقبرة فاس. سبب تسميته بالمرحل: وصف جرى على جده علي بن عبدالرحمن لما رحل من شانتمارية الغرب **Santa maria de Algarve** التي تسمى اليوم **faro**بالبرتغال حين استسلامها للروم –يقصد الزحف الاستردادي الإسباني– سنة خمس وستين وخمسمائة (٥٦٥هـ) –لكن الصحيح هو هو ٥٥٠هـ–. قال عنه ابن الجلاد كانت نشأته بمالقة بلده وقرارة مولده... لم يتميز بحسب وإنما أنهضه أدبه وشعره وعوضه بالظهور من الخمول نظمه ونثره، ويقول عنه ابن الزبير أبوجعفر... هو

[الطويل]

إلى كم يكون العتبُ في كل ساعةٍ
وكم لا تملّين القطيعةَ والهجرا
رُويدكِ إنّ الدّهرَ فيه كفايةٌ
لتفريق ذات البينِ فانتظري الدهرا؟

شاعر رقيق مطبوع له العديد من الدواوين الشعرية ذكرها ابن الخطيب، كالجولات والصدور والمطالع سلك المنخل لمالك بن المرحل نظم فيها منخل أبي القاسم ابن العزفي، والوسيلة الكبرى المرجو نفعها في الدنيا والآخرة وعشرياته والزهديات، اشتهر بمدح النبي (ﷺ)، من أطرف قصائد ابن المرحل في رأيي عينيته المتكونة من٥٦ بيتاً تحدث فيها عن مغامرة شيخ غُرّر به فتزوج من امرأة بنقاب، ولما أسفرت عن وجهها كانت القصيدة.

ومن طرائفه أيضًا ما حدث له مع شاعر غرناطة الهجاء ابن رشيق، أوكما يقول ابن الخطيب: جرت بين الشاعر حسين ابن عتيق بن الحسين بن رشيق التغلبي وأبي الحكم مالك ابن المرحل من الملاحات والمهاترات أشد ما يجري بين متناقضين آلت به إلى الحكاية المشهو رة وذلك أنه نظم قصيدة نصها:

لكلاب سبتةَ في النباح مداركُ وأشدها دركًا لذلك مالكُ

أثبت ابن الخطيب منها أربعين بيتًا، وهي تزيد، واتخذ له ابن رشيق كنانة خشبية كأوعية الكتب وكتب عليها رَقَّاص معجًل إلى مالك بن المرحًل وعمد إلى كلب وجعلها في عنقه وأوجعه خبطًا حتى لا يأوي إلى أحد...انظر: الإحاطة لابن الخطيب، ج١، ص٤٨٠-٤٨٤، وانظر كذلك حول هذه الشخصية الطريفة: الإحاطة، ج٣، ص٣٠٣-٣٢٤، درة الحجال في أسماء الرجال لابن القاضي، ج٣، ص١٩-٢٦، وانظر النبوغ المغربي، ج١، ص١٥٨ ، وج٢، ص٣٦٦-٣٦٧، وسلسلة مشاهير المغرب، ص٥-٤٦ .

(١) المجبنات: هي نوع من الأكلات المصنوعة بالجبن، وقد فصل فيها القول صاحب كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس تحقيق لامبروزيو أويثي ميراندا، نشر معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٦٥، ص٨٩-١٩٩إلى٢٠١، فهناك أنواع منها: مجبنة بالبيض والمجبنة الطليطلية والمجبنة المثلثة..إلخ .

(٢) كلمة العظام ساقطة في مخطوط (ب.ح) ص٢٣.

(٣) هو أبوبكر محمد بن عيسى بن عبدالملك بن عيسى بن قزمان الأصغر إمام الزجالين في الأندلس وشهرته تغني عن الإطناب، جُمعت أزجاله في ديوان نشره عام ١٨٩٦جنزبرخ معتمدًا نسخة صفد وهي بخط مشرقي يعسر فهمه لأنه منظوم بالعامية الأندلسية. وقد اعتنى المستشرقون عناية فائقة بهذا الديوان لكونه جاء بلهجة عامية أندلسية ممزوجة بعامية المستعربين (**mozarabes**) الإسبان الذين كانوا يتحدثون بدورهم العامية اللاتينية التي تعرف باسم اللغة الرومنثية ومن هنا كان الاهتمام به فدرسه المستشرق الإسباني ريبيرا ثم اعتنى به المستشرق الألماني نيكل الذي نشره بأحرف لاتينية، وأخيرًا تقدم لدراسته وترجمته ترجمة شعرية بالوزن والقافية المستشرق الإسباني القدير أستاذنا إيميليو غارسيا غومس فأخرجه في ثلاثة أجزاء بعنوان «الكل ابن قزمان» (**Todo Ben Guzman**) وهو عنوان دال على محتواه... لكن الدراسات الأدبية ليس لها نهاية فقام أحد طلاب غارسيا غومس المستشرق فيديريكوكوريانتي (**Federico Corriente**) صاحب المعجمين العربي الإسباني والإسباني العربي على إعادة تحقيق الديوان وأخرجه بالعربية مع نقل له بالحرف اللاتيني وكذا دراسته لجوانبه النحوية والعروضية بعنوان قواعد وأوزان ونص النشيد الإسباني العربي لابن قزمان (**Gramatica Metrica y Texto Del Cancionero Hispano-arabe de Ben Guzman**) فجاء في ٩٥٠صفحة من الحجم الكبير، نشر المعهد الإسباني العربي بمدريد١٩٨٠. . . يمكن العودة للاستزادة حول حياة الزجال ابن قزمان إلى المقري نفح الطيب، والمغرب في حلى المغرب ص١٠٠-١٠١و١٦٧-١٧٦، ومقدمة ابن خلدون ص٥٠٠- ٥٨٣، باب الموشحات والأزجال.

وأمر قينة فغنّت البيتين على باب المقصورة التي فيها ابنة عمّه، فلمّا سمعت البيت الأخير خرجت حافية وأكبَّت عليه تُقبِّل رجليه وهي مشقوقة الثياب، فقال: قد وهبنا لك الجارية فاصنعي بها ما شئت. ومثل قول عبدالله بن طاهر ما قال بعض الشعراء:

[الكامل]

ولقد علمتَ فـلا تكُنْ مُتجنِّيًا　　أنّ الصدودَ هوالفِراقُ الأوّلُ

حسبُ الأحبَّةِ أن يفرِّقَ بينهم　　ريبُ المنُونِ فما لنا نستعجل؟

فكاهة:

قال أبوالحكم مالك بن عبدالرحمن المرحّل:[٢]

قلْ لمن يــهـوى الـبـنـــينَ والـبـنـاتْ

أنـا لا أهـوى سـوى المجـبّـنـاتْ[١]

مـا هوًى يكسو [العظام][٢] العاريـاتْ

كـهـوًى يُـعـري الـعـظـامَ الـكـاسـيـاتْ

قال أبوبكر ابن قزمان:[٣]

[الطويل]

بـدكـانـةِ الـسِـفّـاجِ[١] تـطـلـع أنجـمُ

ودِدْتُ ولـو قـد كـان مـغـربُـهـا فـمي

وقـد قـيل لي إنَّ الـدراهمَ مـهـرُهـا

(١) نوع من الحلويات (وأظنه السفنج الذي لا يزال معروفًا عندنا)، انظر كتاب الطبيخ، ص٢٢٩.

(٢) هو الحسن بن رشيق ويكنى أبا علي المسيلي (٣٩٠-٤٦٣هـ/١٠٠٠-١٠٧١م) انظر: ابن خلكان، الوفيات، ج٢، ص٨٥-٨٩، والأعلام للزركلي، ج٢، ص٢٠٤-٢٠٥. ، وانظر حياة القيروان وموقف ابن رشيق منها ابتداء من ص٧ ولا وجود للبيتين في الديوان الذي جمعه الدكتور عبدالرحمن باغي.

(٣) البيت من قصيدة للمتنبي يمدح فيها عضد الدولة وولديه أبا الفوارس وأبا دلف ويذكر طريقه بشعب بوان ومطلعها:

مغاني الشعب طيبًا في المغاني　　بمنزلة الربيع من الزمانِ

انظر: ديوان المتنبي، ج٤، ص٣٨٣.

(٤) هو أبوالشمقمق مروان بن محمد، توفي نحو٢٠٠هـ/٨١٥م والشمقمق في اللغة الطويل أوالنشيط، وفي التركية شمقمق بكسر الشين وفتح الميمين المدلل، كان هجاء كبيراً فيقال إنه كان يتقاضى من بشار بن برد ما يشبه الجزية حتى ينجو من هجوه، انظر: الأغاني، ج٣ ، ص١٧٢، وص١٨٨-١٨٩، وتاريخ بغداد، ج١٣، ص١٤٦-١٤٧، وطبقات الشعراء لابن المعتز، ص١٢٦-١٣٠، والأعلام للزركلي، ج٨، ص٩٧-٩٨.

فمـا حـيـلـتي فـيـهـا وقـد قلَّ درهـمي !

مُذهَبَة:

قال ابن رشيق[٢] صاحب كتاب العُمدة:

[السريع]

مــتى أفِــدْ شــيــئًــا عــلى حَــبَّــةٍ
من ذهـبٍ أوفـــــضّـــــةٍ يـــــذهبِ
حـــتى كـــأنِّي إنَّـــمـــا في يـــدي
بــعضُ دنـــانـــيــرِ أبي الــطــيِّبِ

وهو يشير في هذه القطعة لقول أبي الطيِّب المتنبي يصف الشمس من خَلَل الأغصان:

[الوافر]

وألــقى الــشــرقُ مــنــهــا في ثــيــابي
دنـــانــيـــراً تـــفـــرُّ من الـــبَـــنـــان[٣]

قال أبوالشمقمق[٤]:

[الخفيف]

أتُـــراني أرى من الـــدّهـــر يـــومـــاً
ليَ فـــيه مـــطـــيَّـــةٌ غـــيـــرَ رجْـــلي
حـــيـــثُـــمـــا كـــنتُ لا أُخـــلّفِ رَحْلاً
من رآني فـــقـــد رآني ورحـــــلي[١]

وقال آخر:

الحـــمـــدُ لـــلـه لـــيس لي نـــشبٌ[٢]
قـــد خفّ ظـــــهـــري وقلَّ زُوّاري
من [نــظــرتْ][٣] عــيــنُه إليَّ فــقــد

(١) رحلي: من الرحل مركب للبعير والناقة وجمعها أَرْحُل ورِحال.
(٢) النشب: المال والعقار.

أحــاطَ عِـلـــمًــا بمـــا حــوتْ داري

وقال آخر:

[المتقارب]

ومـــــا لـي خـــــديمٌ فــــأدعُــــو بـهِ
سِـــوى مَنْ أبـــوه أخـــوعـــمَّـــتِي

وهو يعني بذلك نفسه.

فكاهة:

قال بعضهم:

[الكامل]

كَـفِّي ورِجْـلي لا عـدِمتُ كـلـيـهـمـا
بـهـمـا أصول عـلى الـزمـان وأعـتـدي
أمــشي عـــلى هـــذي؛ وأنـــكح هـــذه
فـمـطـيّـتي رجْـلي وجـاريـتي يـدي

مُذهَبَة:

قال بعض الشعراء: [الطويل]

عـجـبتُ لأهل الحبِّ كـيف تـبـايـنـوا
ولم يكُ سـلـطـانُ الـهـوى كـأسـيـرهِ

(١) سبق التعريف به.
(٢) من فسق يفسِق ويفسُق فُسوقًا بالضم أي فجر.
(٣) ورد البيتان في الأغاني، ج٨، ص٣٥٨-٣٨٩ مع تعليق للأصمعي.
(٤) هو أبوسعيد عبدالملك بن قريب بن عبدالملك بن علي بن أصمع الباهلي اختلفت المصادر في تحديد سنة وفاته بين ٢١٠هـ و٢١٦هـ غير أن المرجح أنه ولد سنة١٢٣هـ وقد تجاوز التسعين، انظر: إنباه الرواة، ج١ ، ص٢٥٠-٢٥٤.
(٥) هذا التعليق من طرف الأصمعي موجود في الأغاني، ج٨، ص٣٥٨-٣٨٩.
(٦) أبوالعلاء ابن زهر: هو أبو العلاء مروان بن عبدالملك بن زهر الإيادي، مولده بإشبيلية سنة ٤٦٤-٥٥٧هـ/١٠٧١-١١٦١م توفي بمراكش، طبيب بارع وشاعر مكثر، انظر: الذيل والتكملة، السفر الخامس، القسم الأول، ص١٨، وعيون الأنبياء في عيون الأطباء، ص١٥٠-١٥١.

فبـعْـضُــهمُ مــحـبُــوبهُ عـنه نـــازحٌ
وبــعــضُــهم مــحـبُــوبهُ في سـريـــرهِ

وللعباس بن الأحنف[(١)]: [البسيط]

أتــــأذنـــون لـــصبٍّ في زيــــارتـــكم
فـعـنـدكم شـهـواتُ الـسمعِ والـبـصـرِ
لا يُضمـر السُّوءَ إن طال الجُـلُوس بهِ
عفُّ الـضَّميـرِ ولكنْ فاسقُ[(٢)] الـنظر[(٣)]

قال الأصمعي:[(٤)] مازال هذا الفتىَ يُدخل يده في جِرابه فلا يخرج شيئاً حتى أدخلها فأخرج هذا ومن أدْمن طلب شيءٍ ظفِرَ ببعضه[(٥)] ، ولأبي العلاء ابن زُهْر[(٦)]:

[البسيط]

يــا راشـقي بـسـهـامٍ مـا لـهـا غـرضُ
إلاَّ الـفـؤادُ ومـــا مـنه لـــهـا عِـوَضُ

---

(١) هو يوسف بن هارون الكندي أبوعمر يعرف بالرمادي، ويرجح جامع ديوان الرمادي الأستاذ ماهر زهير جرار أن تكون ولادته حوالي ٣٠٥هـ-٩١٧/م وتوفي ٤٠٣هـ-١٠١٢/م، أظن أن أحد آبائه كان من رمادة، شاعر قرطبي كثير الشعر حتى كان كثير من شيوخ الأدب في وقته يقولون فُتح الشعر بكندة وختم بكندة، يعنون امرأ القيس والمتنبي ويوسف بن هارون، فيقال إنه عاش مائة عام (انظر مقدمة نشر ديوان الرمادي، ص٧ إلى ٤٨) انظر من حوله: معجم الأدباء لياقوت، ج٤ ، ص٢٨٢ [حول رمادة]، ووفيات الأعيان، ج٢، ص٥٤٤، وجذوة المقتبس للحميدي، ص٣٤٦-٣٤٧.

(٢) أورد الحميدي في جذوته البيتين مع إضافة ثالث:

لا تنكروا غزرَ الدموع فكلمـــا ينحّل من جسمي يصير دموعا
والعبد قد يعصي وأحلَف أنني مــــا كنتُ إلا سامعاً ومطيعا
قولوا...

في حين جامع ديوانه يذكرهما ضمن مقطوعة شعرية تتكون من ستة أبيات، ص١٨.
انظر الحميدي: جذوة المقتبس ص٣٤٩، والمغرب، ص٣٩٣، وذكر الحميدي أن الشاعر الرمادي ألف كتابًا في السجن سماه (كتاب الطير) في أجزاء وكله من شعره... وقد رأيت النسخة المرفوعة بخطه إلى ولي العهد هشام بن الحكم ص٣٤٩، انظر من حول الشاعر: الحميدي، جذوة المقتبس، ص٣٤٦-٣٤٩ ، الفتح بن خاقان، مطمح الأنفس، ص٦٩-٧٤ ، ابن دحية: المطرب، ص٣-٦ ، المقري: نفح الطيب، ج٢، ص٤٤٠، المغرب في حلى المغرب، ص٣٩٢-٣٩٤، ماهر زهير جرار: شعر الرمادي يوسف بن هارون شاعر الأندلس في القرن الرابع الهجري، جمع وتقديم، بيروت١٩٨٠ ، وأورد ابن خاقان له يتغزل:

أوما لتقبيل البساط خنوعا فوضعتُ خدّي في التراب خضوعا
ما كان مذهبُه الخنوَعَ لعبـده إلا زيادةَ قلبــه تقطيعـــــــا
قولوا لمن أخذ الفؤادَ مسلّمًا يمنْنْ علي بردّه مصدوعــــــا
العبُد قد يعصي وأحلف أنني ما كنتُ إلا سامعًا ومطيعـــا
مولايَ يحيى في حياة كاسمـه وأنا أموت صبابةً وولوعـــا
لا تنكروا غيثَ الدموعً فكلما ينحلّ من جسمي يكون دموعا

يعلق الدكتور شوقي ضيف على البيت:لا تنكروا... في الهامش قائلاً: في القلائد غيث الدموع، ص٣٩٣ لكن هذا غير مثبت، فالرمادي مذكور في مطمح الأنفس وليس في القلائد كما نجد في كتاب المطمح في الصفحة السابقة في ترجمة الرمادي يذكر فيها القرن الثالث.. وهو ما لم يذكر في قلائد العقيان، انظر: مطمح الأنفس، ص٧١، وانظر الديوان، ص٨١.

ومُـمـرِضـي بــجــفـونٍ كـلُّــهـا غـنـجٌ
صحَّتْ وفي طبعها التمريضُ والمرضُ
جُـدْ لِي ولـو بـخـيـالٍ منك يَـطـرقُني
فقد يسدُّ مَسَدَّ الجـوهـرِ الـعَـرَض

ولبعضهم:

[الوافر]

رَثَى لِيَ حُــسَّــدِي إذْ عــايــنُــوني
ومــاءُ مَــدَامــعي مــثلُ الــعُــيــونِ
ورَامـوا كـحلَ عـيــني، قـلتُ كُـفُّــوا
فـأصلُ بَـلـيّــتي كـحلُ الـعــيـون

ولأبي عمران الرَّمادي[١]:

[الكامل]

لا تـنـكُروا غُـزْرَ الـدُّمـوعِ فـكلُّ مـا
يـنـحَلُّ من جِـسمي يَـصِـيـرُ دُمُـوعـا
قُـولـوا لـمَنْ أخـذَ الـفـؤادَ مُـسلّـمًـا
يمْــنُنْ عــليَّ بــردِّهِ مَــصْــدُوعَــــا[٢]

فكاهة:

قال أعرابيٌّ من بني أسد:

[المتقارب]

تـمـنـيتُ لـوعـاد شـرخُ الـشـبـابِ[١]

---

(١) شرخ الشباب: قوته ونضارته، والشرخ أول الشباب، والشارخ الشاب، والشَّرْخ اسم للجمع.

(٢) عمارة بن عقيل: من أحفاد جرير الشاعر المشهور، مقدم وفصيح، يقول الخطيب البغدادي إنه روى عنه أبوالعيناء والمبرد ولما قدم بغداد اجتمع الناس إليه وكتبوا شعره وسمعوا منه وعرضوا عليه الأشعار، ولد عام (١٨٢هـ وتوفي عام ٢٣٩هـ/الموافق لـ٧٩٨-٨٥٣م) انظر من حوله: تاريخ بغداد، ج١٢، ص٢٨٢-٢٨٣ ، الأعلام للزركلي ج٥، ص١٩٣ .

(٣) به: ساقطة في مخطوط (ب.ح) ص٢٤.

(٤) الحجل: الخلخال، وهنا مجاز مرسل علاقته المجاورة أي رقيقة مكان الخلخال.

ومن ذا علـى الـدَّهـر يُـعـطى المُـنَى

وكـنتُ مـكـيـنـاً لـدى الـغـانـيـاتِ

فلا شيءَ عـنـدي لـهـا مُـمـكـنـا

فـأمّـا الحِـســانُ فـيــأْبـيْـنَـني

وأمَّــا الـقِـبـاحُ فـأبى أنـا

حدَّثَ عِمارة بن عقيل[٢] قال: كانت مولاة لبني الحجَّاج تحفظ شعري وتَرويه وتنشد فتيات بني الحجَّاج فأنشدتْهُنَّ ذات ليلة كلمتي في حمَّادة، وفيهنَّ واحدة وهي عقيلتهن، فلمَّا أتت على قولي:

[الطويل]

فـإن تـكُنِ الأيَّـامُ شـيَّـبْنَ مَـفـرِقِي

وأذهـلْنَ أشـجـاني وقـلّـلْنَ من غـربِ

فـيـا رُبَّ يـومٍ قـد شـربتُ بمـشـربٍ

شفيتُ [به][٣] غيمَ الصَّدَا باردٍ عذب

ومن لـيـلـةٍ قـد بِـتُّـهـا غـيـرَ آثمٍ

بشاجِيـة الحِجْلين[٤] ريَّـانةِ القَلبِ

ضحِكت ثُمَّ أعرضت وضربت على وجهها وقالت: فهَلاَّ أثِمَ حرمه الله !

مُذهَبَة:

قال أبوبكر ابن قُزمان[١]:

[السريع]

---

(١) سبق التعريف به.

(٢) المدائني: هو علي بن محمد بن عبدالله أبوالحسن المدائني، راوية ومؤرخ (١٣٥-٢٢٥هـ/٧٥٢-٨٤٠م) روى عنه الزبير ابن بكار المشهور، كان يقال من أراد أخبار الجاهلية فعليه بكتب أبي عبيدة، ومن أراد الأخبار فعليه بكتب المدائني، انظر من حوله: الأعلام للزركلي، ج٥، ص١٤٠، وتاريخ بغداد، ج١٢، ص٥٤-٥٥ .

(٣) حمزة بن بيض بن نمر بن عبدالله بن شمر الحنفي (... ١١٦هـ/... ٧٣٤م) من بني بكر بن وائل، شاعر مجيد كان منقطعاً إلى المهلب بن أبي صفرة وأولاده، انظر: الأعلام للزركلي، ج٢، ص٣٨٠.

(٤) مخلد بن أبي يزيد بن المهلب بن أبي صفرة (...-١٨١هـ/...-٧٩٧م) قال فيه عمر بن عبدالعزيز بعد مناظرته له هذا فتى العرب، انظر من حوله: الكامل لابن الأثير، ج٤، ص٩٦-٩٧ ، والأعلام للزركلي، ج٨، ص٧٤.

أحـــــسنُ مَـــــا قـــــيلَ لــــو إذا
هُـــنِّيَ في خـــطّــته الـــسّـــامـــيَه
أطْـلَـــعَكَ الــلهُ عــلى غـبــطـــةٍ
تـكـون عُـقـبـاهــا إلى الـعَـافـيه
الـــدّعـــوةُ الأولى عـــلى قَـــدْرِهـــا
مَـرْبُـوطـةٌ بـالـدّعـوة الـثّـانـيه

روى المدائني[٢] أن حمزة بن بيض الحنفي[٣] مرَّ بمخلد بن يزيد المهلّب[٤] وهوخليفة أبيه على خراسان وسِنّهُ إذاك عشر سنين فقال له: ما تريد ياحَمزة ؟ قال: حمالة حملتها عن قوم، ثمَّ أنشده:

[المتقارب]

أمُـخْـلِـدُ جـئـنـاكَ في حـاجـةٍ
فـقُلْ مَـرحَـبـاً يـجب المـرحبُ
ولا تـكِـلَـنَّـا إلى مـعـشـرٍ
مـتى يـعِـدوا عِـدَةً يـكـذِبُـوا
فـإنّك في الـفـرع من أُسـرةٍ
لـهم خـضعَ الـشـرقُ والمـغـربُ
وفي أدبٍ مـنـهمُ مـا نـشـأت
فـنِـعم لـعـمـرُكَ مـاَ أدَّبُـوا
بـلـغتَ لـعـشـرٍ مـضتْ من سِـنـيكَ
كـمـا يـبـلغ الـسـيِّـدُ الأشـيَبُ
فـهـمُّكَ فـيـهـا جِـسـامُ الأمـورِ
وهَمُّ لِـدَاتِـكَ أن يـلـعـبـوا
وجُـدْتَ فـقُـلتَ ألا سـائلٌ

(١) سبق التعريف به.
(٢) ونائلكم: مصدر نلت أنال، يقال نلت له بشيء جدت. نالني بالخير ينولني نوالاً ونولاً ونيلاً، والنوال العطاء.
(٣) غمر: كثير.
(٤) المن: مَّن يمن منّاً: أحسن وأنعم واعتقد عليه منًا حَسبه عليه.

يُـــجـــابُ وهل طـــالبٌ يـــطـــلب

فـمـنكَ الـعـطـيَّـةُ لـلـسـائـلـينَ

ومِـــمَّن يَـــنُـــوبكَ أن يـــرغـــبـــوا

فقال له كم هي حمالتك؟ قال:مائة ألف، قال: هي عليٌّ وأمر له بها، قال الشاعر أبوبكر ابن قزمان(١):

[الطويل]

أرى الـدَّهـرَ إن يـبـطشْ فـأنتَ يمـيـنُهُ

وإنْ تـضـحكِ الـدنـيـا فـأنتَ لـهـا ثـغـرُ

طـريـقـتُـكم مُـثـلى، وهـديـكُمُ رضـىً

ومذهبكم قصدٌ، ونـائلـكم(٢) غـمـر(٣)

عـطـاءٌ ولا مَنٌّ(٤)، وحُـكمٌ ولا هَـوىً

وحِـلمٌ ولا عـجـزٌ، ومـلكٌ ولاكِـبْـر

ثـمـانـيـةٌ لم تـفـترقْ قد جـمـعـتَـهـا

فلا افـتـرقتْ مـا دبَّ عن نـاظرٍ شَـفْـر

بـقـاؤكَ والـدنـيـا، وقـدركَ والـعُـلى

وكـفُّكَ والجـدْوَى، وسـيـفُكَ والـنـصر

ولبعضهم:

[الكامل]

مـلكَ الـنـفـوسَ بـصـورةٍ قَـمَـريَّـةٍ

تجـلـو عـلـيكَ مـشـارقَ الأنـوارِ

وسـبىَ الـقـلـوبَ بـسـيـرةٍ عُـمَـريّـةٍ

تـتـلـو عـلـيكَ مـنـاقبَ الأبـرار

وزُلزلت مصر في أيَّام الحاكم العبيدي(١) فقال له بعض الشعراء:

(١) المقصود هو المعز لدين الله الفاطمي معدّ بن إسماعيل (المنصور) بن القائم بن المهدي عبيد الله الفاطمي العبيدي (٣١٩-٣٦٥هـ/٩٣١-٩٧٥م) الأعلام للزركلي، ج٨، ص١٧٩-١٨٠.

[البسيط]

بالحاكم العدل أضحى الدّينُ مُعتليًا
نجلَ الهُدى وسليلَ السَّادةِ الصُّرَحا
ما زُلزلتْ مصرُ من كيْدٍ يُراد بها
وإنَّما رَقصتْ من عَدْله فرحا

فكاهة:

قال بعض الشعراء يصف رجلاً بالبخل:

[البسيط]

لو أنّه غَرِقٌ في البحر ثم لُقِيْ
آتٍ وقال له تنجو من الغرقِ
وهبْ لنا جُرعَةً منه لقال له:
دَعْني أموتُ فليس الجُودُ من خُلُقِي

وقال آخر:

[الطويل]

ذكرتُ له ضيْفاً فظنَّ بأنَّني
ذكرتُ له ضيفاً فقام إلى السَّيفِ
فقلتُ له خيراً فظنَّ بأنَّني
ذكرتُ له خُبزاً فمات من الخوفِ

وقال آخر: [المتقارب]

---

(١) خلل إيقاعي في عجز البيت.

(٢) هو أبوالحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي بن أحمد... بن منظور الحضرمي الإشبيلي المعروف بابن عصفور، ولد في إشبيلية عام (٥٩٧هـ-١٢٠٠/م وتوفي بتونس عام ٦٦٩هـ-١٢٧٠/م) حيث قربه هناك السلطان الحفصي المستنصر بالله أبوعبدالله محمد بن أبي زكريا واتخذه جليساً في خواصه. عالم من علماء العربية المبرزين في الأندلس، انظر ما كتب حول هذه الشخصية الفذة الدكتور فخر الدين قباوة في كتابه ابن عصفور والممتع في التصريف لابن عصفور الإشبيلي، تحقيق د فخر الدين قباوة. منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٤، ١٩٧٩ . قال عنه صاحب فوات الوفيات: كان أصبر الناس على المطالعة لا يمل ذلك، وأقرأ بإشبيلية وشريش ومالقة ولورقا ومرسية، انظر: كتاب

تـــــعــــوَّدَ في دَهـــــرهِ قــــولَ لا

فلا يـــــنـــــطق الـــــدَّهْـــــرَ إلاَّ بِلا

ومـــا هـــلَّلَ الـــلهَ يـــرجُـــوالـــثـــوابَ

ولـــــــــكـــنَّ مـن أجْـل لا هـــــــــلَّـلا

مُذهَبَة:

أنشد أبوالقاسم بن أبي طالب الحِمصي لأبي الفضل الجلودي وقد سقط ضرسه:

[المتقارب]

ثــنــايــاكَ أخــنــى عــلــيــهــا الــزَّمــا

نُ، والــدهــرُ مــا زال بــالــنــاس يُــخْنِ

أراكَ الـــزمـــانُ نـــقـــيـــضـــيْن في

زيــــــادةِ سنٍّ ونــــــقــــــصــــــان سنٍّ

وأنشد في خضاب الشَّيب: [الخفيف]

مــا خـضـبتُ المشيبَ شـوقـاً لـلـهـوٍ

ولا طــالــبــاً لــوِصــالِ الــغَــوانِي[1]

بل تَــيــقَّــنتُ أنَّــهُ مــنــذرُ الــمَــوْ

تِ، فـغـيَّـبتُ شـخْـصَهُ عن عِـيــاني

وقال ابن عصفور النَّحوي[2]:

[البسيط]

(١) ورد ذكر البيتين في كتاب السحر والشعر لابن الخطيب، ص١٨٠.

(٢) ابن دقيق العيد: موسى بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، فقيه له شعر حسن (٦٤١هـ-٦٨٥/١٢٤٤-١٢٨٦م) انظر: الأعلام للزركلي، ج٨، ص٢٧٧.

(٣) أبوعمر بن العلاء، انظر الوفيات، ص١٣١.

(٤) أبوالقاسم السهيلي: هو أبوزيد عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد بن أبي الحسن، واسمه أصبغ بن حسين بن سعدون ابن رضوان بن فتوح وهو الداخل إلى الأندلس، يقول ابن دحية هكذا أملى علي نسبه، نشأ بمالقة وبها تعرف، وفي أكنافها تصرف، حتى بزغت في البلاغة شمسه، ورحل إلى قرطبة في طلب العلم وكذلك إشبيلية ورحل إلى مراكش لما وصل كتابه الروض الأنف في شرح السيرة النبوية بدعوة من أمرائها ومكث بها ثلاثة أعوام. أما مولده فهو سنة ٥٥٨هـ ووفاته عام ٥٨١هـ، ينسب إلى سهيل أحد حصون عمالة مالقة، انظر من حوله: ابن دحية، المطرب، ص٢٣٠-٢٣٩، ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، ص٤٤٨ ، الضبي: البغية، ص٣٥٤ ، ابن خلكان: الوفيات، ج١، ص٣٩٢،

لـمَّـا تـشـاغـلتُ بـالـتـفـريط في كِـبَـري

وصـرتُ مُـغْـرًى بشُـرب الـرَّاح والـلَّـعَـس

رأيتُ أنَّ خِـضـاب الـشـيـبِ أسْـتَـرُ لـي

إنَّ الـبـيـاض قـلـيـلُ الـحَـمْـل لـلـدَّنس[1]

وقال ابن دقيق العيد[2]:

[الوافر]

لعمرُكَ ما صبغتُ بياضَ شيْبي	**رجـاءً أن يـعُودَ ليَ الشبـابُ**
ولكنِّـي خشيْتُ يُـراد مِنِّي	**عقولَ ذوي المشيبِ فلا تُصاب**

وأنشد أبوعمروبن العلاء:[3] [البسيط]

يا خـاضبَ الـشـيـبِ بـالـحـنَّـاءِ يـستـرهُ

سلِ المـلـيـكَ له سِـتـراً من الـنَّـارِ

لن يـرحـلَ الـشـيـبُ عن دار أقـامَ بـهـا

حـتَّـى يُـرحِّلَ عـنـهـا صـاحبَ الـدَّارِ

وقال أبوالقاسم السُّهيْلي[4]، وزعم أنه ما سأل الله تعالى قطّ بها حاجة إلاَّ أعطاه إيَّاها وكذلك من استعمل إنشادها:

---

(١) يقول ابن دحية: وأنشدني رحمه الله وذكر لي أنه ما سأل [الله بها حاجة إلا أعطاه إياها]. رواية ابن هذيل مطابقة لرواية ابن دحية للأبيات التي تعتبر الأصل وليس هناك من فرق سوى كلمة واحدة وردت في البيت السادس، وهو الشطر الثاني الذي ورد في رواية ابن دحية كالآتي: إن كان فضلك عن فقير يمنع... المطرب، ص٢٣٤ ، أما في الديباج فورد بدل فقير فقيرك، ج١، ص٤٨١، وعلق ابن دحية على البيت الثالث قائلاً: أما رفع أجمع في هذا البيت فيجوز أن يكون توكيداً لمكان إن الابتدائية، «إن» موضعها الابتداء، وهي مؤكدة للجملة لم تغير معناها وإن غُيِّر لفظها، ألا تراهم قد عطفوا على اسمها بالرفع، وهي إذا استوفت خبرها، نحو: إن زيداً قائم وعمرو، وإذا لم تستوف خبرها فلا يجيز البصريون ذلك، وذلك أنك إذا قلت: إنك وزيد قائمان وجب أن يكون «زيد» مرفوعًا بالابتداء ويكون عاملاً في خبر زيد، وإن عاملة في خبر الكاف ولا يجوز اجتماع عاملين على معمول واحد، وأما الكوفيون فاختلفوا... إلخ ص٢٣٤، أما كتاب الديباج فيضيف البيت الأخير:

ثم الصلاة على النبي وآلهِ خيرِ الأنامِ ومن به يُستشفعُ

انظر: الديباج، ج١، ص ٤٨١، وابن فرحون يروي عن ابن دحية.

[الكامل]

يَا من يَرى ما في الضَّمير ويسمعُ
أنت المُعِدُّ لكلِّ ما يُتَوَقَّعُ
يا من يُرجَّى للشدائد كلِّها
يا من إليه المُشتَكى والمُفْزَعُ
يا من خزائنُ رِزقه في قول «كُنْ»
امنُنْ فإن الخيرَ عندك أجمَعُ
ما لي سِوى فقري إليكَ وسيلةٌ
فبالافتقار إليكَ فقري أدفع
ما لي سِوى قَرْعِي لبابِكَ حيلةٌ
فلَئِنْ ردَدْتَ فأيَّ بابٍ أقرع
ومن الذي أدعُوواهتِفُ باسمهِ
إن كان فضلُكَ عن عبيدكِ يُمنع
حَاشَى لمجدكَ أن تُقَنِّطَ عاصياً
ألفضلُ أجزل والمواهبُ أَوْسع(١)

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى من سورة يوسف عليه السلام الآية٤٤: ﴿قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين﴾.

(٢) دعبل الخزاعي: (١٤٨-٢٤٦هـ٧٦٥/م-٨٦٠م) يقول في حقه ابن المعتز: هو صاحب التائية في آل البيت صلوات الله عليه وعليهم، وهي أشهر من الشمس، انظر: طبقات الشعراء لابن المعتز، ص٢٦٤-٢٦٨، وكذلك الموشح للمرزباني، ص٤٥٨-٤٥٩ و٥٣٦-٥٣٧، وتاريخ بغداد، ج٨ ، ص٣٨٢-٣٨٥ ، ويقول ابن خلكان: ودعبل بكسر الدال وسكون العين المهملتين وكسر الباء الموحدة وبعدها لام وهو اسم الناقة الشارف، الوفيات، ج٢، ص٢٧٠ ، وانظر كذلك من حوله: الأغاني، ج١٨، ص٢٩ .

(٣) أغفيت: من غفا يغفو غفواً وغفوة، وغفي غفية: نام نومة خفيفة.

(٤) مُسَهّد: أَرِق، والسهاد: الأرق، وسهد يسهد سهدًا وسهدًا وسهادًا: لم ينم.

(٥) رعتني: من الروع، الفزع ، ويقال أفرخ روعه :ذهب جزعه.

(٦) مغنوجة: من غَنِج، امرأة غانجة حسنة الدل، وقيل الغُنْج: ملاحة العينين، والغنج في الجارية: تكسّر وتدلل.

(٧) بَدْرة: كيس فيه ألف أوعشرة آلاف دينار.

(٨) يصلّ: صلّ، يصلّ صليلاً، وصلصل صلصلة ومصلصلاً. صلّ اللجام: امتد صوته فإذا توهمت ترجيع صوت قلت صلصل وتصلصل، ويقال صلّ اللجام إذا توهمت في صوته حكاية صوت صل.

آمين يا رب العالمين.

فكاهة:

كتبَ بعض الشعراء لأحد الملوك: [البسيط]

رأيتُ في النوم أنّي راكبٌ فَرَساً
ولي وَصيفٌ وفي كفّي دَنانيرُ
فقال قومٌ لهم فَهْمٌ ومَعرفةٌ
رأيتَ خيرًا وللأحلام تعبيرُ
فجئتُ مستبشرًا مُستشعِرًا فَرَحًا
وعند بشراكَ لي بالفِعل تبشيرُ

فوقَّعَ له في الرُّقعة: أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين[1] ثمَّ أمر له بكلِّ ما طلب، ومثل هذا ما كتب دعبل[2] لبعض الملوك: [الكامل]

أغفيتُ [3] قبلَ الصّبحِ نومَ مُسهَّدٍ[4]
في ساعةٍ ما أنت قبلُ إمامُها
فرأيتُ أنَّكَ رُعتَني[5] بوليدةٍ
مغنُوجةٍ[6] حَسَنٌ عليَّ قيامُها
وببدرةٍ[7] حُمِلتْ إليَّ وبغلةٍ
شهباءَ مُسرجةٍ يصلُّ [8] لِجامُها

فقال له الملك: أمَّا الجارية والبدرة فعندي، وأمَّا البغلة فإنما عندي دَهماء، فحلف له بطلاق امرأته ثلاثًا ما رآها إلاَّ دَهماء، وإنَّما جرى ذلك على لسانه، فضحك الملك وأعطاه كل ما ذكر، ولبعضهم في مدح يحيى بن خالد:

[الطويل]

سألت النَّدى[1] هل أنتَ حُرٌّ فقال: لا
ولكنَّني عبدٌ ليحيى بن خالدِ
فقلتُ: شِراءً، قال: لا من وراثةٍ

---

(١) الندى: السخاء والعطاء والكرم، وتَندّى تسخّى، وورد في مخطوط (ب.ح) ص٢٧ بالألف الطويلة.

تَــوارثــنـي عن والــدٍ بــعــدَ والــد

فكاهة:

قال بعضهم في صاحب وقت غير عارف:

[السريع]

قـــام إلـى الـــشـــمسُ بـــآلاتِــه
مُـــخـــمِّــنـــاً بـــالـظَّنِّ والحَــدْسِ
فـقـلـتُ أين الـشـمسُ؟ قـال الـفـتى:
في الـثـور قـلتُ: الـثـورُ في الـشـمس

وفي طبيب غير عارف:

[مجزوء الرجز]

عـلـيـلـةٌ مـنه عـلى حـالَيْ خَـسـارٍ يـحـصُلُ
تُــؤخَــذ مــنـه دِيــةٌ وبــعــد ذاك يُـقـتَلُ

مُذهَبَة:

قال بعض المشارقة:

[دوبيت]

الــصبُّ بكَ المـتـعـوبُ والمـعـتـوبُ
والـقلبُ بكَ [المسلوب][2] والمسلوبُ
يــا من طـلــبتْ ألحــاظُكَ ســفكَ دَمي
مــهلاً ضـعُفَ الـطـالبُ والمـطـلـوبُ

---

(١) مهفهفة: يقال للجارية الهيفاء مهفهفة وهي الخميصة البطن الدقيقة الخصر، ورجل هفهاف ومهفهف كذلك.

(٢) عرّس: المعرّس الذي يسير نهاره، ويعرّس أي ينزل أول الليل.

(٣) خصره: الخَصْر وسط الإنسان وجمعه خُصور.

(٤) شهب (الأنواء) النجوم السبعة المعروفة بالدراري، والشهاب في الأصل الشعلة من نار، والشَّهَب والشُّهْبة: لون بياض يصدعه سواد.

ولبعضهم:

[الكامل]

ومـهَـفـهف[1] عَـلِقَ الـسـقـامُ بـطَـرْفهِ
وسَرَى فعرَّسَ[2] في معاقد خَصْـرهِ[3]

مــزّقتُ أثـــوابَ الــظلامِ بــثــغــرهِ
ثم انـثـنـيتُ أحـوكـهـا في شَـعـره

ولبعضهم:

[الطويل]

جُـنِـنْتُ فـعُــودي لي بـكُـتـبك إنَّ لي
شياطينَ شوقٍ لا يُفارقنَ مضجعي

إذا استـرقتْ أخـبـارُ وجدي تـمـرُّداً
بعثتُ عليها في الدُّجى شُهْبَ[4] أدمعي

ولبعضهم:

[دوبيت]

دمـعي المـنـهلّ بـعـدكم من عـينِ
مـا فـيه لأجل بُـعـدكم من عـينِ

مــا أغــزرَه كـأنَّه من عـينِ
بـالـعـين أُصـبتُ يـا لَـهـا من عـينِ!

ولبعضهم:

[الكامل]

طَـرْفي وقـلـبي ذا يـسـيل دمـاً وذا

(١) مالك بن المرحل: سبق التعريف به، وانظر من حوله: الإحاطة ج٣، ص٣٠٣.

دون الــورى أنتَ الــعــلــيمُ بــقُــرحهِ
وهــمــا بــحــبّكَ شــاهـــدان وإنّــمــا
تــعــديلُ كلٍّ مــنــهــمــا في جُــرحهِ

ولبعضهم:

[الكامل]

كـيف الـسُـلُـوُّ ولي حـبـيبٌ هــاجـرٌ
قــاسي الـفـؤادِ يـسُـومـني تـعـذيـبـا
لـــمَّـــا دَرى أن الخـــيـــالَ يـــزورني
جـعلَ الـسُّـهَـادَ عـلى الـعـيُـون رقـيـبـا

---

(١) ورد ذكر البيتين الأولين في الإحاطة ج٣، ص٣١٧.

(٢) ابن خفاجة: هو أبوإسحاق إبراهيم بن خفاجة (٤٥١-٥٣٣هـ) من جزيرة شقر (Jucar) جنوب بلنسية يعرف باسم الشاعر الجنّان لكثرة وصفه للأزاهير، انظر من حوله: ديوان ابن خفاجة، تحقيق السيد مصطفى غازي، المقدمة من ص٥-٢٧ ، وانظر: ابن دحية، المطرب، ص٩٤-١١٥، ص١٢٢-١٢٦ .

(٣) ابن عائشة: هو الأديب أبوعبدالله محمد بن عائشة، يذكر الفتح بن خاقان بأسلوبه الخاص مناسبة اللقاء الذي جمع بين الشعراء الثلاثة قائلاً: وخرج من بلنسية يوماً من منية الوزير الأجل أبي بكر بن عبدالعزيز، وهي من أبدع منازل الدنيا وقد مدت عليها أرواحها الأفياء وأهدت إليها أزهارها العرف والرياء، والنهر قد غص بمائه، والروض قد خص بمثل أنجم سمائه، وكانت لبني عبدالعزيز فيها أطراب، تهيأ لهم فيها من الأيام آراب، فلبسوا فيها الأنس حتى أبلوه، ونشروا فيها الأنس وطووه، أيام كانوا بذلك الأفق طلوعًا، لم تضم عليه الترائب ضلوعا، فقعد أبوعبدالله مع لمّة من الأدباء- حسب رواية ابن هذيل-كان بينهم ابن خفاجة وابن اخته ابن الزقاق- تحت دوحة من أدواحها فهبت ريح أنس من أرواحها سطت بأعصارها، وأسقطت لؤلؤها على باسم أزهارها، فقال ابن عائشة:

ودوحةٍ قد علتْ سمـــاءً ... تُطلع أزهارَها نجومـــا
هفا نسيمُ الصبًا عليها ... فأرسلتْ فوقنا رُجومـــا
كأنما الجوُّ غار منـــا ... بدتْ فأغرى به النسيما

ويقول: «كان ابن عائشة كثيراً ما ينشرح بجزيرة شقر، وأبوإسحاق بن خفاجة هو كان منزع نفسه ومصرع أنسه».. الفتح بن خاقان: مطمح الأنفس، ص٨٤-٨٦.

(٤) ابن الزقاق: أبوالحسن بن الزقاق البلنسي، هو علي بن عطية الله بن مطرف بن سلمة اللخمي، توفي في حدود ٥٣٠هـ ولم يبلغ أربعين سنة، انظر: ديوان ابن الزقاق البلنسي، تحقيق عفيفة محمود ديراني، نشر دار الثقافة، بيروت ١٩٦٤، ابتداء من ص٢٧.

(٥) جاء في ديوان ابن خفاجة قوله ص٧٢:

لله نوريّــةُ المحيّـــــــا ... تحمل ناريةَ الحميّـــا
والدوحُ رطب المهزّ لدنٌ ... قد رفّ ريّاً وطاب ريّا
تجسّــمَ النورُ فيه نَوْراً ... فكلّ غصنٍ به ثُريّــا

فكاهة:

قال أبوالحكم مالك ابن المُرَحَّل[1] لما انتهى عمره إلى ثمانين يخاطب نفسه:

[السريع]

يـا أيـهـا الـشـيـخُ الـذي عـمـرُهُ
قـد زاد عـشـرًا بـعـد سـبـعـيـنـا
سـكـرتَ من أكْـؤس خـمـرِ الـصِّـبـا
فـحـدَّكَ الـدّهـرُ ثـمـانـيـنـا[2]
فـلـيـتـه زادك من بـعـد ذا
من أجل ذا تـخـلـيـطك عـشـريـنـا[1]

فيذكر أنَّه بلغ عمره المائة سنة وكان كما تمنَّى.

مُذهبَة:

اجتمع في بُستان ثلاثة من شعراء الأندلس وهم: ابن خفاجة[2]، وابن عائشة[3]، وابن الزقّاق[4] ، فقال ابن خفاجة يصف الحال هناك:

[مخلَّع البسيط]

للَّه نَـوريّةُ المُـحيّـا تحمل نَـارِيَّةَ الحُميّا[5]
دُرنا بها تحت ظلّ دوحٍ قد راق مَرْأًى وطاب ريًّا
تجسَّمَ النُّورُ فيه نَـوْراً فكـلُّ غصنٍ به ثُرَيَّـا

وقال ابن عائشة:

[مخلّع البسيط]

(١) رجومًا من الرجم: النجوم التي يُرمى بها، قال تعالى في الشهب: «وجعلناها رجوماً للشياطين »أي جعلناها مرامي لهم، والرجوم جمع رجم وهو مصدر سُمّي به.
(٢) وردت الأبيات الثلاثة في ديوان ابن الزقاق، ص١٢٥.
(٣) أناخوا: من أنخت الإبل فاستناخت أي بركت، والشاعر استعملها مجازاً لجلاّس المتعة.
(٤) دوحة: الشجرة العظيمة والجمع دَوْح.

ودوحةٍ قد عــلتْ سَماءً تُطلع أزْهارها نُجومـــا
هفا نسيم الصَّبا عليها فَخَلِتُها أرسلتْ رُجُومـا[1]
كأنَّما الأفقُ غــــارَ لـمَّا بدتْ فأغرى بها النسيما

وقال ابن الزقَّاق:

[الخفيف]

وريـــاضٍ من الــشـــقـــائق أضــحتْ
يــتــهــادى بــهــا نــســيمُ الــرِّيـــاحِ
زُرتُــهـا والــغـمـامُ يـجـلـد مـنـهـا
زَهَـــراتٍ تُـــريكَ لــــونَ الــــرَّاح
قـلتُ: مـا ذنـبُـهـا ؟ فـقـال مُـجـيـبـاً:
ســـرقتْ حُـــمـــرةَ الخـــدودِ المِلاح[2]

ولبعضهم:

[الطويل]

وإخوان صدقٍ قد أناخُوا[3] بدوحةٍ[4]
ولـــيس لـــهم إلاَّ الـــنـــبـــاتَ فِـــراشُ
كـأنَّــهُمُ والــنُّـــورُ يـسـقط بـيـنـهـم
مـصـابـيحُ تـهـوي فـوقـهُنَّ فَـراش

ولبعضهم:

[الطويل]

مررنـا عـلى الرَّوض الـذي قد تـبسَّمتْ
رُبـــاه، وأرْواحُ الأبَـــاريقِ تُـــسْـــفَكُ
فـلم نَـرَ شـيـئًـا كَـانَ أحـسنَ مـنـظـراً

(١) المزن: السحاب عامة واحده مزنة والجمع مُزْن، وقيل السحاب والغيم.
(٢) عبدالملك بن مروان (٢٦-٨٦هـ٦٤٦/-٧٠٥م) انظر: الأعلام للزركلي، ج٧، ص٣١٢.

من الرَّوض يجري دمعُه وهو يضحك

ولبعضهم:

[البسيط]

بين الرِّياضِ وبين الجوّ مُعتركٌ
بِيضٌ من البرق أوسُمْرٌ من السُّمُرِ
إن أوترتْ قوسَها كفُّ السماءِ رمتْ
نَبْلاً من المُزن[1] في صافٍ من القُدُرِ
فاعْجَبْ لحرب سجالٍ لم تُثِرْ ضرراً
نفعُ المحاربِ فيها غايةُ الضرر
فتحُ الشقائقِ جرحاها، ومغنمُها
وشْيُ الربيعِ، وقتلاها من الثَّمر
من أجل هذا إذا اهتزَّتْ طلائعُها
تَدرَّعَ النَّهرُ واهتزَّت قنا الشَّجر

فكاهة:

قال رجل لعبدالملك بن مروان[2] إني أريد أن أُسرَّ إليك شيئًا، فقال عبدالملك لأصحابه إذا شئتم فانهضوا، فأراد الرجل الكلام فقال له عبدالملك: لا تمْدَحْني فأنا أعلم بنفسي منك، ولا تُكَذبنِّي فإنه لا رأي لكذوب، ولا تغتب عندي أحداً، قال: يا أمير المؤمنين أفتأذَنُ في الانصراف؟ قال: إذا شئت.

وقال أعرابي لابنه وسمعه يكذب: يا بنيَّ عجبت من الكذَّاب المشيد بكذبه وإنما يدل الناس على عيبه، ويتعرض للعقاب من ربّه، فالآثام له عادة، والأخبار عنه متضادة، إن قال حقاً لم يُصَدَّقْ، وإن أراد خيرًا لمْ يُوَفَّقْ، فهوالجاني على نفسه بفِعاله، الدّال على فضيحته بمقاله، فما صحَّ من صدقه نُسِبَ إلى غيره، وما صحَّ من كذبِ غيره نُسب إليه، فهو كما قال الشاعر:

[مجزوء الكامل]

حـــسبُ الـــكـــذوبِ من المَـــهَـــا
نـــةِ بـــعضُ مـــا يُـــبـــكى عـــلـــيهْ
مـــهـــمـــا ســـمـــعتَ بـــكـــذبـــةٍ
من غـــيـــره نُـــســـبتْ إلـــيـــه

وقال آخر:

[مجزوء الكامل]

لي حـــيـــلـــةٌ فـــيـــمن يَـــنِـمْ
ـمُ، ولـــيس في الـــكـــذّاب حـــيـــلَـهْ
من كـــان يـــخـــلق مـــا يَـــقُـــو
لُ، فـــحـــيـــلـــتي فـــيه قـــلـــيـــله

وقال آخر:

[الوافر]

ومـــا شيءٌ إذا فـــكّـــرتَ فـــيـــهِ
بـــأذهبَ لـــلـــمـــروءة والجـــمـــالِ
من الـــكَـــذِبِ الـــذي لا خـــيـــرَ فـــيهِ

(١) ابن المعتز: هو عبدالله بن محمد بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد العباسي أبوالعباس الشاعر المبدع خليفة يوم وليلة (٢٤٧-٢٩٦هـ/٨٦١-٩٠٩م) انظر من حوله: الأغاني، ج١٠، ص٢٨٦-٢٧٩ ، ابن خلكان: الوفيات، ج٣، ص٧٦-٨٠، تاريخ بغداد: ج١٠ ، ص٩٥-١٠١، الأعلام للزركلي، ج٤ ، ص٢٦١-٢٦٢.

(٢) تقول رواية الأغاني: حدثني جعفر بن قدامة قال: كنا عند ابن المعتز يومًا ومعنا النميري وعنده جارية لبعض بنات المغنين وتغنيهم، وكانت محسنة إلا أنها كانت في غاية القبح، فجعل عبدالله يجمشها ويتعلق بها، فلما قامت قال النميري: أيها الأمير سألتك بالله أتتعشق هذه التي ما رأيت قط أقبح منها؟ فقال عبدالله وهو يضحك: البيتين بنفس الرواية، الأغاني، ج١٠، ص٢٩٤.

(٣) أبوالعنبس الصيمري: هو محمد بن إسحاق بن إبراهيم الصيمري أبوالعنبس، نديم المتوكل والمعتمد العباسي (توفي ٢٧٥هـ/٨٨٨م) شاعر ظريف ومنجم وكما يقول البغدادي: كان خبيث اللسان هجاء، انظر: تاريخ بغداد، ج١، ص٢٣٨، والأعلام للزركلي، ج٦، ص٢٥٢.

وأبــعــدَ بــالــبــهــاء من الــرجــالِ

قال ابن المعتز[1]: لومُيِّزَتِ الأشياءُ لأُلقِيَ التعب مع الطمع، والراحة مع اليأس، والذلّ مع السؤال، والحرمان مع الحِرص، والدناءة مع الخيانة، والمهانة مع الكَذِب.

فكاهة:

قال الشاعر:

[البسيط]

الـنــاسُ قد أَثـمـروا فـيـنـا بـقـولـهمُ
وصـدَّقـوا بـالـذي أدري وتـدريـنـا
مـاذا يـضـرُّكِ في تـصـديق قـولـهمُ
وإنْ تحـقّقَ مـا فـيـنـا يـظـنّـونـا
حـمـلي وحـمـلكِ ذنـبًـا واحـداً ثـقـةٌ
بـالـعـفـو أيـسرُ من إثم الـورى فـيـنـا[2]

قال أبوالعنبس الصيمري:[3] بلغني عن امرأة بسامُراء أن جارًا لها كان يجامعها، فلمًّا صار على بطنها وأولجه فيها قالت له: أما علمت أن الناس يتّهمونني بك ؟ قال لها: وما عليك أن يأثموا وتُؤجري، قالت له: الله حسيب كل ظالم.

مُذهبَة:

دخل على ابن المعتز بعض أصحابه فوجدهُ يلاعبُ جارية قبيحة فتعجَّب منه، فقال ابن المعتزّ:

[السريع]

قـــلـــبيَ وَثّـــابٌ إلى ذا وذا

(١) الطلا: اسم من أسماء الخمرة، يقول الرقيق القيرواني: والطلا الذي طبخ حتى ذهب ثلثاه، شبيه بطلاء الإبل، قطب السرور، ص٣٣.

(٢) اسم من أسماء الخمرة، هي الخمرة أو الباردة منها سميت بذلك لأنها تجمع جلّ شاربيها، أو لأنها تشتمل على العقل فتملكه وتذهب به.

لــــيس يـــرى شـــيـــئـــاً فـــيـــأبـــاهُ

يـــهــيم بـــالحـــسن كـــمـــا يـــنـــبـــغي

ويــــرحـم الـــــقـــــبحَ فـــــيـــــهـــــواه

وقال بعض الأدباء:

[البسيط]

مازال يشرب من شمس الطّلا[1] قمري

حتى عَلَتْ وجنتيه حُمرةُ الشفقِ

ورام يـــنـــهض والأردافُ تُــقــعِـــدُه

ظُلماً،وحاول أن يسعى فلم يُطِقِ

شمائلٌ فعلتْ ريحُ الشَمولِ[2] بها

فِعْلَ الشمالِ بغُصْن البانةِ الوَرِقِ

وقال لي في فُتورٍ من لواحظه

إنَّ العناقَ لإثْمٌ قلتُ: في عُنقي

وقال بعضهم:

[الكامل]

مُتَعتّبٌ في حيثُ لا مُتَعتّبٌ

إنْ لم يجِدْ جُرمًا عليَّ تَجرّما

ألِفَ الصدودَ فلو يمرُّ خيالُهُ

(١) ابن سعيد القلعي (٦١٠-٦٧٣أو٦٨٥هـ) (١٢١٣-١٢٧٤ أو١٢٨٦م) صاحب البيان المغرب. انظر ترجمة ضافية من حوله في مقدمة كتاب: نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، جزءان، تحقيق الدكتور نصرت عبدالرحمن، مكتبة الأقصى، عمان، ط١، ١٩٨٢، ص٣-١٣، وانظر: نفح الطيب، ج٣، ص٢٩-٣٢.

(٢) الحكيم ابن هذيل: أستاذ ابن الخطيب، هو يحيى بن أحمد بن هذيل التجيبي، يكنى أبا زكريا، توفي عام ٧٥٣هـ.يقول عنه ابن الخطيب: هو آخر حملة الفنون العقلية بالأندلس وخاتمة العلماء بها من طب وهندسة وحساب وهيئة وأصول وأدب، خدم السلطان أبا الحجاج يوسف الأول ملك غرناطة بصناعة الطب وقعد بالمدرسة بغرناطة يقرئ الأصول والفرائض والطب، وهو شاعر كثر ولعه بالغزل بالمذكر، وله ديوان في هذا الغرض سماه السليمانيات والعرفيات وله كتاب تنشيط الكسل وكتاب الاختيار والاعتبار في الطب وكتاب التذكرة في الطب، انظر: نفح الطيب، ج٨ ، ص٤-١٢، ونثر فرائد

بـالـصبِّ في سِـنَـةِ الـكرى مـا سَـلَّـمـا

وفي ضوء هذا المعنى: [الطويل]

بِـنـفْـسِيَ من ردَّ الـتـحـيَّـة ضـاحـكـاً
فجدَّدَ بعد اليأسِ في الوصل مَطمعي
وحـالـتْ دُمـوعُ الـعـينِ بـيـني وبـيـنه
كـأن دمـوعَ الـعـينِ تـعـشـقه مـعي ؟

وحكى ابن سعيد[1] أنه حضر مع أبي عبدالله محمد بن ثابت الأستاذ بالجزيرة الخضراء بموضع (اقرايه) إذ مرّ بهما غلام وسيم فقال ابن سعيد:

هـذا هـو الـمـنـظـر الجـمـيلُ

فقال ابن ثابت:

فـكلّ قـلـبٍ لـه يمـيـلُ:

فقال ابن سعيد:

قـد حـال بـيـني وبـين عـقـلي

فقال ابن ثابت:

أفي الـهـوى تُـطَـلب الـعـقـولُ ؟

وللحكيم ابن هذيل[2]: [الوافر]

وظـبيٍ زارني والـلَّـيلُ طـفلٌ
إلى أن لاح لي مـنـه اكـتـحـالُ

---

(١) المرأة من العرب هي ولادة بنت المستكفي بالله، أمير المؤمنين محمد بن عبدالرحمن بن عبيد الله بن الناصر عبدالرحمن بن محمد المرواني... أديبة شاعرة جزلة القول، حسنة الشعر، وكانت تخالط الشعراء وتساجل الأدباء وتفوق البرعاء. سمعت شيخنا أبا عبدالله جعفر بن محمد بن مكي رحمه الله يصف نباهتها وفصاحتها وحرارة نادرتها وجزالة منطقها وقال لي: لم يكن لها تصاون يطابق شرفها... توفيت سنة ٤٨٤هـ ولم تتزوج قط وعمرت عمرًا طويلاً إلى أيام المعتمد. انظر: المطرب، ص٧-٨.

(٢) يقول ابن دحية في مطربه، ص٨: كتبت -زعموا- على عاتقي ثوبها:

أنا واللهِ أصلـح للمعـالي وأمشي مشيتي وأتيه تيها
وأُمكِن عاشقي من صحن خدّي وأُعطي قبلتي من يشتهيها

وألــقى الــشكَّ في صــونٍ فـقُــلــنــا
بــلــيــل الــشكّ يُــرتــقَب الــهلال

قيل لأعرابي: ما بال الحب اليوم على غير ما كان عليه قبل اليوم ؟ فقال: نعم، كان الحبّ في القلب فانتقل إلى المَعِدَة إن أطعمته شيئًا أحبَّها وإلاَّ فلا، كان الرجل يحبُّ المرأة فيطيفُ بدارها حولاً ويفرحُ إن رأى من رآها، وإن ظفر منها بمجلس تشاكيا وتناشدا شعرًا وإنه اليوم يشير إليها وتشير إليه وتعِدُهُ فإذا اجتمعا لم يشكوا حباً ولم ينشدا شعرًا ولكن ترفع رجليها وتطلب الولد.

فكاهة:

قال الشاعر:

[الوافر]

شــفــاءُ الحبِّ تــقــبــيلٌ وضمٌّ
ومسحٌ بالبطون على البطونِ
ودفعٌ تــدمع الــعــيــنــان مــنه
وأخــذٌ بــالــذوائب والــقــرونِ

وقالت امرأة(1) من العرب:

---

(1) امرؤ القيس بن حجر بن حارث الكندي (نحو١٣٠– ٨٠ ق هـ٤٩٧/–٥٤٥م) انظر: الأعلام للزركلي، ج١، ص٣٥١–٣٥٢ .

(2) ورد في مخطوط (ز.س.خ) ص٦٥ : وكان مفتونًا بالنساء

(3) الأعشى: هو ميمون بن قيس بن جندل من فحول شعراء الجاهلية، من بني قيس بن ثعلبة الوائلي أبوبصير المعروف بأعشى قيس ويقال له أعشى بكر بن وائل ،والأعشى الكبير (... ٧هـ/... ٦٢٩م) انظر :الأعلام للزركلي، ج٨، ص٣٠٠–٣٠١.

(4) طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد البكري الوائلي أبوعمرو شاعر جاهلي من الطبقة الأولى (نحو٨٦–٦٠ ق هـ٥٣٨/–٥٦٤م) انظر: الأعلام للزركلي، ج٣ ، ص٣٢٤–٣٢٥.

(5) أبودلف العجلي: هو القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل من بني عجل بن لجين أمير الكرخ (توفي سنة ٢٢٦هـ/٨٤٠م) وكان أبودلف كريماً سرياً جوادًا ممدحًا شجاعًا مقدمًا له تصانيف: كتاب السلاح، وكتاب سياسة الملوك، انظر : ابن خلكان، الوفيات، ج٤، ص٧٣–٧٩ ، تاريخ بغداد، ج١٢، ص٤١٦–٤٢٣ ، والأغاني، ج٨، ص٢٤٨، والموشح للمرزباني، ص٣٣٤.

أنــا والــلـهِ أصـــلح لــلــمــعـــالي
وأمـشي مِـشـيـتي وأتـيـه تِـيـهـا
وأُمْـكِن عــاشــقي من عضٍّ نــهــدي
وأُعـطي قُـبـلـتي من يـشــتـهـيـهـا(٢)

مُذهَبَة:

قيل لامرئ القيس:(١) ما السرور ؟ قال: بيضاء رعْبُوبة، بالطيب مشبوبة، بالشحم مكروبة؛ وكان بالنساء مفتُونًا(٢) ، وقيل لأعشى بكر:(٣) ما السرور ؟ قال: صهباءُ صافية، تمزجها ساقية، من صوب غادية؛ وكان مُغرمًا بالشراب، وقيل لطرفة:(٤) ما السرور ؟ قال: مَطعم هنيّ، ومشرب رويّ، وملبس دفيّ، ومركب وطيّ؛ وكان يؤثر الخِفَّة والدَّعة.

قال العكوّك فحدَّثت بهذا أبا دُلَفِ العجلي(٥) فقال:

[الخفيف]

أطــيبُ الــطــيِّــبــاتِ قَــتلُ الأعــادي
واخــتــيــالٌ عــلــى مــتُــون الجــيــادِ
وأيـــــادٍ تحـــــبـــــو بـــــهنَّ أيـــــادٍ
وحـــبـــيبٌ يـــأتي بلا مِـــيـــعـــاد

وقال عبدالله بن نبهك:

(١) هكذا وردت في المخطوطتين.

(٢) هذه الأبيات مستوحاة من شعر طرفة بن العبد في معلقته... ولولا ثلاث هن من عيشة الفتى...

(٣) قوراء: واسعة.

(٤) حوراء: اشتد بياض عينها وسواد سوادها فهي حوراء.

(٥) غزوات تتم في الصيف.

(٦) الحسن بن هانئ هو أبونواس، سبق التعريف به.

[الطويل]

فلولا ثلاثٌ هنَّ من عيشة الفتى
وعيشِكَ لم أحفلْ متى قام رَامِسُ
فمنهُنَّ سبقي العاذلاتِ بشربةٍ
كأنَّ أخاها مطلعُ الشمسِ ناعسُ
ومنهُنّ تقريظُ الجوادِ عِنانَه
إذا ابتدرَ الشخْصَ الجَفِيَّ الفَوَارِسُ
ومنهُنَّ تجريدُ الكواعبِ كالدُّما
إذا [ابتزّ عن][1] أكفالهنَّ الملابس[2]

وقيل لحُصين بن المنذر: ما السرور ؟ فقال: دار قوراء[3] وجارية حوراء[4] ، وفرس مرتبط بالفِناء،وقيل ليزيد بن مزيد: ما السرور ؟ فقال: قفلة على غفلة؛ وكان صاحب صوايف[5]، وقيل للحسن بن هانئ:[6] ما السرور ؟ فقال: مجالسة الفِتيان في بيوت القِيان، ومحادثة الإخوان على قُضب الريحان؛ ثم أنشد:

[مجزوء الرمل]

قلتُ بالرَّبع لموسى ونداماي نيامُ
يا رضيعَيْ ثديِ أُمٍّ ليس لي عنه فِطام
إنَّما العيشُ سماعٌ ومُدامٌ ونِدَامُ
فإذا فاتكَ هذا فعلى الدنيا السلام

وقيل لبعضهم: ما السرور؟ فقال: إقبال الزمان، وعزّ السلطان، وكثرة الإخوان، وقيل لآخر: ما السرور؟ قال: هوالجُلوس على السرير، والسلام عليك أيُّها الأمير، وقيل لأعرابيٌّ: ما السرور ؟ فقال: الأمن فإنِّي رأيت الخائف ما ينتفع بعيش، قيل له زدنا فقال: الصحَّة فإني رأيتُ المريض ما ينتفع بعيش، فقيل له زِدْنا فقال: الغنى فإنّي رأيت الفقير ما ينتفع بعيش، فقيل له زدنا قال: ما أجِدُ مزيداً، وقيل لعبدالله بن الأهتم: ما السرور ؟ فقال: رفع

(١) الذي لا يتحمل البرد والصقيع.

الأولياء، ووضع الأعداء، وطول البقاء مع الصِّحة والنَّمَاء، وحَدَّث بهذا كلَّه دينار بن عبدالله فقال: ما أدري ما قالوا، ولكنِّي أقول:

[المنسرح]

فــاقــبلْ من الــدهــر مــا أتـــاكَ بهِ
من قَــرَّ عــيْــنــاً بــعــيْــشــةٍ نــفــعَهْ

فكاهة:

قال بعض الأدباء البُرَّاد(١) وقد سُئِلَ عما أعدَّ لفصل الشتاء وبرده:

[مجزوء الرمل]

---

(١) المعتمد بن عباد: الشاعرالملك ولد بمدينة باجة جنوب البرتغال حاليًا عام ٤٤١هـ١٠٤٩/م وتوفي سنة٤٨٨هـ١٠٩٥/م تولى إمارة إشبيلية في عصر الطوائف عام ٤٦١هـ وخلع عام ٤٨٤هـ وبخلعه انتهى عصر الطوائف، انظر: الفتح بن خاقان، مطمح الأنفس، ص٢، وقلائد العقيان، ص٤، وابن دحية: المطرب، ص١٤.

(٢) البيت من قصيدة للمتنبي مدح فيها سيف الدولة وهي أول ما أنشده سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة عند نزوله أنطاكية من بعد ظفره بحصن برزويْه وكان جالساً تحت فازة من الديباج عليها صورة ملك الروم وصور وحش وحيوان مطلع القصيدة

وفاؤكما كالربع أشجاه طاسمه بأن تُسعدا والدمع أشفاه ساجمه

إلى أن يقول...

إذا ظفرتْ منكَ العيونُ بنظرةٍ أثابَ بها معيي المطيِّ ورازمـه

يقال أثاب فلان: رجع إليه جسمه بعد الهزال وصلح بدنه، المعيي: الكليل، والمطي، جمع مطية وهي الدابة تمتطى وتركب، والرازم الذي يسقط من الإعياء فلا يبرح، انظر: ديوان المتنبي، شرح البرقوقي، ج٤، ص٤٩.

(٣) هو أبومحمد عبدالجليل المرسي، أورد ابن دحية هذه القصة في المغرب قائلاً: دخل على السلطان أبي القاسم محمد ابن عباد يومًا وهو ينشد قول المتنبي: إذا ظفرت منك العيون بنظرة أثاب بها معيي المطي ورازمه، وجعل يردده استحسانًا فقال عبدالجليل بديهاً

لئن جاد شعرُ ابنِ الحسينِ فإنما تُجيد العطايا واللُّهى تفتح اللَّها

تنبّأ عجبًا بالقريض ولـــو درى بأنكَ ترويـــه إذًا لتألّهـــا

فأمر له بمائتي دينار، وهو مثل قديم، انظر: المطرب لابن دحية، ص١١٨، والمقري: نفح الطيب، ج٤، ص٢١٩، وانظر حول ابن وهبون: قلائد العقيان، ص٢٧٨-٢٨٢.

(٤) من بده، والبَدْه والبُده والبديهة والبداهة: كل شيء يفاجأ منه، بدهه أمر يبدهه بدهًا، وبادهه مبادهة وبِداهًا أي فجأه إنسان صاحب بديهة، أي يصيب الرأي في أول ما يفاجأ به.

قِيلَ ما أعدَدْتَ للبَرْ د، فقد جاء بشـــدَّه
قلتُ:دُرَّاعةُ عُـــرْيٍ فَـوْقَـها جُبَّةُ رِعْدَه

مُذهَبَة:

قال عبدالله الكُتامي من أهل صقليّة يُعرِّض بالقاضي إبراهيم بن مالك:

[البسيط]

كُـنَّـا نـخـاف من الـعُـمَّـال جَـورَهمُ
فـالآنَ نـخـشى من الـعُـمّـال والـقـاضي
فـلـيس في الأرض من قـاضٍ ولا حَـكَمٍ
قـاضي الـسمـاواتِ عن أحـكامه راضي

فبلغ ذلك القاضي ابن مالك فاستحضره وسُئِل عن البيتين فأنشدهما وأضاف إليهما بيتاً ثالثًا وهْوَ:

[البسيط]

(١) اللهى بالضم العطايا واحدها لهو ة ولهية وأصلها القبضة من الطعام تلقى في الرحى لتطحن فجعلت الدفعة من المال المعطى لهوة، وأما اللها بالفتح فجمع لهاة الحلق، انظر: ابن دحية، المطرب، ص١١٨.

(٢) وردت في مخطوط (ز.س.خ) ص٥٨ يذكر دائمًا دينر بدلاً من دينار.

وردت هذه الحكاية كاملة في المعجب إذ تقول إن المعتمد بن عباد بلغه مرة أن شاعرًا يردد:

قلّ الـوفـاءُ فـمـا تـلـقـاه في أحـدٍ
ولا يمـرّ لمخـلـوقٍ عـلـى بـالِ
وصـار عـنـدهمُ عـنـقـاءَ مـغـربـةٍ
أومـثلَ مـا حـدّثـوا عن ألف مـثـقـال

فأعجب المعتمد الملك الشاعر بالبيتين وقال: لمن هذان البيتان؟ فقالوا: هما لعبدالجليل بن وهبون أحد خدم مولانا، فقال المعتمد عند ذاك: هذا والله اللؤم البحت، رجل من خدامنا والمنقطعين إلينا يقول: أومثل ما حدثوا عن ألف مثقال؟ وهل يتحدث أحد بأسوأ من هذه الأحدوثة؟ وأمر له بألف مثقال، فلما دخل عليه يشكر له قال له: يا أبا محمد هل عاد أخيرًا عياناً ؟ قال: إي والله يا مولاي ودعا له بطول البقاء، فلما هم بالانصراف قال له المعتمد: يا عبدالجليل، الآن حدث بها لا عنها يعني ألف مثقال... المراكشي: المعجب، ص٥٥ .

إلاَّ ابنَ مـــالكٍ الـــقـــاضي فـــإنَّ لهُ
سيفًا من العدْلِ في أحكامه ماضي

فتهلَّل وجه القاضي ابن مالك وأمر له بجائزة.

وأنشد المعتمد بن عبَّاد[1] بيت المتنبِّي:

إذا ظفرتْ منكَ العيونُ بنظرةٍ
أنامتْ بها مُعيي المطيِّ ورازمُه[2]

وجعل يردده استحسانًا له، وأثنى على المتنبي، فقال عبدالجليل بن وهبون[3] على البديه[4]:

[الطويل]

لئن جاد شعرُ ابنِ الحسين فإنه
بحبِّ العطايا واللُّها[1] تفتح اللّها
تنبّأ عُجْباً بالقريض ولودَرَى
بأنَّك تروي شعرَه لتَألَّها

فأمر له بمائتي دينار[2]، ولما قال عبدالجليل بن وهبون المذكور:

[البسيط]

غاض الوفاءُ فما تلقاه في رَجلٍ
ولا يمرُّ بمخلوقٍ على بالِ
قد صار عندهمُ عنقاءَ مُغْربةٍ

(١) الورقاء: الحمامة.

(٢) للعائف: الذي يعيف الطير فيزجرها وهي العيافة، يقال عاف يعيف عيفًا أي زَجْر الطير، والتفاؤل بأسمائها وأصواتها وممراتها، والعائف هنا اللائذ.

(٣) قسي: جمع قوس عجمية وعربية وهو يذكر ويؤنث، وهي التي يرمى عنها ويجمع على قِسيّ وقُسيّ كلاهما على القلب عن قؤوس، وإن كان قووسا لم يستعمل واستغنوا بقسيّ.

(٤) الظُّبا: الظُّبَة حدّ السيف والسنان والنصل والخنجر وما أشبه ذلك والجمع ظُبات.

(٥) طَوْد: الجبل العظيم جمع أطواد.

(٦) نوال: العطاء

أومـثلَ مـا حـدَّثـوا عن ألفِ مِـثـقـال

قـال له المعتمد: عنقاء مغربةٍ وألف مثقال يا عبدالجليل عندك سواء فقال: نعم، قال: قد أمرنا لك بها.

ووقع في حِجر فخر الدين أبي عبدالله بن خطيب الريّ وهوعلى المنبر في أثناء وعظه حمامٌ يتبعه باز فقال في ذلك شرف الدين بن عُنين ارتجالاً:

[الكامل]

جـاءتْ سـلـيـمـانَ الـزمـان مَـخـوفـةٌ
والمـوتُ يـلـمع في جـنـاحَيْ خـائفِ
من أنـبـأَ الـورقـاءَ[1] أن مـحـلَّـكم
حَـرَمٌ، وأنَّكَ مـلـجـأٌ لـلـعـائف[2]

فكاهة:

قال بعض الأدباء يتهكّم في أحدب:

[الخفيف]

لا تـظـنّنَّ حَـدبـةَ الـظـهـرِ عـيْـبـاً
هي في الحـسن من صـفـات الـهلالِ
وكـذاك الـقِـسيُّ[3] مـحُـدوْدبـاتٌ
وهي أنـكـا من الـظُّـبـا[4] والـعَـوالي

---

(١) الطَّرَش: الصمم، قيل أهون الصمم، يجمع على طُرْش.

(٢) العَمَش: الأعمش الفاسد العين الذي تغسق عيناه، والعمش أن لاتزال العين تسيل الدمع ولا يكاد الأعمش يبصر بها، وقيل العمش ضعف رؤية العين.

(٣) جاء في مخطوط (ز.س.خ) ص٧٠ وقد لطمه بزيادة الواو.

(٤) العجز المضمن للشاعر العباسي علي بن الجهم من رائيته المشهو رة التي أولها:

عيون المها بين الرصافة والجسرِ جلبنَ الهو ى من حيث أدري ولا أدري

انظر من حوله: الأغاني، ج١٠، ص٢١٥-٢٤٦، طبقات الشعراء لابن المعتز، ص٣١٩، المطرب، ص٤٥.

كـــوّنَ الـــلهُ حـــدبـــةً فـــيكَ إن شـــئْـــ
ـتَ من الـــفـــضل أومن الأفـــضـــال
فـــأتتْ ربـــوةً عـــلـى طـــوْد(٥) حِـــلمٍ
طـــال أومـــوجـــةً بـــبـــحـــر نـــوال(٦)

وفي مُغنٍّ غير مُحسن قبيح المنظر:

[مجزوء الوافر]

إذا غـــــنَّى لـــــنـــــا الـــــقُـــــرَشيْ
دعـــــوتُ الـــــلـهَ في الـــــطَّـــــرَشِ(١)
وإن أبـــــصـــــرتُ طـــــلـــــعـــــتَه
فـــيـــا لـــهـــفي عـــلـى الـــعَـــمَشِ(٢)

مُذهبَة:

للعماد الأصبهاني في العِذار:

[الدوبيت]

كـافُـوركَ بـالـعَـنْـبـر من ضَـمَّـخَه
تـــوقـــيـــعُكَ بـــالـــعِـــذار من أرَّخهْ
بـــالمسك عـــلـى الـــورد قـــد(٣) لـــطـــمه
خـــطّه حـــسنٌ أريـــدُ أن أنـــســـخهْ

ولبعضهم فيه وضمَّن عجز البيت الأخير:

[الطويل]

عِذارٌ كظلّ الغصنِ في صفحة النهرِ

(١) العذار: شعر ينبت في جانب اللحية، وعذّر الغلام: نبت شعر عذاره يعني خده.

(٢) الطروس من الطرس الصحيفة، ويقال هي التي محيت ثم كتبت والجمع أطراس وطروس.

(٣) الصَّدْغ والصُّدغ ما انحدر من الرأس إلى مركب اللحيين وقيل هو ما بين العين والأذن، وقيل الصدغان ما بين لحاظي العينين إلى أصل الأذن.

وخـدٌّ كـمـثل الـبـدرِ مُـنـتـصفَ الـشـهـرِ
قـضـى في فؤاد الـصبِّ ما قـد قضتْ بـهِ
«عيونُ المهى بـين الرُّصافةِ والجسر»[٤]

وقال آخر:

[البسيط]

قـالـوا الـعِذارُ[١] **بـدا في وجْـنـتـيه فـهل**
في عــشْــقِـهِ لكَ عــذرٌ قــلـتُ:أعـــذارُ
الآنَ قـد كـمـلـتْ عـنـدي مـحـاسـنُه
فـشَـعـرُ وجـنـتـهِ بـالحـسن إشـعـــار
لـولا سـوادُ الدُّجـى حـول الـبـدورِ لَـمـا
تَـمّـتْ لـهـا وشي نـورِ الـلـيـلِ أنــوار
كـذا بـيـاضُ الـطـروسِ[٢] **لا جـمـالَ لـه**
إن لـم يـكـن فـوقه بـالحـبـر أسـطـــار

وقال غيره:

[الطويل]

لـــمَّـــا رأى ورداً بـــخـــدّيـه يُـــجـتَـــنى
وخـاف عـلـيه الـقـطفَ في غـيـر حِـيـنهِ
أقـــامَ عــلــيه حــارســـاً من عِـــذارهِ،
وسلَّ عــلــيه صــارمـــاً من جُــفــونهِ

وقال أبوالفتُوح بن قلاقس:

---

(١) العجزان المضمنان هما مطلع لقصيدة الشاعر امرئ القيس:
ألا عِمْ صباحا أيها الطللُ البالي وهل يعمنْ من كان في العُصُر الخالي
(٢) أبوجعفر صفوان المالقي: كما يقول ابن الخطيب هو الكاتب الرئيس أبوجعفر أحمد بن إبراهيم بن صفوان القيسي الشاعر الزاهد وحيد زمانه في فك المعمى والصعب توفي عام ٧٤٩هـ، انظر ابن الخطيب، الإحاطة، ج٣ ، ص٢٣٦–٢٣٩، الكتيبة الكامنة، ص٢١٦–٢٢٣.

[الطويل]

قرنتَ بـواوالـصَّدغِ[٣] صَـادَ الـمُـقَبَّلِ

وأبـدعتَ في لام الـعِـذارِ المـسـلـسلِ

فــــإن لـم يـــكنْ وصلٌ لـــديكَ لآملٍ

فـلـمْ لاح في مَــراكَ لـــلــمــتــأمّـل

وقال آخر:

[مخلع البسيط]

بدا على خدّه عِـــــذارٌ　　في مثله يُعذَر الكئيــبُ

وليس ذاك العِذارُ شَعْراً　　لكنـــــه سِرُّهُ عجيــب

لمَّا أراقَ الدمـــاءَ ظُلْمًا　　بدتْ علـى خدّه الذُّنوب

ولبعضهم، وضمّن أعجاز أبيات امرئ القيس:

[الطويل]

ولـمًّا الـتحى مَنْ شِبتُ من طول هَجْرهِ

وأصـبحَ مِـثْـلي سـيِّئَ الـظَنِّ والـبـالِ

وقـفتُ عـلـيـه كـالمـضـلّل مُـنـشـداً

«ألا عِمْ صـبـاحـاً أيُّـهـا الـطـلـلُ الـبـالي»

وقـلـتُ أجــزْ يـــا خـــدَّه فـأجــازني

«وهل يَعِمَنْ من كان في العُصُر الخالي»[١]

ولأبي جعفر بن صفوان[٢] المالقي:

[الكامل]

وشّى الـعِـذارُ لُـجـيـنَه بـنـبـالـهِ

---

(١) هو الشاعر الجنان أبوإسحاق إبراهيم بن خفاجة (٤٥١هـ-٥٣٣هـ) سبق التعريف به .انظر: مقدمة ديوان ابن خفاجة ابتداء من ص٥، تحقيق الدكتور السيد مصطفى غازي، والمطرب، ص١١١-١١٨ .

(٢) المقطوعة توجد في ديوان ابن خفاجة، ص١٢٩ .

(٣) عبارة «تلك» لا توجد في الديوان ص١٢٩.

فــغــدا يــرفُ عــلى المحبِّ الــوالهِ
خطَّ الــعِــذارُ بــصــفــحــتَــيْه لامَهُ
خــطّــاً يُــواعــده بمــحــو جَــمــالهِ
فحسبتُ أنَّ جمالَه شمسُ الضُّحَى
حُــســنًــا وذاك الخطّ خطُّ زواله

ولبعضهم:

[السريع]

انظرْ إلى ميْتٍ ولكنّه خِلْوٌ منَ الأكفان والغاسلِ
قد كتب الدهرُ على خدِّه بالشَّعر هذا آخرُ الباطل

فكاهة:

كتب أبوالقاسم إسحاق بن خفاجة[1] يُداعبُ غُلامًا قد بَقَلَ عذاره:

[مجزوء الرمل]

أيها التائهُ مــهــلا ساءني أن تهتَ جــهلا
هل ترى فيما تَرَى إلْـ ـلا شــبابًا قد تولَّى
وغرامــاً قد تَسرَّى وفــؤادًا قــد تَسلَّى
أين دمعٌ فيكَ يجري أيــن جَنبٌ يتــقــلَّى
أين نفسٌ بكَ تهــذي وضلوعٌ فيك تصــلى
أيُّ ملــكٍ كان لــولا عــارضٌ وافى فــولَّى
وتخــلَّى عنــكَ إلاَّ أســفًــا لا يتخلَّــى

(١) وردت في الديوان عبارة اللقاء بالهمزة في الآخر.
(٢) انظر نص الرسالة: الديوان، ص١٢٩-١٣٠.
(٣) شادن: من شدن وهو من أولاد الظباء الذي قد قوي وطلع قرناه واستغنى عن أمه، والجمع شوادن.
(٤) الكمي: الشجاع المتكمي في سلاحه لأنه كمّى نفسه وسترها بالدرع والبيضة، والجمع كماة كأنهم جمعوا كامياً مثل قاضياً وقضاة.

وانطوى الحسنُ فهلاً أُجملَ الحســنُ وهلاً[٢]

أما بعد؛ أيُّها النّبيلُ النّبيهُ، فإنه لا يجتمع العِذار والتِّيهُ، كان ذلك وغصنُ [تلك][٣] الشبيبة رطب، ومنهل ذلك المقبَّل عذبٌ؛ وأمَّا والعِذار قد بقل، والزمان قد انتقل، والصبُّ قد صحا فعقل، فقد ركدت رياح الأشواق، ورَقدت عيون العُشّاق، فدعْ عنْك من نظرة التجنِّي، ومشية التثنيِّ، وغُضّ من عِنانك، وخذ في ترضِّي إخوانك، وهشَّ عند اللّقا[١] هشَّة أَرْيَحِيَّةٍ، واقنع بالإيماء رَجْعَ تحيّةٍ، فكأنِّي بفنائك مهجورا،وبزائرك مأجورًا، والسلام[٢].

مُذهبَة:

للأمير أبي الفضل الميكالي، وقيل للقاضي عبدالوهاب توْرية فقهيَّة:

[الوافر]

أقـول لـشـادنٍ[٣] في الحـسن أضـحى
يـصـيـد بـلـحـظه قـلبَ الـكـميِّ[٤]
مـلـكتَ الحـسنَ أجـمعَ في نـصـابٍ
فـأدِّ زكـاةَ مـنـظـركَ الـبـهيّ
وذاك بـأن تجـودَ لِـمُـسـتـهـامٍ
بـرشفٍ من مُـقـبّـلكَ الـشـهيّ
فـقـال أبـوحـنـيـفـةُ لي إمـامٌ
فـعـنـدي لا زكـاةَ عـلى الـصـبيّ
وإن تكُ مـالـكيَّ الـرَّأيِ أومن
يـرى رأيَ الإمـامِ الـشـافـعيّ
فلا تكُ طـالـبـاً مـنِّي زكـاةً
فـإخـراجُ الـزكـاةِ عـلى الـوصيِّ

وللقاضي عبدالوهاب أيضًا تورية فقهيّة:

[المتقارب]

حـلـفتُ ويـشـهـد دمـعي بمـا
أُكـابِـد من هـجـركَ الـزَّائـدِ

فـــإن كـــنتَ تجـــحـــد مـــا أدَّعِي
فـــحـــاشـــاكَ تُـــعـــرَف بـــالجـــاحـــد
فـــإنَّ الـــنـــبيَّ عـــلـــيه الـــسـلامُ
قَـــضى بـــالـــيـــمـــين مع الـــشـــاهـــد

وله أيضًا مثلها:

[السريع]

يـــغـــرس ورداً نـــاضـــرًا نـــاظـــري
في وجْـــنـــةٍ كـــالـــقـــمـــر الـــطـــالعِ
فـلِمْ مـــنـــعـــتُم شـــفـــتي قـــطـــفَـــهـــا
والحـــكـــمُ أنَّ الـــزرع لـــلـــــزَّارع

وله أيضًا مثلها:

[الطويل]

خُـــذوا بـــدمي هـــذا الـــغلامَ فـــإنَّه
رمـاني بـسـهـمَيْ مُـقـلـتـيـه عـلى عـمـدِ
ولا تـــقـــتـــلـــوه إنَّـــني أنـــا عـــبـــدُهُ
ولم أرَ مَـــوْلىً قطُّ يُـــقـــتل بـــالـــعـــبـــد

وله أيضًا مثلها:

(١) الكرى: النوم والنعاس والجمع أكراء، وكَرِي الرجل بالكسر يكرى إذا نام فهو كرٍ وكريان.

[الوافر]

بُــلــيتُ به فــقــيــهًــا لَــوذَعِــيّــاً
يُــنــاظــر بــالــدلــيل وبــالــدَّلالِ
إذا قــلــتُ الــوصــالَ فــدتكَ نــفــسي
يــقــول نــهى الــنــبيُّ عن الــوِصــال

وله أيضًا:

[مخلع البسيط]

وشـــادنٍ وجـــهُه نـــهـــارُ
وخـــدُّه الـــغضُّ جُـــلُّـــنـــارُ
قـــلتُ له: قـــد جـــرحتَ قـــلـــبي
فـــقـــال: جُـــرحُ الـــهـــوى جُـــبـــارُ

وله أيضًا مثلها:

[الكامل]

يـا هـاجـراً لـمّـا اخـتـلـسْتُ بـنـاظري
وَرْداً، حـــمـــتْهُ صـــوارمُ الأحـــداقِ
قـطع الـكرى(1) عن نـاظـريَّ تَـعـمُّـداً
والــقــطْعُ حَــدُّ جــنــايــةِ الــسُّـرَّاق

(١) في مخطوط (ب.ح) ص٣٦ لا وجود لعبارة «قال بعض الشعراء.»

(٢) القرط: هو ما يعلق في شحمة الأذن، وجمعه أقراط وقِراط وقُروط وقِرَطَة وهو نوع من حلي الأذن.

(٣) أبوعبدالله الرصافي: هو أبوعبدالله محمد بن غالب الرصافي، ولد ربما عام ٥٧٢هـ، انظر: الديوان، ص٥، تحقيق إحسان عباس.

(٤) الزجر: المنع والنهي والانتهار، الزجر للطير وغيرها والتيمُّن بسنوحها والتشاؤم ببروحها وإنما سمي الكاهن زاجرًا لأنه إذا رأى ما يظن أنه يتشاءم به زجر بالنهي.

ولابن شبرين[٢] في مثل ذلك:

[الطويل]

أجـــارتَـــنـــا حـقُّ الجِــــوارِ مُـــراعى
فلا يكُ عــهــدي في هــواكِ مُـضــاعــا
وقـد بـعتُ قـلـبي في هــواكِ بـنـظـرةٍ
فلا تَـسـتـحـلِّي في الـبـيــوع خِـداعـا

فكاهة:

قال بعض الشعراء[١]:

[الكامل]

أسـنى لـيـالي الـوصلِ عـنـدي لـيـلـةٌ
لـم أخْلُ فـيــهــا الــكـأسَ من أعـمــالِ
فـرّقتُ فـيــهــا بــين جـفـني والـكـرى
وجـمـعتُ بــين الـقُـرطِ[٢] والـخـلـخـال

وقال آخر:

---

(١) انظر: ديوان الرصافي، ص٩٩ .

(٢) أبوبكر بن حبيش بن يوسف بن الحسن... بن حبيش الأديب البليغ الحافظ الناقد كما يقول ابن رشيد في رحلته «ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة» تحقيق الدكتور محمد الحبيب بن الخوجة، ص٨٣.

(٣) المقصود الأديب ابن الأبار القضاعي البلنسي (٥٩٥–٦٥٨هـ١٠٩٨/–١٢٦٠م) ولد في مدينة بلنسية له العديد من المؤلفات من أبرزها التكملة لكتاب الصلة، الحلة السيراء في أشعار الأمراء، إعتاب الكتاب، أنيس الجليس ونديم الرئيس، تحفة القادم، ديوان شعر..إلخ انظر: ديوان ابن الأبار، تحقيق الدكتور عبدالسلام الهراس، ص٩–٢٠.

(٤) هنا إشارة إلى وفد الأندلس الذي كان من ضمنه ابن الأبار موفد من قبل أبي جميل إلى السلطان الحفصي لطلب الغوث والنجدة من تونس الحفصية وقد غادر الوفد بلنسية المحاصرة في رمضان سنة٦٣٥هـ/أفريل ماي١٢٣٨م وعندما وصل إلى تونس ألقى ابن الأبار في حضرة أبي زكريا قصيدته السينية المشهورة التي كان لها أكبر الصدى في الأندية الأدبية في تونس والقصيدة مطلعها:

أدركْ بخيلكَ خيلِ اللهِ أندلسا   إن السبيل إلى مَنجاتها درسا

انظر: مقدمة الديوان، ص١١.

(٥) قال ابن الأبار هذين البيتين عندما مثل بين يدي المستنصر حين العفوعنه سنة ٦٥٧هـ.

[الكامل]

بُشراكَ باشرتُ الهدى والنُّورا
بِلِقائيَ المستنصرَ المنْصورا
وإذا[1] أميرَ المؤمنين لقيتُه
لم ألقَ إلَّا نظرةً وسُرورا[2]

وقَصَدَ أحد الأدباء بمُرسيّة أحَدَ السادة من بني عبدالمؤمن فأمر له بِصلة خرجَتْ مِنْ دارِه على يَدَيْ ابنه طفل صغير فقال المذكور في ذلك ارتجالاً:

[الطويل]

تَبرَّكْ بنجلٍ جلَّ باليُمن والسعدِ
يُبشِّر بالتأييد طائفةَ المهدي
تكلَّمَ روحُ اللهِ في المهد قبلَهُ
وهذا بِراءٍ بدّل اللامَ في المهدِ

وخرج الأستاذ أبوالحسن بن جابر الدبَّاج يوماً مع طلبته للنُّزهة بخارج إشبيلية وأُحضِرت مُجبّنات[3] ماخبا نارُها، ولا هدأ أُوارها، فما حام عنها ولا كفّ، ولا صرف

(١) ورد في الديوان فإذا، ص٤٤٧.

(٢) البيتان في الديوان، ص٤٤٧.

(٣) مجبنات: يوجد في كتاب «الطبيخ في المغرب والأندلس في عصر الموحدين» لمؤلف مجهول خمسة أنواع من المجبنات: مجبنة من رقاق، ومجبنة بالبيض، والمجبنة المثلثة، والمجبنة بالسميذ، والمجبنة الفرنية– وتسمى كما يقول المؤلف عنده بالطليطلية (هو ما يدل على أن مؤلف الكتاب أندلسي وربما من طليطلة) ويذكر في صفحة ١٩٩صفة المجبنة وفي صفحة٢٠٠ كيفية عملها: حيث يقول في صفتها:«اعلم أن المجبنة لا تتهيأ من جبن واحد بل من الجبنين، أعني البقري والغنمي، لأنها إن عملت بجبن الغنم وحده تتفتر فيخرج الجبن منها ويسيل، وإن عملت بجبن البقر تَشرّك واستدار وصار لحمة واحدة ولم تفترق أجزاؤه، والأصل في صنعتها أن تمزج الجبنين فيكون من البقري قدر الربع في ثلاثة أرباع من جبن الغنم ويعرك الجميع حتى يلتئم بعض أجزائه ببعض فيعتدل بذلك ويتمسك ولا يسيل في المقلاة ولا يشتد أيضاً وينعقد، وإن احتاج إلى ترطيب رطب باللبن الحليب في حين حلبه، ولايكون الجبن طريًا جداً بل شديداً دون... كذا يصنعه أهل بلادنا بغرب الأندلس مثل قرطبة وإشبيلية وشريش وغيرها من بلاد المغرب» ص١٩٩–٢٠٠، أما كيفية عملها فيفصل فيها الأمر في ص٢٠٠ .

حرُّها عن اختضامها البنان ولا الكفّ، وقال:

[الكامل]

أحـلى مـواقـعِـهـا إذا قـرَّبـتَـهـا
وبُـخـارُهـا فـوق المـوائـدِ سـامِ
إن أحـرقتْ لمـسـاً فـإنّ أُوارهـا
في داخل الأحـشـاء بَـرْدُ سلام

فكاهة:

قال أبو بكر أحمد بن محمد الأبيض الإشبيلي يتهكم برجل زعم أنه ينال الخلافة:

[الوافر]

أمـيـرَ المـؤمـنـين نـداءَ شـيـخٍ
أفـادكَ من نـصـائـحه الـلـطـيـفهْ
تحـفَّظْ أن يـكـونَ الجـذعُ يـومـاً
سـريـراً من أسـرَّتكَ المـنـيـفَهْ
أُفـكِّـر فـيكَ مـصـلـوبـاً فـأبـكي
وتُـضـحِـكُني أمـانـيكَ الـسـخـيـفهْ

مُذهبَة:

قال أبو بحر صفوان بن إدريس[1] المُرسِي يصِفُ يوم نُزهة:

[الكامل]

(١) هو صفوان بن إدريس بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عيسى التجيبي أبوبكر، ولد عام ٥٦٠هـ/١١٦٤م وتوفي بمرسية عام٥٩٨هـ/١٢٠١م دون أن يبلغ الأربعين من عمره، من بين كتبه المشهورة «زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر» وهو جملة من أشعار الأندلسيين في عصر الدولة الموحدية أعده وعلق عليه عبدالقادر محداد، نشر دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨٠، قد ترجم لصفوان بن إدريس من ص٩-١٢ ، انظر ترجمته أيضاً في نفح الطيب، ج٥، ص٦٢-٧٤، غارسيا غومس: رايات المبرزين، ص٢٤٣-٢٤٤ ، الحميري، الروض المعطار، ص٣٩٠-٣٩١ ، معجم الأدباء لياقوت، ج١٢، ص١٠-١٤.

ونـهـارِ أُنسٍ لـوسـألـنـا دهـرَنـا
في أن يـعُـود بِـمـثـلـه لم يـقْـدِرِ
خـرقَ الـزمـانُ لـنـا به عـاداتِهِ
فـلـوِ اقـتـرحـنـا الـنَّـجمَ لـم يـتـعـذَّر
في فِـتـيـةٍ عـلـمتْ ذُكـاءُ بُـحـسـنـهم
فـتـلـفّـعتْ من غـيـمـهـا في مـئـزر
والـسّرحـةُ الـغـنّـاء قد قـبـضتْ بـهـا
كفُّ الـنـسـيـمِ عـلـى لـواءٍ أخـضـر
وكـأنّ شـكلَ الـغـيـمِ مُـنـخلُ فِـضّـةٍ
يُـلـقي عـلـى الآفـاق رطبَ الجـوهـر[١]

وقال أبوإسحاق ابن خفاجة:[٢]

[الكامل]

سُـقـيـا لـيـومٍ قد أنَـخْـتُ بـسـرحـةٍ
ريَّـا تُـلاَعِـبُـهـا الـريـاحُ فـتـلـعـبُ[٣]
سكْرى تُـغـنّـيـهـا الحَـمـامُ فـتـنـثـني
طرباً، ويسقـيـهـا الـغـمـامُ فـتـشرب
تـلـهـو فـتُـرفـع لـلـشّـبـيـبـة رايـةٌ
فـيـه، ويـطـلـع لـلـبـهـارة[٤] كـوكب

(١) توجد هذه المقطوعة الشعرية في زاد المسافر، ص٣٦ مع اختلاف طفيف في صدر البيت الثاني فعوض: «خرق الزمان لنا» يقول في زاد المسافر: «خرق الزمان له».

(٢) ابن خفاجة: سبق التعريف به

(٣) جاءت هذه المقطوعة في الديوان تضم عشرة أبيات في حين أثبت منها ابن هذيل ستة أبيات مع بعض الاختلاف الطفيف، انظر: ديوان ابن خفاجة، ص٢٨٩-٢٩٠.

(٤) جاء في الديوان: ويطلع للسلافة بدل للبهارة» ص٢٨٩. - البهارة: كل شيء حسن منير، والبهار نبت طيب الريح أوالعرار أوبهار البرج.

(٥) الشَّنَب: ماء ورقة يجري على الثغر، وقيل برد وعذوبة في الأسنان، وقيل نقط بيض في الأسنان، وقيل حدة الأنياب، وقيل هو برد الفم والأسنان.

والـــرَّوضُ وجهٌ أزهـــرٌ، والـــظِّلّ فَـــرْ
عٌ أســـودٌ، والمـــاءُ ثـــغـــرٌ أشـــنـــب(٥)

واهـتـزَّ عـطْفُ الـغـصنِ من طربٍ لنا(١)
وافـتــرّ عن ثــغــر الــهلالِ المـغـــربُ

فــكــــأنه والحـــسنُ مُـقـــتـــرنٌ بـهِ(٢)
طـوقٌ عـلـى بُـرْد الـغـمـامـةِ مُـذهَـبُ

ولابن حبّوس الدمشقي:

[الكامل]

ومُـقَـرْطَقٍ(٣) يُـغـني الـنـديمَ بـوجـههِ
عن كـــأسه الملأى وعن إبـــريـــقهِ

فـعلُ المـدامِ ولـونــهـا ومَـذاقــهـا
في مُـقـلـتـيه، ووجـنـتـيه وريـقهِ

ولبعض المشارقة:

[الكامل]

يـــا ربِّ إن قـــدَّرتَـه لـــمُـــقَـــبِّلٍ
غَـيْـري فـلِـلـمِـسـواكِ أو للأكـؤسِ

ومـتى أتحتَ لـنـا نـديمـاً ثـالـثـاً
يـا ربِّ فَـلْـتَكُ شـمـعـةً في مـجـلس

ومـتى قـضـيتَ لـنـا بـعـينٍ مُـرافقٍ
فـاجـعلْه عـينًـا من عُـيـون الـنـرجس

(١) جاء في الديوان من طرب لنا ، ص٢٩٠.

(٢) جاء في الديوان: فكأنه والغيم ثوب أدكن، ص٢٩٠.

(٣) قرطق: هو تعريب كرته قباء. .

(٤) الأسعد بن بليطة: هو الأسعد بن إبراهيم بن أسعد بن بليطة (وليس بليط كما جاء في المخطوط) من قرطبة، شاعر بليغ وفارس تردد على ملوك الطوائف بالأندلس، توفي في حدود ٤٤٠هـ، انظر: المطرب، ص١٢٦، مطمح الأنفس، ص٨٣-٨٤ .

فكاهة:

قال الأسعد ابن بليط[٤] في ساقٍ أسود وأحدب:

[الكامل]

يا رُبَّ زنجيٍّ لهوتُ بـــــهِ	الشمسُ عند سناه ممقوتَـهْ
مُحدَودبٍ قد غاب كـــــاهلُه	فــي مـنْـكـبـيـه فلا تـرى ليتـــه
قد حَكّمَ التجعيــــــدُ لمَّتَه	فـــــتراكمتْ فكـأنها تُوتـــه
وإذا سعى بالكاس تحسبُه	جُعْلاً يدحـــرج فَصَّ ياقوته
فكأنه والكاسُ فـــــي يدهِ	نجمٌ رمــى في الجوِّعفريتـه

مُذهَبَة:

قال أبوجعفر بن طلحة:

[الكامل]

هـاتِ الــمُـدامَ إذا رأيتَ شـبـيـهَـهـا
في الأفق يــا فـردًا بـغـيـر شـبـيـهِ
فـالـصـبحُ قـد ذبحَ الـظلامُ بـنـصـلهِ
وغـــدتْ حــمــائـمُه تُـخــاصم فــيه

وقال ابن الزقاق[١]:

[المتقارب]

(١) ابن الزقاق: هو علي بن عطية الله بن مطرف بن سلمة اللخمي بلنسي، أبوالحسن ابن الزقاق ويذكر أن بينه وبين بني عباد قرابة وأخفى أبوه نفسه بعد خلعهم، انظر: ابن الأبار، الذيل والتكملة، السفر الخامس، القسم الأول، تحقيق الدكتور إحسان عباس، ص٢٦٥ .

(٢) دياجيره: جمع ديجور وهو الظلام، قال ابن الأثير والواو والياء زائدتان، ويقال ليل ديجور وليلة ديجور.

(٣) العندم: شجر أحمر، وقال بعضهم دم الغزال بلحاء الأرطى يطبخان جميعاً حتى ينعقدا فتختضب به الجواري.

وليلٍ قطعتُ دياجيرَهُ [٢]
بصهباءَ حمراءَ كالعندمِ[٣]
أُديرتْ كواكبُ أقداحِها
عليَّ فأغربتُها في فمي
تولَّى[١] الظلامُ سريعاً بها
كسرعة عبْلِ الشوى[٢] أدهم
يقول وقد مال عرنينُه[٣]
ونورُ الضحى[٤] واضحُ المبسم[٥]
رأيتُكَ تشرب زهرَ النجومِ
فولَّيتُ خوفاً على أنجمي

وليحيى بن سلمة[٦]:

[المديد]

وخليعٍ بتُّ أعذلهُ
ويرى عَذلي من العَبَثِ
قلتُ إن الخمرَ مخبثةٌ
قال: حاشاها عنِ الخبث
قلتُ منها الغنى[٧] قال نعمْ
شرفتْ عن مَخرج الحدث

(١) جاءت في الديوان تجلّى بدل تولّى و كتبت بالألف طويلة تولا، الديوان، ص٢٥٩.

(٢) عبل الشوى: العبل: الضخم من كل شيء وجمعه عبال، وقد عبل عبالة بالضم فهو أعبل: غلظ وابيض وأصله في الذراعين، وفرس عبل الشوى أي غليظ القوائم.

(٣) جاء في الديوان عرنينه بدل غربيّه كما هو المخطوط، انظر الديوان، ص٢٥٩.

(٤) جاء في الديوان ولون الدجى، بدل ونور الضحى كما هو في المخطوط.

(٥) جاء في الديوان واضح المبسم بدل واضح الميسم كما هو في المخطوط، انظر الديوان، ص٢٥٩.

(٦) يحيى بن سلمة: هو الوزير أبو عامر محمد بن عبدالله بن سلمة، انظر: مطمح الأنفس، ص٢٣-٢٤.

(٧) خلل في الوزن في صدر البيت، والكلمة غير واضحة الدلالة.

قـــلـتُ فـــالأَرْفـــاثُ تـــتـــبـــعـــهـــا
قـــال: طـــيبُ الـــعـــيشِ في الـــرَّفث
وسَـــأسْـــلُـــوهـــا فـــقُـــلتُ مـــتى
قـــال:عـــنـــد الـــكـــوزِ في الجـــدث

ولبعضهم:

[الخفيف]

بتُّ أسـقـيه صـفـوةَ الـراحِ[1] حـتى
وضعَ الـــرأسَ مـــائِلاً وتـــكـــفَّـــا
قـلتُ عـبدَالـعـزيـزِ تـفـديكَ نـفـسي
قـــال: لـــبَّـــيكَ قـلتُ لـــبّـــيكَ ألـــفـــا
هـاكـهـا قـال: هـاتِـهـا قـلتُ خُـذهـا
قـــال: لا أسـتـطـيـعـهـا قـلتُ أغـفـا

وقال آخر:

[الكامل]

مـا زال يـشـربـهـا وتـشـرب عـقـلَهُ
خـــبْلاً، وتُـــؤذن روحُه بـــرواحِ
حـتى انـثـنى مـتـوسِّـدًا بـيـمـيـنهِ

(١) الراح: اشتق لها اسم من الروح فسموها راحاً، وأصل الراح والروح والريح واحد... والراح أصله روح، فقلبت واوها ألفاً لما انفتحت وانفتح ما قبلها، وقال أبوعمرو: سميت راحاً لأن صاحبها يرتاح إذا شربها وقد أخذته أريحية إذا خف إلى السماع وهش له، وقيل لأن الشارب يستطيب ريحها، وقيل للاستراحة من الهموم والأحزان. قال شاعر: راحٌ تُريح من الأحزان والفكر (البسيط) وقد جمع ابن الرومي صفات منها فقال: (الكامل)

والله لا أدري لأية علّـــــــــةٍ   يدعون هذي الراحَ باسم الراحِ
ألريحها أم روحها تحت الحَشى؟   أم لارتيـــاح نديمها المرتـاح

انظر: قطب السرور في أوصاف الأنبذة والخمور للرقيق القيرواني، تحقيق عبدالحفيظ منصور، ص٢٨-٢٩.

(٢) المدامة: لأنها أديمت في دنها حتى سكنت حركتها وعتقت، وقيل لأن أصحابها يديمونها أويدمنونها. قال البحتري: (المتقارب)

وليستْ مداماً إذا أنتَ لم   تُواصلْ مع الشيبِ إدمانها

وللخمرة في العربية أسماء كثيرة أو صفات مثل: الشمول، القهوة، القرقف، السلاف، الخرطوم، الرحيق، السلسبيل، الكلغاء، الكميت، الصهباء، الطلاء، السبيئة، الجريال، ماذية، المزة، الدرياقة، الفيهج، السخامية، الخندريس، الشموس، أم زئبق، بكر، عاتق، الخمطة، الخلة، الإسفنط، المقدى، العانية، هيتية، البابلية، نيسانية...إلخ

سُــكْــرًا، وأســلمَ روحَه لـــلــرّاح

وللقاضي عبدالوهاب:

زعم المُـدامـةَ(٢) شـاربـوهـا أنـهـا
تـنـفي الـهـمـومَ وتـطـرد الـغـمَّـا
صدقوا سرتْ بـعـقـولـهم فـتَـوهّـمـوا
أنَّ الــســرور لــهم بــهــا تَــمّــا
سـلـبـتـهُمُ أذهـانَـهم وعـقـولَـهـم
أرأيتَ فـــاقـــدَ دينٍ مُـــهـــتـــمًّـا ؟

فكاهة:

قال ابن خاتمة(١): أخبرني شيخنا القاضي أبوالبركات ابن الحاج(٢) قال: أُحضر سكران بين يدي القاضي أبي العباس الرُّندي فاستحضر جماعة من الموثقين ليستَنْكِهُوهُ(٣) فكلُّهم أنكر أن يكون يميِّز رَائحة الخمر ،فبينا هم كذلك وإذا الشيخ أبومحمد عبدالحق بن ربيع شيخ الموثقين قد أقبل فقال له القاضي أبوالعباس: أريد أن تستنكهه فإن هؤلاء وأشار إلى الطلبة قد زعموا أنهم لا يعرفون رَائحة الخمر فاستنكهه الشيخ أبومحمد فوجد عليه رائحة الخمر، فقال له: هوسكران لكن من الخمر المسييني الذي تُشترى أوقية منه بدينار من الذهب العين، فقال له القاضي: بارك الله فيك أبا محمد والله لولا التعسُّف على الناس والتضييق عليهم لأسقطت شهادة هؤلاء وما قبلِت من الموثقين أحدًا غيرك !.

مُذهَبَة:

قال بعض المشارقة:

[الوافر]

شــكــوتُ إلى مــحــاســنه غــرامي
وقـلـتُ: فـمــا شـكـوتُ إلى رحــيمِ

(١) سبق التعريف بالشاعر ابن خاتمة الأنصاري.

(٢) سبق التعريف بالشاعر والقاضي أبي البركات البلفيقي.

(٣) يستنكهوه: ليتثبتوا من نوعية الرائحة.

(٤) البهيم: جمع بُهْم وهو شديد السواد.

أيـا طَـرْفًـا يـشـابـهـني سـقـامـاً
أما يـحـنـوالـسـقـيمُ عـلـى الـسـقـيم !
ويـا لـيلَ الـذؤابـةِ مـا كـفـاني
تـطـاولُ ذلك الـلـيـلِ الـبـهـيم[٤]
فـمـا خـطّتْ عـذاراه بـشيءٍ
سوى يـجـري[١] عـلـى الـعـهـد الـقـديم
وحـاكـمتُ الـنـسـيمَ عـلـى مـرورٍ
بـعِـطْـفـيْه فـمـالَ معَ الـنـسـيم

ولجمال الدين ابن مطروح الطرابلسي[٢]:

[الكامل]

سَفَـرتْ ولاحت في الخـمـائل تـنـثـني
فـأرتْكَ وجـهَ المُـجـتـلـي والمجـتـنِي
ورنتْ فـمـا تُـغـني الـتـمـائمُ والـرُّقـا
وأبـيـكَ من لحـظـات تـلك الأعـينِ
بـدويّـةٌ كم دونـهـا من هـاربٍ
بـالـسيف مـرهـوبِ الـسُّطـا لَمْ يُـؤمن
لم أنـسَـهـا ويـدي مـكـانَ وشـاحـهـا
وسألـتُـهـا عن خَـصـرهـا قـالت: فـني
أعـلـمـتُـهـا أن الـتـفـرُّقَ في غـدٍ
قـالَتْ وعـيشِ أبي لـقـد أحـزنـتَـني
وبـكـتْ فـلـونُـظـمتْ لآلئُ دَمـعـهـا
ظـفـرتْ يـدي مـنـه بـعِـقْـدٍ مُـثـمن
ودخـلـتُ جـنّـةَ وصـلـهـا مُـتـنـزّهـاً
يـا لـيت قـومي يـعـلـمـون بـأنـني

(١) هكذا ورد الأصل.

(٢) جمال الدين ابن مطروح الطرابلسي: هو أبو الحسن جمال الدين يحيى بن عيسى بن إبراهيم بن الحسين بن علي بن حمزة بن إبراهيم بن الحسين بن مطروح شاعر مصري من أهل الصعيد عاش أيام الدولة الأيوبية، ولد بأسيوط سنة٥٩٢هـ١١٩٦/م وتوفي سنة ٦٤٩هـ١٢٥١/م، انظر: وفيات الأعيان، وأفرام البستاني، المجلد٤، ص٤٣-٤٤ .

ولبعضهم:

[الرَّمل]

مـا عـلـيـهم لـو أبـاحـوا في الـهوى
مـا حـمـوه من صـفـات المـسـتـهـامْ

من خُـصـورٍ وشّـحُـوهـا بـالـضّـنى
وجُـفـونٍ مَـلـؤوهـا بـالـسّـقـام

وقال آخر:

[الكامل]

يـا من إذا لاحت مـحـاسنُ وجـهِهِ
غـفـرتْ بـدائـعُـهـا جـمـيعَ ذنـوبهِ

إن كـان في تـعـذيب قـلـبي راحـةٌ
لكَ، فـاجـتـهـدْ بـالـله في تـعـذيـبه

وقال غيره:

[مجزوء الكامل]

ومُـهـفـهفٍ طـاوي الحَشى خَـنِثِ المـعـاطفِ والـنـظرْ
ملأ الـعـيـونَ بـسُـورةٍ تُـلـيت مَـحـاسـنُـهـا سُـور
فـإذا رنـا،وإذا شـدا، وإذا مـشـى، وإذا سـفـر
فـضحَ الـغـزالـةَ، والحـمـامـةَ، والـغـمـامـة، والـقـمـر

فكاهة:

قال الشاعر في رجل دون لحية:

[السريع]

لحـيـــةُ مــيـــمــونٍ إذا حُــصّــلتْ
لم تـــبـــلغِ المـــعـــشــــارَ من ذَرَّهْ
تــطـلّــعتْ فــاســتـقـبـلتْ وجــهَهُ
فــأقـــســـمتْ لا أنـــبـــتتْ شـــعــرَهْ

وقال غيره في رجل كثير اللّحية:

[السريع]

ولحـــيـــةٍ يـــحـــمـــلـــهـــا مـــائقٌ[١]
كـأنـــهـا في عــرضــهــا والـكــمـالْ
مِـــلـحـــفـــةٌ لـــلّـــهـــو مـضــروبــةٌ
ووجـــهُه من خـــلــفـــهـــا كـالخــيـال

مر رجل لحيانيٌ برجل كَوْسج[٢] قليل اللحية فمسح على لحيته وقال: صدق الله العظيم والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربِّه والذي خبث لا يخرج إلَّا نكداً[٣] فمسح الكوسج على ذقنه وقال: صدق الله العظيم قلْ لا يستوي الخبيث والطيب ولوأعجبك كثرة الخبيث[٤].

مُذهبَة:

قال بعض الحكماء: ينبغي للعاقل أن ينظر كل يوم إلى وجهه في المرآة فإن كان حسنًا لم يشنه بقبيح، وإن كان قبيحاً لم يجمع بين قبيحين، وقد نظم الشاعر هذا المعنى فقال:

(١) مائق: جمع مَوْقى الأحمق، يقال هو أحمق مائق أي شديد الحماقة.
(٢) كوسج: قليل اللّحية، جمع كواسج، الذي لحيته على ذقنه لا على العارضين.
(٣) إشارة إلى الآية الكريمة من سورة الأعراف: «والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدًا كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون» الآية ٥٨.
(٤) إشارة إلى قوله تعالى من سورة المائدة «قل لا يستوي الخبيث والطيب ولوأعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يا أولي الألباب لعلكم تفلحون» آية١٠٠ .

[السريع]

يـــا حَـــسَنَ الـــوجـهِ تَـــوَقَّ الخَـــنـــا
لا تـــخـــلـــطنَّ الـــشَّـــينَ بـــالـــزَّينِ
ويـــا قـــبـــيحَ الـــوجـهِ كُنْ مُـــحـــسـنـــاً
لا تجـــمـــعنْ بـــين قـــبـــيـــحـــين

وقال آخر:

[مجزوء الرمل]

إنّ حُسْـــنَ الوجـــهِ يَحْتا ـجُ إلى حُسْـن الفَعالِ
حاجةَ الصادي إلى الـمـا ءِ إلى العذب الـــزُّلالِ

ذُكر أن القاضي ابن منظور(١) بلغه أن أبا العلاء ابن زهر(٢) مرِض فضحك وقال: فأين طبّه؟ فبلغت أبا العلاء فقال:

[الكامل]

إن ابنَ مـــنـــظـــورٍ تَـــبـــسَّمَ هـــازئـــاً
لـــمَّـا مـرِضتُ فقلتُ يـعـثُـر من مَشَى

(١) القاضي ابن منظور هو محمد بن عبدالله بن منظور القيسي (٥٨٤–٦٣٦هـ) من أهل مالقة يكنى أبا بكر أصله من إشبيلية، انظر: الإحاطة لابن الخطيب، ج٢، ص١٧٠–١٧٥.

(٢) أبوالعلاء ابن زهر: هو عبدالملك بن عبدالملك بن محمد بن مروان الإيادي الإشبيلي حظي عند الأمراء والملوك متحققاً بصناعة الطب متقدماً فيها، موفقًا في علاج المرضى، وكان أبو الوليد بن رشد يقول بتفضيله في صناعته على غيره من أهل عصره، ويرفع به ويشهد بمهارته، من تآليفه في الطب: «الاقتصاد في صلاح الأجساد» و«كتاب التسيير في مداواة العلل على الأعضاء»، وكان أبوالوليد بن رشد يثني على هذا الكتاب، توفي سنة٥٥٧هـ، انظر: الذيل والتكملة، السفر الخامس، ج١، ص١٨–١٩.

(٣) جالينوس: هو أحد الأطباء الثمانية المقدمين المرجوع إليهم في صناعة الطب، أولهم: أسقلبيوس الأول، والثاني غورس، والثالث مينس، والرابع برمانيدس، والخامس أفلاطون، والسادس أسقلبيوس الثاني، والسابع أبقراط، والثامن جالينوس، ولد سنة١٢٩م، انظر: مختار الحكم ومحاسن الكلم لأبي الوفاء المبشر بن فاتك، تحقيق الدكتور عبدالرحمن بدوي، ص٢٨٨–٢٩٦.

(٤) سبق التعريف بأبي دلف العجلي، انظر: الأغاني، ج٨، ص٢٤٩–٢٥٧.

(٥) سئل الحكيم خروطرخس عن رجل كان يخضب بالسواد لمَ يخضب؟ فقال كره أن يطالب بحنكة المشايخ، انظر: مختار الحكم، ص٢٩٦.

قد كان جالينوسُ[٣] يمرض دائمًا

فمنِ الإمامُ المرتضى قَبلَ الرُّشا ؟

ودخل أبودلف العجلي[٤] على المأمون وقد ترك الخِضاب[٥] فغمز جارية عنده أن تعبث به فقالت:شبت يا أبا دلف، إنَّا لله وإنّا إليه راجعون،فسكت عنها، فقال له المأمون:أجبها، فأطرق رأسه ثم رفعه، فقال:

[البسيط]

تَهزّأتْ أن رأتْ شيبي فقلتُ لها:

لا تهزئي من يطلْ عمرٌ به يَشبِ

شيبُ الرجالِ لهم زينٌ ومكرمةٌ

وشيبكُنَّ لكنَّ الويلُ فاكتئب

فينا لَكُنَّ وإن شيبٌ بدا إربٌ

وليس فيكُنَّ بعد الشيبِ من أربِ[١]

وقال رجل من ولد الوليد بن عبدالملك[٢] لآدم بن عمر بن عبدالعزيز: ذهب عنكم رونق الملك وبهاؤه وبهجته،ورداؤه وصرتم في العوام الطغام[٣] تعدون من أَراذِلِ الأقوام، فقال آدم مجيباً له على البديه:

[الوافر]

وقد قالت رِجالٌ قد تَولَّى زمانُكمُ وذا زمنٌ جديدُ

فما ذهبَ الزمانُ لنا بمَجدٍ ولا حسَبٍ، إذا ذُكرَ الجدود

---

(١) أرب الأولى وهو العضوالتناسلي الخاص بالذكر، ويقال لكل عضو إرب، وأرَب الثانية الحاجة.

(٢) هو الوليد بن عبدالملك بن مروان يكنى أبا العباس أحد خلفاء بني أمية، بويع بالخلافة للنصف من شوال سنة ست وثمانين (٨٦هـ) وهو ابن تسع وثلاثين وأربعة أشهر، وتوفي يوم السبت لأربع عشرة ليلة خلت من من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين ٩٦هـ، وهو ابن تسع وأربعين فكانت خلافته تسع سنين وثمانية أشهر.كان يدعى فارس بني مروان لشهامته، وهو باني مسجد دمشق والمدينة، كما كان جبارًا وعنيدًا، الرقيق القيرواني، ص١٦٦.

(٣) الطغام: أراذل الناس وأوغادهم لا يعرف له اشتقاق، الواحد والجمع سواء.

(٤) الشريف الأصم، انظر من حوله: زاد المسافر لابن صفوان، ص١٢٦.

(٥) الصفا: الصخر الأملس، الصفاة الحجر الصلد الضخم الذي لا ينبت شيئًا، وجمع الصفاة صفوات، وصفا مقصور، وجمع الجمع أصفاء وصفي.

وما كنّا لنخلدَ إذ ملكـــنا   وأيُّ الناسِ دام له الخُلـود!؟

وأراد بعض الناس أن يختبر الشريف الأصم[٤] فناوله صخرة وقال له: قل فيها ؟ فقال:

[الطويل]

وصمّاءُ ملءُ الكفِّ من يابس الصَّفا[٥]
حكتْ قلبَ محبوبٍ، وكفَّ بخيلِ
رميتُ بـها قِرْني فخرَّ مُجدَّلاً
كفعلي بماضي الشفرتين صقيل
إذا عَدِم الناسُ السلاحَ فإنني
سلاحيَ موجودٌ بكلّ سبيل[١]

فكاهة:

قال بعضهم في الحشيشة المسماة بشجرة القُنَّب[٢]:

[الطويل]

وخضراءُ من كفّ الحبيبِ جنيتُها
لها وثباتٌ في الحَشا وثَباتُ
تُؤجِّج نيرانَ الجوى وهي جنّةٌ
وتحصد عقلَ المرءِ وهي نبات[٣]

---

(١) جاء في زاد المسافر لابن صفوان: وأراد بعض الناس أن يختبره فناوله صخرة وقال له قل فيها فقال: الأبيات مع اختلاف طفيف في عجز البيت الثاني: كعهدي بماضي بدل كفعلي بماضي، ص١٢٦.

(٢) القنب هو الشهدانج المسمى ورقة الحشيش وذكر له أطباء العرب نوعين: كبير يطول نحو قامتين عريض الأوراق ككف اليد بأصابعها سطحه فارغ ولحاؤه هو القنب، وصغير له أوراق صغار وعروق ضعيفة فلا يعلوكالأول وهذا الذي يسمى بالحشيش وثمره الشرانق وهذا هو الشهدانج ومنه القُنَّبُ الهندي، ولم ير بغير مصر يزرع في البساتين ويسمى عندهم بالحشيشة أيضاً وهو مسكر جداً إذا تناول الإنسان منه وزن درهم أودرهمين فإن أكثر منه أخرجه إلى حد الرعونة وربما قتل. أما القنب الكبير فاستنبت بأوروبا لتعمل خيوطه منسوجات بأن تغزل أليافه المغطية لسوقه وتنسج أقمشة ويعملون من منسوج أوراقه ضماداً محللاً، وأما البزور المستخرجة منه وتسمى الشرانق فتستعمل غذاء للطيور، ويعمل منها مستحلبات يقال إنها مدرَّة للطمث، مُلطفة مسكنة قليلاً فيعطى في التهابات مجرى البول وغيرها، انظر تحفة الإخوان في تحريم الدخان لعبدالقادر الراشدي القسنطيني، ص٦٥.

(٣) نسب ابن القاضي في درة الحجال البيتين لشاعر غرناطي تمشرق اسمه محمد بن الشريف الكاتب المعروف بأبي الوحيد شرف الدين المتوفى عام ٧١١هـ-١٣١١/م يقولهما هكذا:

وخضراء قد لا تفعل الخمرُ فعلَها   لها وثباتٌ في الحشا وثبـاتُ
تؤجج ناراً في الحشا وهي جنـةٌ   وتُبدي لذيذ العيش وهي نبات

انظر: تحفة الإخوان، ص٧٤.

وقال آخر وفيه تورية نحوية:

[مخلَّع البسيط]

أشــــكـــو إلى الـــــله من أنـــاسٍ
قـد خـلـعـوا خـلـعَـةَ الـوقـارِ
صـحـبـتُـهم فـانـخـفـضتُ هـوْنًـا
يـــا ربِّ خـــفِّضْ عـــلى الجِـــوار

مُذهَبَة:

قال يموت بن المزرع[1] كان أحمد بن المدبر إذا مدحه شاعر لم يرض شعره قال لغلامه: امض به إلى المسجد الجامع فلا تفارقه حتى يصلِّيَ مائة ركعة ثم خلِّه، فتحاماه الشعراء لأجل ذلك إلا المجيدين، فجاءه أبوعبدالله بن عبدالسلام المعروف بالجمل فاستأذنه في النشيد، فقال: عرفت الشرط، قال: نعم وأنشده:

[الوافر]

أردنـــا في أبي حَـــسَنٍ مـــديـــحــاً
كـمـا بـالمـدح تُـنـتَـجـعُ الـولاةُ
فـقُـلـنـا أكـرمُ الـثـقـلـين طُـرّاً
وَمنْ كَـفَّـاه دجـلـةُ[2] والـفـرات[3]
فـقـالـوا: يـقـبل المـدحـاةَ لـكنْ

(١) هو يموت بن المزرع العبدي ابن أخت الجاحظ من عبدقيس صاحب آداب وملح وأخبار، كان يسمى محمدًا ويمّوت وهو الغالب عليه، وكان يقول: بُليت بالاسم الذي سمّاني به أبي فإن عدت مريضاً فاستأذنت عليه فيقول لي: من ذا؟ قلت أنا ابن المزرع فأسقط اسمي، أخذ عن أبي عثمان المازني السجستاني، مات بطبرية سنة٣٠٣هـ، ويذكر أبوسعيد يونس الصفدي صاحب تاريخ مصر أنه توفي بدمشق سنة٣٠٤هـ في خلافة المقتدر.

(٢) نهر في العراق معربة عن ديلد ولها اسمان آخران وهما: آرنك روذوكودك دريًا أي البحر الصغير، أصل منبعه بجبل قرب آمد عند حصن ذي القرنين.

(٣) الفرات: معرب من لفظه وله اسم آخر وهو فالاذ روذ لأنه بجانب دجلة، كما بجانب الفرس، والجنبية تسمى بالفارسية: فالاذ، والفرات في أصل كلام العرب: أعذب المياه. منبع الفرات من أرمينية فيما زعموا، وينتهي إلى عانة ثم هيت.

(٤) الصلات جمع صلة وهي الجائزة والأعطية، وقد وردت في مخطوط (ز.س.خ) بالكسر والتاء مربوطة، ص٨٧.

(٥) دوبيتي: يقول مالك ابن المرحل الشاعر في الخميلة العاشرة المشتملة على الدوبيتيات والمربعات والمخمسات: ملح الدوبيتيات هي التي ولع بها المشارقة كما تولع المغاربة بالموشحات، استنبطوا أوزانها من الرجز ولا يتعدون بها وزناً واحداً، وفيه متحرك وساكن زائد على الرجز المثلث المسمى المشطور. الدوبيتي عند المشارقة على نوعين: ساذج ومرصع والساذج من الدوبيتي هو صنفان: موافق ومخالف. انظر: رسالتان فريدتان في عروض الدوبيت تصنيف

جــــوائـــزُه عـــلـــيــهـنّ الـــصـّلاة

فــقــلـتُ لـــهم:ومـــا تُــغْــني صَلاتي

عــيــالـي، إنمــا الــشـأنُ الــزكــاة

فـيـأمـرلي بـكـسـر الـصـاد مـنـهـا

فـتـصـبـح لي الـصّلاة هي الـصِلّات[٤]

قال أيذَمُر الصُّوفي[٥]:

[الدوبيت]

قـومٌ نـقـضـوا عــهـودَنـا بـالـشِّعبِ

من غـــيـــر خـــيــانـــةٍ، ولا من ذنبِ

صـدّوا وتـعـتّـبـوا وقـد هِـمْتُ بـهم

هل لا[١] هــجـروا وكـان قـلـبي قـلـب

وقال الصنوبري[٢]:

[الطويل]

ولم أنسَ مـا عـانـيـتُه من جـمـالـهِ

وقـد زرتُ في بـعض الـلـيـالي مُصلاَّهُ

ويـقـرأ في المحــراب والـنـاسُ خـلـفّه

«ولا تقتلوا الـنفسَ التي حرّم اللهُ»[٣]

فـقـلـتُ: تـفـهَّمْ مـا تـقـول فـإنَّـهـا

(١) هكذا ورد في المخطوطتين منفصلة هل لا.

(٢) هو أحمد بن محمد بن الحسن بن مرار الضبي الحلبي الأنطاكي المعروف بالصنوبري، وهو أبو بكر شاعر سكن حلب ودمشق توفي في رجب سنة٣٣٤هـ/٩٤٦م، من آثاره ديوان شعر جمع محمد راغب الطباخ قسماً منه سماه الروضيات.

(٣) تضمين لقوله تعالى من سورة الإسراء الآية ٣٣ «ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ومن قتل مظلومًا فقد جعلنا لوليّه سلطانًا فلا يسرف في القتل إنه كان منصورا».

(٤) سبق التعريف به.

فِعالكَ يا من تقتل الناسَ عيناه!

وقال أبوعمر الرّمادي(٤):

[الكامل]

في أيّ جارحةٍ أصون مُعذّبي

سلمتْ من التعذيب والتنكيلِ

إن قلتُ في عيني فثمَّ مَدَامعي

أوقلتُ في قلبي فثَمَّ غليلي(١)

وقال أبوعلي بن رشيق(٢):

[البسيط]

إن كنتَ تنكرُ ما منكَ ابتليتُ بهِ

وأن بُرءَ سَقامي عزَّ مَطلبُه

أشِرْ بِعُودٍ من الكبريت نحوفمي

(١) البيتان من قصيدة مدح فيها الرمادي أبا علي القالي وترتيبهما في القصيدة: ٥ و٦، الديوان، ص١١.

(٢) هو أبوعلي الحسن بن رشيق المسيلي ثم القيرواني صاحب كتاب العمدة، ولد بالمحمدية قرب مدينة المسيلة في القطر الجزائري سنة ٣٩٠هـ وانتقل إلى القيروان سنة ٤٠٦هـ ثم غادر إلى المهدية سنة٤٤٩ ثم غادر إلى صقلية سنة ٤٥٤هـ حيث توفي سنة ٤٦٣هـ، انظر: مقدمة ديوان ابن رشيق، جمع الدكتور عبدالرحمن ياغي، ص٧، المطرب، ص٥٧–٦٦.

(٣) ورد اختلاف طفيف في الديوان مس البيت الأول التي جاء في الديوان بهذه الرواية، ص٣٣.

إن كنتَ تنكر ما فيكَ ابتليتُ به   فإن برء سقامي عزُّ مطلبه

(٤) أبوالمغيرة بن حزم: هو الوزير الكاتب أبو المغيرة بن حزم عبدالوهاب بن حزم، يقول الفتح بن خاقان: وأبو المغيرة هذا في الكتابة أوحد لا ينعت، ولا يحدّ وهو فارس المضمار حامي ذمام الديار... وكان هو وأبو عامر بن شهيد خليلي صفاء وحليفي وفاء... وأما شعر أبي المغيرة فمرتبط بنثره ومختلط بزهره، انظر: مطمح الأنفس، ص٢٣.

(٥) الرقباء ورد في رسالة «الفصل العادل بين الرقيب والواشي والعاذل» للشاعر ابن خاتمة الأنصاري قوله في الرقيب: «مسلط العين على كل إلفين، يترصد الغلس ويرقب الغلس، ويتسلل لحظه بين النفْس والنفَس، ما طلع إلا كدّر الوصال، وقطّع الأوصال، وقصم الانتظار والاتصال، إن لحظ أحفظ [أي أغضب]وإن رمق رشق، أو نظر أصر، أودنا لم يُبق ولم يذر»، ص٥، ويقول أحد الشعراء ص٦.

أحبّ العذولَ لتكـــــراره   حديثَ الحبيبِ على مسمعي

وأهو ى الرقيبَ لأن الرقيـ   ـبَ يكون إذا كان حبّي معي

وانـظـر إلى زفـراتي كـيف تُـلْـهِـبُـه[3]

وقال أبوالـمُغيرة بن حزم[4]:

[الطويل]

وكم لـيلـةٍ ضـافـرتُ في ظلّـهـا الـمُنى
وقـد طـرقتْ من أعـين الـرُّقـبـاءِ[5]
وفي سـاعدي حـلـوُ الـشـمـائلِ مـتـرفُ
لـعـوبٌ بـيـأسي تـارةً ورجـائي
أطـارحه حُـلـوَ الـعـتـابِ وربَّـمـا
تَـغـاضبَ فـاسـترضـيـتُه بـبُكـائي
وقـد خـامـرتْه الـرّاحُ حـتّى رمتْ بهِ
لـقًى بـين ثِـنْـيَيْ بُـردتي وردائي
وفي لـفظه من سَوْرة[1] **الـكأسِ فـترةٌ**
تـمـتُّ إلى ألحـاظـه بـولاء
على حاجةٍ في الحبِّ لوشئتُ نلـتُها
ولـكنْ حـمـتْـني عِـفَّـتي وحـيـائي

---

(١) سَوْرة الخمر: حدتها.

(٢) أبوعلي الرنداحي: هو قائد أسطول مقاطعة سبتة المستقلة أوإمارة آل العزفي، انظر من حوله: الإحاطة لابن الخطيب، ج٤، ص٨٠-٨٢، أزهار الرياض، ج١، ص٨٢.

(٣) بجابة: مدينة في القطر الجزائري تقع على الساحل شرقًا وقد كانت عاصمة لدولة بني حماد ما بين ٤٠٥-٥٤٧هـ/١٠١٤-١١٥٠م يقول المراكشي: وبجاية هي دار ملك بني حماد الصنهاجيين الذين تنسب قلعة بني حماد إليهم وكانوا يملكون من قسنطينة المغرب إلى موضع يعرف بسيوسيرات، انظر: المعجب، ص٢٧٢-٢٧٣، و الدكتور أحمد بن محمد أبو رزاق: الأدب في عصر دولة بني حماد، نشر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، ١٩٧٩.

فكاهة:

قال ابن خاتمة: حدَّثني القائد أبوعلي الرّنداحي[٢]، قال:كان ببجاية[٣] شخصان من الموثقين يُعرف أحدهما بابن المؤدِّبة والثاني بابن الزناتي، فجرى على ألسنة الناس في المؤدّبة أن يقولوا فيه ابن المؤدب، فقال له ابن الزناتي يومًا على وجه المُداعبة والتندير: ما بال الناس نقصوك من معرفتك تاء ؟ فقال له ابن المؤدب: لأنهم رادُّوها في معرفتك !..

مُذهَبَة:

قال أبوبكر ابن اللَّبّانة[١]:

[البسيط]

يـا رُبَّ ربَّـةِ خِـدرٍ زرتُ مـضـجـعَـهـا
من مكمني والـدُّجى الـغربيب معتكرُ
ضـمـمـتُـهـا ضمَّ مُـشـتـاقٍ إلى كـبـدي
حـتى تـوهَّـمتُ أنَّ الحـلـيَ يـنـكـسـر[٢]

---

(١) أبوبكر محمد بن عيسى الداني (... ٥٠٧هـ/... ١١١٣م) نسبة إلى مدينة دانية Denia المعروف بابن اللبانة لأن أمه كانت تبيع اللبن، مدح المعتمد وآل عبّاد، كما يقول ابن دحية في المطرب: من شعراء السلطان ابن عباد وممن وفى له فقصده وهو محبوس بأغمات آخر تلك البلاد، المطرب، ص١٧٨، قلائد العقيان لابن خاقان، ص٢٨٢– ٢٩٠ .

(٢) ورد البيتان في ديوان ابن اللبانة، ص٤٨ ضمن قصيدة قالها في مدح المعتمد ومطلعها:

يارُبّ ربةِ خدرٍ زرتُ مضجعَها   (...) والدجى الغربيب معتبرُ

ولم يفلح محقق الديوان في إيجاد العبارة التي يفتتح بها عجز البيت وهي مثبتة عند ابن هذيل (من مكمني) ولا أعتقد كذلك أن القافية معتبر بل الأقرب إلى الصواب هو ما أورده ابن هذيل (معتكر) لانسجامها مع الغربيب أي الحالك السواد، انظر: ديوان ابن اللبانة، جمع وتحقيق: الدكتور محمد مجيد السعيد، ص٤٨–٥٠.

(٣) هو الشاعر حسان بن المصيصي ،كان هو وابن عمار وابن ملح أترابًا وكان في مدينة شلب (**SILVES**) جنوب غرب الأندلس، وأبياته هذه قيلت في الغزل ولها رواية أخرى أوردها ابن بسام في الذخيرة جاءت ابتداء من البيت الثالث هكذا:

فجئتُ إلى جهــــورَ المرتضى   فقيهِ الملاح وقاضي الكلـــــف
فقلـــتُ له إننــــي عاشـــقٌ   فقال الشهودُ على ما تصـــف
فقلتُ وهـل أدمــعي شُــهّدي   فقال لئن شهدتْ تنتصـــــــف
فأرســـلتُ منهمـــــلاتٍ معًا   كمثل السحاب إذا لم يكـــف
وكان بصيرًا بحكم المـــلاح   ويعلم من أين أكل الكتـــــف
فأوصى إلى الخدّ أن يُجتنى   وأومى إلى الريق أن يُرتشف

فكاهة:

قال حسان المصِّيصي[٣]

[المتقارب]

شـــكـــوتُ إلـــيه بـــفَـــرْط الـــدَّنَفْ[٤]
فـــأنـــكـــرَ مـن عـــلَّـــتي مـــا عَـــرَفْ

وقـــال الـــشـــهـــودُ عـــلـى المُــدَّعي
وأمَّـــا أنـــا فـــعـــلـيَّ الحَـــلِف

فـــجـــئـــنـــا إلى الحَـــكَـم الألمـــعيِّ
وشـــيخِ المجـــونِ وقـــاضي الـــكـــلف

وكـــان بـــصـــيـــرًا بـــحـــكـم الـــهـــوى
ويـــعـــلـم من أين أكلُ الـــكَـــتِف

فـــأجـــلـــسَـــنـــا ثمَّ أومى إليَّ
وقـــال: الـــشـــهـــودُ عـــلـى مـــا تـــصف

فـــقـــلتُ له: أدمـــعي شـــاهِـــداتٌ
فـــقـــال إذا شـــهـــدتْ تـــنـــتـــصف

فـــفـــاضت دُمـــوعيَ من حـــبِّـــهِ
كـــمـــثل الـــســـحـــابِ إذا مـــا تَـــكِف

فـــحـــرَّكَ رأســـاً إلـــيه وقـــالَ:
دعُـــوا يـــا مَـــهـــاتـيكُ هـــذا الـصَّـلف[١]

كـــذا تـــقـــتـــلـــون مـــشـــاهـــيـــرَنـــا
إذا مـــات هـــذا فـــأين الخـــلـــف ؟

وأومى إلى الخـــدِّ أن يُـــجـــتـــنـى
وأومى إلى الـــثَّـــغـــر أن يُـــرتـــشَف

= وجاء صدر البيت ١٢ أزال العتاب فعانقته، ولعل ما ورد في الخريدة للعماد الأصفهاني كان أوفى وأتم في حين كانت رواية ابن بسام كثيرة الحذف.

(٤) الدَّنَف: المرض المثقل، والمريض الذي لزمه المرض الشديد، ورجل دَنَفٌ ودَنِفٌ ومُدْنِفٌ ومُدْنَفٌ براه المرض حتى أشفى على الموت، ويقال إنه يستوي فيه المذكر والمؤنث ويجوز أن يثنى ويجمع.

(١) الصلف: مجاوزة القدر في الظرف والبراعة والادعاء فوق ذلك تكبراً، وقيل آفة الظرف الصلف.

فلمّا رآه حبيبي معي
ولم يختلف في الهوى مُختلف
أدار العنادَ فعانقتُه
كأنّيَ لامٌ وإلفي أَلِف
وظِلْتُ أعاتبه في الجَفا
فقال: عفا اللهُ عمَّا سلف

مُذهِبَة:

قال ابن خلّكان[1] كان أبوالحسن بن منقذ الملقب شريد الملك يتردد إلى حلب[2] قبل تملكه شيراز[3]، وصاحب حلب يومئذ محمود بن صلاح الملقب تاج الملوك فجرى أمر خاف شريد الملك المذكور على نفسه منه فخرج من حلب إلى طرابلس[4] الشام، وصاحبها يومئذ جلال الملك بن عمار، فأقام عنده فتقدم محمود بن صلاح إلى كاتبه أبي نصر محمد

---

(١) ابن خلكان: هو قاضي القضاة شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان أبوالعباس البرمكي الأربلي الشافعي (٦٠٨–٦٨١هـ) علامة في الأدب والشعر وأيام الناس، حسن الفتاوى جيد القريحة بصير بالعربية من أبرز مؤلفاته وفيات الأعيان ورد ذكر ابن خلكان في أزهار الرياض للمقري في ج١ ، ص٢٤–٢٥–٢٧، حيث تعرض له المقري بتصويب بعض معلوماته حول الكتاب المغاربة والأندلسيين لكونه مشرقياً تنقصه الدقة والدراية وتفوته بعض المعلومات.

(٢) حلب: اسمها القديم خاليبون ثم بيريا، مدينة جليلة قديمة، قيل سميت حلب لأن إبراهيم الخليل كانت له بقرة شهباء يحلبها على أكمة فوق مركز المدينة ويطعم الناس فكانوا يقولون حلب الشهباء، وهذه أشهر الروايات. وحلب قصبة قضاء ولواء في شمال سورية موقعها على نهر قويق نحو ستين ميلاً من أنطاكية شرقًا وسبعين ميلاً على البحر.

(٣) شيراز: بلد عظيم مشهو ر، وهو قصبة بلاد فارس، قيل سميت بشيراز بن طهمورث، ومعنى اسمها جوف الأسد، لأنه يحمل إليها من الآفاق ولا يحمل منها إلى الآفاق شيء، وهي وسط بلاد فارس (إيران حاليًا) بينها وبين نيسابور مئتان وثلاثون فرسخاً، ذممها البشاري بضيق الدروب، قال القزويني كان الأكاسرة يتخذونها في قديم الزمان مقرًا، ولأهلها يد باسطة في صنعة ثياب الحرير، وقال ابن الأثير: طول شيراز ثلاثة أميال وعرضها ثلاثة بناها محمد بن القاسم بن عمر الحجاج وأصابها زلزال عام ١٨٥٩ م.

(٤) طرابلس: ويقال أطرابلس ومعناها الثلاث مدن، وبالرومية والإغريقية ثلاث مدن، وسماها اليونانيون طرابليطة لأن طرا معناها ثلاثة وبليطة مدينة، أول من بناها أشباروس قيصر، وتسمى أيضا إياس، عليها سور صخر جليل البنيان، وهي على شاطئ البحر، وبني جامعها أحسن مبنى، وبها أسواق حافلة، ومسجد يعرف بمسجد الشعاب مقصود، ومرساها مأمون من أكثر الرياح، وطرابلس الشام في الإقليم الرابع، طولها ستون درجة وخمس وثلاثون دقيقة وعرضها أربع وثلاثون درجة، وهي المدينة اللبنانية حاليًا التي تقع في شماله.

النحاس أن يكتب إلى شريد الملك كتابًا يتشوقه ويستعطفه ويستدعيه إليه ففهم الكاتب منهم أنه يقصد له شرّا، وكان صديقًا لشريد الملك فكتب الكتاب كما أمر إلى أن بلغ إن شاء الله فشدَّدَ النُّون وفتحها، فلمَّا وصل الكتاب إلى شريد الملك عرضه على ابن عمار صاحب طرابلس ومن بمجلسه من خواصِّه فاستحسنوا عبارة الكاتب واستعظموا ما فيه من رغبة محمود فيه وإيثاره لقربه، فقال شريد الملك: إني أرى في الكتاب ما لا ترون، ثم أجابه عن الكتاب بما اقتضاه الحال، وكتب في جملة الكتاب: أنا الخادم المقرُّ بالإنعام وشدّد النون فلمَّا وصل الكتاب إلى محمود ووقف عليه الكاتب سُرَّ بما فيه وقال لأصدقائه: قد علمت أنَّ الذي كُتب لا يخفى على شريد الملك، وقد أجاب لما طلبته نفسي؛ وكان الكاتب قد قصد قول الله تعالى: «إنَّ الملأ يأتمرون بك ليقتلوك»[1]. فأجاب شريد «الملك إنَّا لن ندخلها أبدًا ما داموا فيها»[2]؛ وهذا من عجيب الفِطنة والتيقّظ، قال:وشكا القاضي محمد ابن أبي ليلى بالإمام أبي حنيفة[3] لأمير الكوفة فقال له: هنا شابٌّ يُقال له أبوحنيفة يُعارضني في أحكامي ويفتي بخلاف حُكمي ويشنِّع عليَّ بالخطأ فأريد أن تزجره على ذلك، فبعث إليه الأمير ومنعه من الفتيا، فيُقال إنه كان يومًا في بيته وعنده زوجته وابنته وابنه حمَّاد، فقالت له ابنته: إني صائمة وقد خرج من بين أسناني دمٌ وبصقته حتى عاد

(١) تضمين للآية القرآنية من سورة القصص: «وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين» الآية٢٠.

(٢) تضمين للآية القرآنية من سورة المائدة آية٢٤:« قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبدًا ماداموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون».

(٣) الإمام أبوحنيفة :النعمان بن ثابت بن زوطي بن ماه، الإمام الفقيه الكوفي (٨٠-١٥٠هـ٦٩٩/-٧٦٧م)مولى تيم الله بن ثعلبة، أدرك أربعة من الصحابة: أنس بن مالك، عبدالله بن أبي، سهل بن سعد الساعدي بالمدينة، وأبوالطفيل عامر بن وائلة بمكة، كان عالمًا عاملاً زاهدًا ورعاً تقياً كثير الخشوع، رفض قضاء الرصافة حين كلفه أبوجعفر المنصور، كما ضربه ابن هبيرة لإخضاعه بالسوط مائة وعُذب ومات بعدها بستة أيام وتلك محنته مع القضاء، انظر: الأعلام للزركلي، ج٩، ص٤.

(٤) الجاحظ: هو أبوعثمان عمروبن بحر بن محبوب الكناني الليثي المعروف بالجاحظ البصري، العالم المشهو ر صاحب التصانيف في كل فن وله مقالة في الأصول والدين وإليه تنسب الفرقة المعروفة بالجاحظية المعتزلة، فهو تلميذ إبراهيم النظام وهو خال يموت بن المزرع (سبق التعريف به) من أشهر تصانيفه: كتاب البيان والتبيين، وكتاب الحيوان، كان

الريق أبيض لا يظهر عليه أثر الدم فهل أفطر إذا بلعت الآن الريق؟ فقال لها: سلي أخاك حماداً فإنَّ الأمير منعني من الفتيا، فعُدُّت هذه الحكاية في مناقب أبي حنيفة وحسن تمسكه بامتثال إشارة رب الأمر فإنَّ إجابته طاعة حتى أنَّه أطاعه في السرِّ ولم يردَّ على ابنته جوابًا، رضي الله عنه.

ومن أناشيد أبي عثمان الجاحظ(٤):

[المتقارب]

وكـــان لـــنـــا أصـــدقـــاءٌ مـــضـــوا
تـفـــانــوا جـمـيـعًـا فـمـا خُـلِّـدوا
تـسـاقَـوْا جـمـيـعًـا كـؤوسَ الحِـمـامِ
فـمـات الــصـــديقُ، ومــات الــعـدو

فكاهة:

قال ابن خلِّكان: حَكى أبوالعباس المبرِّد(١) أن أبا جعفر المنصور(٢) ولَّى رجلا يُجري الصدقة على العِميان، والأيْتام والقواعد من النساء اللاّئي لا أزواج لهنَّ، فدخل على هذا

(١) أبوالعباس المبرد: هو محمد بن يزيد بن عبدالأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس المعروف بالمبرد(٢١٠ –٢٨٦هـ-٨٢٦/–٨٩٩م) إمام العربية ببغداد في زمانه، انظر: الأعلام، ج٨، ص١٥.

(٢) هو أبوجعفر المنصور عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب أخوالسفاح، ولد عام ٩٥هـ الذي توفي فيه الحجاج بن يوسف، وأبوجعفر الخليفة العباسي باني بغداد، عرف بحزمه وصواب رأيه وحسن سياسته فكان كما ذكر ما تجاوز كل وصف، ذكر له قوله ولدت في ذي الحجة وأعذرت في ذي الحجة، ووليت الخلافة في ذي الحجة، وأحسب المنية من ذي الحجة، قال الرقيق القيرواني: بويع بالخلافة وهو بطريق مكة يوم الأحد لاثنتي عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة ثلاث وثلاثين ومائة (١٣٣هـ) وتوفي في المحرم سنة ثماني وخمسين ومائة (١٥٨هـ). انظر: الرقيق القيرواني: قطب السرور، ص٢٠١.

(٣) إشارة إلى قوله تعالى من سورة الحج «أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها وآذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور» آية ٤٦.

(٤) هو أبوالقاسم إسماعيل بن أبي الحسن بن عباد بن العباس بن عباد بن أحمد بن إدريس الطالقاني (من أعمال قزوين) (٣٢٦–٣٨٥هـ) من مواليد اصطخر وتوفي بالري، تلميذ ابن فارس اللغوي، وعن أبي الفضل بن العميد، أنه أول من لقب بالصاحب من الوزراء لأنه كان يصحب أبا الفضل بن العميد كما قيل لأنه صحب مؤيد الدولة بن بويه من الصبا وسماه الصاحب، صنف كتابًا في اللغة سماه المحيط في سبعة مجلدات رتبه على حروف المعجم، وكتاب «الكافي» و«الإمامة» و«الأعياد وفضائل النيروز» و«الوزراء» «والكشف على مساوئ المتنبي» و«أسماء الله تعالى وصفاته». لما توفي أغلقت مدينة الري، ولما خرج نعشه من الباب صاح الناس صيحة واحدة وقبلوا الأرض.

المُتولّي رجل معه ولده فقال له: أصلحك الله اكتب اسمي مع القواعد: فقال له المتولِّي: القواعد نساء، فكيف أكتبك معهن ؟ قال: فاكتبني في العميان: فقال: أما هذا فنعم! لأن الله تعالى يقول: «فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور»[٣]. فقال: اكتب وَلَدي في الأيتام ؟ فقال: نعم فإن من تكن أنت أبوه فهو يتيم، فانصرف بعد إثباته في العميان وولده في الأيتام.

قال الصاحب بن عبَّاد[٤] في رجل زَوَّج أمَّه:

[المتقارب]

عـذلتُ لتزويجه أمّهِ
فقال: فعلتُ حلالاً يجوزْ
فقلتُ: صدقتَ حلالاً فعلتَ
ولكنْ سمحتَ بصدع العجوزْ

مُذهبَة:

أنشد أبوالقاسم السُّهيلي[١] قول الشاعر:

[السريع]

قد أجمع النَّاسُ على بغض لا
ولستُ أنْسى أبداً حبَّ لا
لأنني قلتُ له سائلاً
تحبُّ غيري سيِّدي قال: لا

---

(١) أبوالقاسم السهيلي: عبدالرحمن بن عبدالله السهيلي الأعمى، ينسب إلى سهيل أحد حصون عمالة مالقة بالأندلس، من أشهر مؤلفاته «الروض الأنف والمشرع الروى في تفسير ما اشتمل عليه حديث سيرة رسول الله (ص) واحتوى»، و«كتاب التعريف والإعلام في ما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام» «وكتاب نتائج الفكر»، انظر من حوله: المغرب في حلى المغرب، ص٤٤٨، وبغية الملتمس للضبي من ٣٥٤ ، والوفيات لابن خلكان، ج١، ص٣٩٢ .

(٢) هو أبوالسعادات أسعد بن يحيى بن موسى بن منصور بن عبدالعزيز بن وهب بن هبان بن سوار بن سنجار إحدى مدن الجزيرة العراقية، فقيه شافعي غلب عليه قول الشعر فاشتهر به، وقدم عند الملوك وعاش حتى ناهز التسعين، فهو كيس لطيف، خرج من الموصل عام ٦١٩هـ وكانت ولادته عام ٥٣٣هـ ووفاته عام ٦٢٢هـ.

فقال السُّهيلي:

[الكامل]

لـــمّـــا أجــابَ بِلا طــمــعتُ بــوصــلهِ
إذ حـــرفُ لا حـــرفـــان مُـــعْـــتـــنِــقـــانِ
وكـــذا نَـــعَمْ بِـــنــعــيم وصْلٍ آذنتْ
فـــنـــعمْ ولا في الحـــكم مــتَّـــفــقـــانِ

وللبهاء السنجاري[٢]:

[الرمل]

لا تـــقُـــولي لا فـــمــكـــتـــوبٌ عــلى
وجـــهكِ الـــبـــاهـــرِ حُـــسْـــنـــاً نَـــعَمُ
بـــــحــــروفٍ أُبـــــدعتْ من قـــــدرَةٍ
مَـــا جـــرى قطُّ عـــلـــيـــهـــا قَـــلم
نُـــونُـــهـــا الحـــاجبُ والـــعـــين بـــهـــا
طـــرفُكِ الـــســـاحـــر والمـــيمُ الـــفم

ولأبي العتاهية[١]:

[مجزوء الخفيف]

قُبِّحـــتْ لا فإنَّهـــا   صُوِّرتْ صورةَ الجَلَمْ
تقْرِضُ الجاهَ والسَّخا   ءَ، ثُمَّ تأتي على الكرمْ

فكاهة:

---

(١) أبوالعتاهية: هو إسماعيل بن القاسم، وكنيته أبوإسحاق وهو مولى لعنزة، ويرمى بالزندقة مع كثرة أشعاره في الزهد والمواعظ وذكر الموت والحشر والنار والجنة، والذي يصح لي -كما يقول ابن المعتز في طبقاته- أنه كان ثنويًا (أي من يقولون بأن الإله اثنان إله الخير وإله الشر) كان من الشعراء المطبوعين، كاد يكون كلامه كله شعرًا، وغزله لين جدًا مشاكل لكلام النساء، ربما قال شعرًا موزونًا ليس من الأعاريض المعروفة كما يقول المبرد... تعلق بجارية اسمها عتبة، وهي جارية لرائطة بنت أبي العباس السفاح... كان أبوالعتاهية قديماً يبيع الجرار في سوق الكوفة ثم تأدب فارتفع بأدبه... وأخباره كثيرة، انظر: طبقات الشعراء لابن المعتز، ص٢٢٨-٢٣٤ ، والموشح للمرزباني، ص٣٩٥-٤٠٧، والشعر والشعراء لابن قتيبة، ص٧٦٥، والأغاني، ج٣، ص١٢٦ ، وتاريخ بغداد، ج٦، ص٢٥٠ .

كتب أحد الأدباء بمُرسية إلى فتى وسيم من أعيانها كان يلازم حانوت بعض القضاة بها للتَّفقه عليه بأبيات في غرض فراجعه عنه القاضي المذكور وهوأبوالعباس أحمد بن سعيد بهذين البيتين:

مـا لـلـمـحبِّ لـديَّ غـيـرُ صـبـابـةٍ
تـقـضـي عـلـيـه ولـوعـةٌ وغَـرَامُ

فَدَعِ الـطـمـاعةَ واسـتـرحْ بـالـيأس من
وصلٍ عـلـيـكَ إلى المـمـات حـرام.

وقال أبوبكر الصُّولي[1] أخبرني صديق لي قال: رأيت ببغداد خالداً[2] الكاتب وهو يخاطب غُلامًا وضيَّاويقول له:

[السريع]

مـا حـان أن يـرحـمـني قـلـبُكْ

فقال الغلام: لا، فقـال خالـد:

حـتى مـتى يـلـعب بي حـبُّك؟

فقال الغلام: أبدًا، فقـال خالـد:

وكم أقـاسي فـيكَ جُـهـدَ الـبَلا؟

فقال الغلام: حتى تموت، فقال خالـد:

لا كـان ذا يـا سـيـدي حـسـبك

فقال الغلام: بلى، فقال خالـد:

لا أعـدمَ الـلـهُ فـؤادي الـهـوى؟

(١) أبوبكر الصولي: محمد بن يحيى بن عبدالله بن عباس بن صول تكين، الكاتب المعروف بالصولي الشطرنجي (٢٩٩ – ٣٩٤هـ/ ٩١٢ –١٠٠٤م)كان ذا نسب، وكان أهله ملوك جرجان ومن دعاة بني العباس، ما تذكره لنا الكتب من تصانيفه كثير يبلغ قرابة أربعين كتابًا معظمها في أخبار الشعر، مثل كتاب الأوراق، وأخبار الشعراء، وأخبار القرامطة، كما جمع ورتب دواوين كثيرة. انظر: أخبار أبي تمام للصولي،و معجم الشعراء للمرزباني، ص٤٦٥.

(٢) قيل كان في صباه مخنثًا يصحب المغنين والمخنثين ويتوسل بعمر بن أبي ربيعة والنساء، كان أبوه عند حبيب بن مسلمة الفهري وكاتَب له وكان مفوَّهًا وذلك في خلافة عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه، وقيل عام١٢٦هـ.

فقال الغلام: آمين، فقال خالد:

يوماً ولا جرَّبه قلبُك

فقال الغلام: قد فعل الله ذلك، فقال خالد:

إن كان ربّي قد قضى بالهوى

فقال الغلام: وما عليّ أنا، فقال خالد:

وشدةِ الحبّ فما ذنبُكْ

فقال الغلام: سلْ نفسكَ يا فضولي

قال الراوي: فقلت للغلام أما تتَّقي الله في خلّة هذا الرجل ؟ فقال: فديتك هوكل فتى يَلْقَى يقول له مثل ذلك.

مُذهَبَة:

[الطويل]

[تجمَّعْتُمُ من كلِّ أوْبٍ ووجْهَةٍ
على واحدٍ لا زلتُمُ قرْنَ واحِدِ][1]

وحُكي أن الحطيئة[2] الشاعر أراد سفرًا فقالت له امرأته: متى نراك قافلاً: فأنشدها

(١) هذا البيت لا وجود له في مخطوط (ب.ح) ص٤٦ ومثبت فقط في مخطوط (ز.س.خ) ص٩٦ ويظهر أنه زائد لا يتماشى مع سياق المُذهَبَة التي من المفترض أن تبدأ بسرد حكاية كما هو في سياق مخطوط (ب.ح)

(٢) الحطيئة: هو أبومليكة جرول بن أوس بن مالك بن جؤية بن مخزوم بن مالك بن غالب بن قطيعة بن عيسى بن بغيض بن ريث بن غطفان العبسي أحد الشعراء المخضرمين المعروف بالحطيئة، نشأ ناقمًا على البشر فتسلط عليهم بلسانه الحاد وصار يتكسب بشعره وهو القائل «ومن يُعط أثمان المحامد يحمد» أو:

سُئلتَ فلم تبخل ولم تعط طائلاً
فسيّان لا ذمٌّ عليكَ ولا حمدُ

انظر: الأغاني، ج٢، ص١٣٠،١٦٩.

أدرك خلافة عمر بن الخطاب (ض) فسجنه لهجائه المقذع فاستعطفه الحطيئة بشعر رقيق فعفا عنه، توفي الحطيئة عام ٥٩هـ وقد جاوز الثمانين من عمره، له ديوان شعر ضخم متنوع الأغراض، ويعتبر من محككي الشعر الذين ينتمون إلى مدرسة أوس بن حجر وزهير بن أبي سلمى، صنفه ابن سلام في طبقاته نظرًا لشاعريته المتميزة في الطبقة الثانية من فحول الجاهلية جنباً إلى جنب مع أوس بن حجر وبشر بن أبي خازم وكعب بن زهير، انظر: طبقات فحول الشعراء لابن سلام، ص ٨١.

[الكامل]

عُـدِّي الـسـنـينَ إذا هـممتُ بـغـربـةٍ
ودعي الـشـهـورَ فـإنّـهنَّ قِـصـارُ

فقالت له امرأته:

[الكامل]

اذكرْ صـبـابـتَـنـا إلـيكَ وشـوقَـنـا
وارحمْ بـنـاتِكَ إنَّـهن صِـغـارُ

فحطّ راحلته وقعد عن سفره.

فكاهة:

مرِض أبوالعباس المُبرِّد فأتاه أبوالعبَّاس ثعلب[(١)] وأصحابه عائدين له فلم يأذن لهم المُبرِّد في رؤيته لِما كان بينهما، وقيل لهم ليس بحاضر، فتناول ثعلب قطعة من خزف وكتب على بابه:

[المتقارب]

وأعـجبُ شيءٍ سـمـعـنـا بهِ
مـريضٌ يُـعـادُ فلا يُـوجَـدُ !

حُكِيَ أن أحد الأدباء قال يومًا لصبيٍّ وسيم رآه يبصق في الأرض:

[الوافر]

أَتَـمْـنَعُ ريـقَكَ المـعـسـولَ مـنَّـا
وأنتَ عـلى الـتـراب به تجُـودُ!

فأجابه الصبي ارتجالاً:

(١) أبوالعباس ثعلب: أحمد بن يحيى بن يزيد بن سيار النحوي الشيباني بالولاء المعروف بثعلب (ولاؤه لمعن بن زائدة الشيباني) إمام الكوفيين في النحو واللغة، ثقة حجة مشهو ر بالحفظ وصدق اللهجة ورواية الشعر القديم (ولد عام ٢٠٠هـ وتوفي عام ٢٩١ هـ) ببغداد في خلافة المكتفي أبي عمر علي بن المعتضد ودفن بمقبرة باب الشام ببغداد، قال فيه المبرد: «أعلم الكوفيين ثعلب» من تصانيفه: «مجالس ثعلب» و«اختلاف النحويين» و«إعراب القرآن»، و«قواعد الشعر» تحقيق وتقديم الدكتور رمضان عبدالتواب، القاهرة، ١٩٦٦. . . إلخ، انظر: مجالس ثعلب، شرح وتحقيق

[الوافر]

وأنتَ لـو اقـتـصـرتَ عـلـيه جُـدْنـا
ولــكنْ نــحن نــعــلـم مــا تُــريــدُ؟

مُذهَبَة:

قال بعض شعراء المتأخرين:

[الخفيف]

يــا هلالاً في الــبُــعْــد والإشــراقِ
وغـــزالاً في الجِـــيـــد والأحـــداقِ
فـيكَ أصـبـحتُ بــين ضـدّين فـالـنَّـا
رُ بــقـــلــبي والمـــاءُ من آمـــاقي
لــذّ فــيكَ الــغــرامُ وهــو فــظــيعٌ
وحلا الــوجــدُ وهـــو مُـــرٌّ المــذاق
اجــتــهــدْ غــيــرَ آثمٍ فـي عــذابي
واسـقـني لـلـجـوى بـكـأسٍ دِهـاق
واقضِ قــبل الــفـراقِ مــا أنتَ قــاضٍ
وأجــرني من هــول يــومِ الــفــراق

ولابن صردر[1] من المشارقة:

[السريع]

أيــتــهــا الــنــفسُ إلــيه اذهــبي
فــحــبُّه المــشــهــور من مَــذهــبي

---

(١) اسمه غير واضح في المخطوطتين يبدو أنه ابن صرد.
(٢) غير واضحة ولعلها أيأسني التوبة.
(٣) سبق التعريف به.

مُــفــضّــضُ الـــثَّـــغـــرِ له نـــقـــطـــةٌ
من عـــنـــبـــرٍ في خـــدّه الـــمُـــذهب
أيـــأســـني[٢] الـــتـــوبـــةَ من حـــبِّهِ
طـــلـــوعُه شـــمـــسًـــا من المـــغـــرب

وقال أبوالحكم مالك ابن المُرحَّل المَالقي[٣]:

[الرمل]

مَـــذهـــبي تـــقـــبـــيلُ خـــدٍّ مُـــذهبِ
ســـيِّـــدي مـــاذا تـــرى في مـــذهـــبي
لا تُـــفـــنِّـــد مـــالـــكًـــا في رأيـهِ
فـــبه يـــأخـــذ أهـلُ المـــغـــرب

فضحك ابن المدبِّر واستظرفه وأحسن صلته وقال له: مِنْ أَيْن أخذت هذا؟ فقال[١]: من قول أبي تمام الطائي[٢]:

[الكامل]

هنَّ الحَـمـامُ فـإنْ كُـسـرنَ عِـيـافـةً
من حـــائـــهنَّ فـــإنَّـــهن حِـــمـــامُ[٣]

(١) جاء في مخطوط (ب.ح)ص٤٦ «قال» عوض «فقال» كما هو مثبت في المخطوط (ز.س.خ) ص٩٨.

(٢) هو أبوتمام حبيب بن أوس الطائي مولده كما يقول الصولي في أخبار أبي تمام سنة١٩٠هـ ومات بالموصل في المحرم سنة٢٣٢هـ. ثم يقول حدثني أبوسليمان النابلسي قال: قال تمام بن أبي تمام مولد أبي سنة ثمان وثمانين ومائة (١٨٨هـ) ومات سنة إحدى وثلاثين ومائتين (٢٣١هـ) انظر: أخبار أبي تمام للصولي، ص٢٧٢-٢٧٣، وانظر: الموشح للمرزباني، ص٤٦٤، وطبقات الشعراء لابن المعتز، ص٢٨٣.

(٣) لعل أخذه من أبي تمام المقصود به اللعب على الجناس (مَذهبي ومُذهبي) ولدى الطائي (الحَمام والحِمام الذي هو الموت).

(٤) محمد بن يحيى بن أبي طالب بن محمد بن أحمد العزفي اللخمي: من أسرة آل العزفي، وقد سبق التعريف بهذه الأسرة.

(٥) ورد في مخطوط (ب.ح) ص٤٦ العلا بدون همزة وحتى يستقيم الوزن لا بد من إضافة الهمزة.

وألفيت بخط محمد بن يحيى بن أبي طالب بن محمد بن أحمد العَزَفي اللَّخمي[٤] والي سبتة قال:كنت أقرأ على الخطيب الصالح أبي عبدالله الغُماري الصَّدفي رحمه الله فأبطأ عنه المرتَّب مرّة فدعاني وقال لي: إنيِّ نظمت بيتين من الشعر في قضية مُرتّبي فعسى أن تحفظها وتنشدهما للسيّد والدك، ففعلتُ ما أمرني به وأنشدتهما والدي فأمر له بالمرتَّب للحين وهما:

[الوافر]

أيا شمسَ العَلاء[٥] نداءَ عبدٍ
يلوذ بذيل مجدكَ في الهباتِ
أُقدَّمُ في الصَّلاة إمامَ قومٍ
فما بالي أُؤخَّر في الصِّلات[١]

ودخل شاعر على بعض الرُّؤساء فأنشده شعراً مدحه به فلم يُجزِه، ثم دخل عليه حجَّام فأمر له بجائزة، فقال الشاعر في ذلك:

[الوافر]

أرى من جاء بالموسى يُواسى
وراحةُ ذي القريضِ تروح صفْرا
فهذا مُنجَحٌ إن قصَّ شَعْرًا
وهذا مُخفِقٌ إن قصَّ شِعرا

(١) هناك جناس غير تام بين الصلاة والصلات وهي الأعطيات.
(٢) المقصود هو علي بن عبدالرحمن بن هذيل الفزاري صاحب هذا المخطوط.
(٣) أي مأبون.
(٤) الاست: الدبر.
(٥) جمع أير وهو العضو التناسلي أوالذكر.

فكاهة:

أنشدتُ[٢] لأحد الشعراء في رَجل أَبخر متَّهم بالأُبْنَة[٣]:

[الخفيف]

بَـخَـرٌ مـا يـحـيك فـيه الـبـخـورُ
حـسـدَ الـغـائـبـين عـنه الـحـضـورُ
قـلتُ لـمَّـا قـسـا بـفـيه عـلـيـنـا
مـا له استٌ[٤] فـكـذّبـتـني الأُيـورُ![٥]

ولابن خفاجة[١]:

[الكامل]

مـا إن سـمـعتُ ولا رأيتُ غـريـبـةً
كـأبي فلانٍ ضـلَّـةً في شـانهِ
قـالـوا الـعِـذارُ: وإنمـا في قـعـرهِ
لـهبٌ يُـسـوِّد وجـهَه بـدخـانهِ[٢]

وبلغته رقعة هِجاء من بعض الفتيان[٣] فقلَّب الرُّقعة وكتب على ظهرها:

[الكامل]

ومُـعـرِّضٍ لي بـالـهـجـاءِ وهـجـرهِ
جـازيـتُه عن شِـعـره في ظَـهـرهِ
فـلـئن نـكُنْ بـالأمْسِ قـد لُـطْـنَـا بهِ

---

(١) سبق التعريف به.
(٢) لا وجود للبيتين في ديوان ابن خفاجة تحقيق الدكتور السيد مصطفى غازي رغم شموليته.
(٣) ورد في الديوان ص ٣٥٢: وكتب إليه ابن دراج النحوي شعراً يعرض فيه بسببه فوقّع على ظهر رقعته وقال البيتين.
(٤) ورد البيتان في الديوان بالرواية نفسها ، ص٣٥٢.
(٥) الحلس: ما يوضع على ظهر الراحلة.
(٦) القتب: الرحل، جمع أقتاب.

فـالـيـومَ أشـعـاري تَـلـوطُ بـشِـعـره(٤)

مُذهَبَة:

رويَ أن رجلاً من الأعراب كانت له بنت عم، وكان بـها مُـتيمًـا، فـأتلف مـاله، فـلمَّا خطبها إلى أهـلـها قـالوا له: إن كان عندك أربـعة آلاف درهم وإلَّا فلا، فلـما رأى النَّاس يخطبونها اشتدَّ ذلك عليه، فركب ناقته ثم قصد باب عبدالملك بن مروان، فلمَّا صار في بعض الطريق ماتت ناقته، فحمل الحِلس(٥) والقتب(٦) على رأسه ثم وقف بالباب، فلمًّا خرج الإذن بالدخول على أمير المؤمنين وأُذِنَ للعامة من ذوي الحوائج، دخل الأعرابي، فلمًّا بصر به عبدالملك قال: ما شأنك يا أعرابي؟ فأنشأ يقول:

[البسيط]

مـاذا يـقـول أمـيـرُ المـؤمـنـين لمن
أدلى إلـيـكَ بلا قُـربى ولا نـسبِ
مُدَلّهَ(١) الـعقل، مشـغـوفًـا بـجـاريـةٍ
مـوصـوفـةٍ بـكـمـال الـعـقل والأدب
خـطـبـتُـها ورأيتُ الـنـاسَ قد رغـبـوا
فيها وبعضُ الهوى يدعُو إلى العطب
فـقـلـتُ: لي حَـسَـبٌ ذاكٍ ولي أدبٌ
قالـوا: الدراهمُ خـيـرٌ من ذوي الحسب
إنَّـا نُـريـد الـوفـا مـنكَ بـأربـعـةٍ
ولـستُ أمـلك غـيـرَ الحِلسِ والـقَـتَبِ
فـالـبـعضُ يُـعـجَب منِّي حـين أخطبها
حـقّاً، ويـضـحك إفلاسي من الـعجبِ
فـامنُنْ عـليَّ أمـيـرَ المـؤمـنين بـها
واشددْ بـها قـلبَ هذا الـيائسِ العَزَبِ

(١) مدله العقل: ساهي القلب من دله دلهًا ودلوهًا، وتدلّه، ذهب عقله من همٍّ ونحوه.

فـــمـــا وراءكَ بـــعـــد الـــلـهِ من وَزَرٍ
أرجـوه يـا ابنَ الـكِـرامِ الـسادة الـنُّجُبِ

فـأمر له عـبدالملك بنـاقة وسـيف وعشـرة آلاف درهـم،فتزوَّج الجـارية بـأربعة آلاف وعاش معها في البقية. قال بعضـهم:

[الطويل]

ولـم أرَ مـثلَ الـفـقـرِ أوضعَ لـلـفــتى
ولـم أرَ مـــثلَ المـــالِ أرفعَ لـــلـــنَّـــذلِ
ولم أرَ عـــزًّا لامـــرئٍ كـــعـــشـــيـــرةٍ
ولـم أرَ ذلاًّ مـــــثـلَ نـــــاءٍ عن الأهـل
ولـم أرَ من عُـــدْمٍ أضـــرَّ عـــلى امـــرئٍ
إذا عاش بـين الـنـاسِ من عدم الـعقـل

نزل حسان بن ثابت[1] ذات ليلة من أُطُمه[2] فجعل يُنادي: يا للخزرج، فاجتمعوا إليه وقالوا: ما شأنك يا ابن الفُرَيْعَة ؟ فقال: بيت قلته أحببتُ أن تسمعوه:

[الخفيف]

رُبَّ حِـــــلـمٍ أضـــــاعه عـــــدمُ المـــــا
لِ وجـهلٍ غـطّى عـلـيه الـنَّـعـيمُ[3]

(١) سبق التعريف به.

(٢) أطمه: من الأطم جمع آطام القصر أو الحصن المبني بالحجارة أو كل بيت مربع مسطح.

(٣) يوجد هذا البيت ضمن قصيدة قالها يذكر فيها أصحاب اللواء يوم أحد ومطلعها:

مـنعَ الـنـومَ بـالـعـشـاء الـهـمـومُ
وخـيـــالٌ إذا تـــغـــور الـــنـــجـــومُ

وأورد البرقوقي في شرحه قائلاً: «يُحكى أن حسان صاح قبل النبوة فقال: يا بني قيلة فجاءه الأنصار يهرعون إليه، وقالوا ما دهاك؟ قال: قلت الساعة بيتًا خشيت أن أموت فيدعيه غيري، قالوا هاته: فأنشدهم هذا البيت، شرح ديوان حسان، ص٤٣٤ .

(٤) جاء في مخطوط (ب.ح) فأنشد ذات يوم قول مولاها، وكذلك في مخطوط (ز.س.خ) ص١٠١.

وقال بعضهم:

[الطويل]

وكلُّ مُقلٍّ حين يغدُو لحاجةٍ
إلى كلِّ من يلقى من الناس مُذنبُ
وكان بنوعمِّي يقولون مرحباً
فلمَّا رأوني مُعْدِماً مات مرحب

قال إبراهيم الشيباني: رأيتهما في جدار بيت المقدس مكتوبين بالذهب. حدَّث محمد بن سلاَّم قال: كان لكثيِّر بن عبدالرحمن صاحب عزَّة غلام تاجر، فأتى الشام بمتاع يبيعه، وأرسلت عزَّة امرأة تطلب لها ثيابًا، فرفعت إلى غلام كُثيِّر وهي لا تعرفه، فابتاعت منه حاجتها،ولم تدفع إليه الثمن، فكان يختلف إليها مقتضيًا، فأُنشد ذات يوم قول مولاهُ(٤):

[الطويل]

قضى(١) كلُّ ذي دَينٍ فوفَّى غريمَهُ
وعزَّةُ ممطولٌ معنّىً غريمُها

فقالت له المرأة التي ابتاعت منه الثِّياب: فهذه والله دار عزَّة ولها ابتعتُ منك الثياب! قال: فأنا والله غلام كُثيِّر فأُشهدُ الله أنَّ الثياب لها وأنِّي لا آخذ من ثمنها شيئًا، فبلغ ذلك كُثيِّر. فقال: وأنا أشهد الله أنه حرٌّ وأنَّ ما بقي عنده من المال فله!!. (٢)

فكاهة:

---

(١) جاء في مخطوط (ز.س.خ) ص١٠١ «أرى» بدل «قضى» ... وكذلك في مخطوط (ب.ح)، ص٤٨ .

(٢) ذكرت هذه القصة في الأغاني بروايات مختلفة منها: «أن كثيِّرًا كان له غلام تاجر فباع من عزة بعض سلعه، ومطلته مدة وهو لا يعرفها، فقال لها يومًا: أنت والله كما قال مولاي:

قضى كلُّ ذي دينٍ فوفّى غريمه وعزّةُ ممطولٌ مُعَنّىً غريمُها

فانصرفت عنه خجلة فقالت له امرأة: أتعرف عزة؟ فقال لا والله، فقالت: فهذه عزة، فقال: لا جرم والله، لا آخذ منها شيئًا أبداً ولا أقتضيها، ورجع إلى كثير فأخبره بذلك فأعتقه ووهب له المال الذي كان في يده، الأغاني، ج٩، ص٢٧، وانظر حول كثير: الموشح للمرزباني، ص٢٢٧-٢٤٩ .

(٣) رواية الأغاني تقول: «فأمر بها – أي عبدالملك – فأدخلت – أي عزة – على عاتكة بنت يزيد والتي تسمى بنت الخلائف، وفي غير هذه الرواية أنها أدخلت على أم البنين بنت عبدالعزيز بن مروان فقالت لها: أرأيت قول كثيِّر (البيت) ما هذا الذي ذكره؟ قالت: قبلة وعدته إياها: قالت أنجزيها وعلي إثمها، الأغاني، ج٩، ص٢٧ .

دخلت عزَّة يوماً على أمِّ البنين زوجة عبدالملك بن مروان فقالت لها: أخبريني عن قول كُثيِّر:

[الطويل]

قــضى كلُّ ذي دينٍ فــوفَّى غــريمَهُ
وعــزَّةُ ممــطـولٌ مُـعـنّىً غـريمُـهـا

ما هذا الذي يطلبك به يا عزة؟ قالت: وعدته بقُبلة فحَرجت منها، فقالت: أنجزيها وعليَّ إثْمُها(٣) ، قال الشاعر:

[البسيط]

جسَّ الـطـبـيبُ يـدي يـومـاً فـقـلـتُ لَهُ:
إلــيكَ عَــنِّي فــهــذا يــومُ بُــحْــرَانِ
فـــقـــام من بـــين عُـــوَّادي وقـــال لـــهم:
إنــســانُ سُــوءٍ فـداووه بــإنــســان

مُذهبَة:

اجتاز بعض الغلمان على أبي بكر بن يوسف فسلَّم عليه بإصبعه فقال أبوبكر في ذلك وأشار في البيت الثالث إلى أن والد الغلام كان خطيب البلد:

مــرَّ الــغــزالُ بــنــا مَــرُوعــاً نــافـراً

---

(١) أبوالحسن بن الجياب: يقول عنه ابن الخطيب شيخنا الرئيس أبوالحسن علي بن محمد بن علي بن سليمان بن الجياب الأنصاري، ولد بغرناطة في جمادى الآخرة عام ثلاثة وسبعين وستمائة ٦٧٣هـ١٢٧٤/م وتوفي ليلة الأربعاء الثالث والعشرين من شوال عام تسعة وأربعين وسبعمائة ٧٤٩هـ١٣٤٩/م ودفن بباب ألبيرة (**Puerta de Elvira**)بغرناطة. أكثر ابن الخطيب من الثناء عليه والاعتزاز بأستاذيته فيقول في الكتيبة الكامنة: هو شيخ الجميع وقدوتهم ومن أخذ بيد الجيل إلى طريق المستقبل، وهو العالم المتبحر الجوال في شتى صنوف العلوم، وهو كالشمس تلقي على النجوم شعاعها... هو المثل السائر في بعد الصيت والهمة، الكتيبة الكامنة، ص١٨٦ ، من أبرز مؤلفاته: ديوان شعر لا يزال مخطوطًا بدار الكتب المصرية بالقاهرة تحت رقم (أ ب ٢٤٢٤.) ونشرت المستشرقة الإسبانية ماري خيسوس روبييرا ماطا ديوانه، أو ما تمكنت من جمعه في المصادر، كما ترك كتابًا اسمه دوح الشجر وروح الشعر، وجمع له ابن الخطيب مجموعة من المقالات والأشعار وسماها «تافه من جم ونقطة من يم» انظر: الإحاطة، ج٤،ص١٤٧، وترجم له ابن الخطيب ترجمة ضافية في الإحاطة، ج٤، ص٣٥٢–٣٨٤، وكذا في الكتيبة الكامنة، ص١٨٣–١٩٣، وورد ذكره في نفح الطيب، ج٧، ص٣٥٢–٣٨٤، كما ذكره الأمير إسماعيل في نثير فرائد الجمان، ص٣٣٩–٣٤٢.

كـشـبـيــهه في الـقـفـر رِيعَ بـصـائِدِهْ
لَــثمَ الــسُّلامى في الــسلام تَــســتُّــرًا
ثم انــثــنى حــذرَ الــرقـيبِ لــراصِده
هلاّ تـــكــلّفَ وقـــفـــةً لـــمُـــحِـــبِّـهِ
ولَــوَ انَّــهـا قِـصَـرًا كـجـلـسـة والِـده

دخل مسلمة بن زيد بن وهب على عبدالملك بن مروان فقال له عبدالملك:أيّ الزمان أدركت أفضل، وأيّ الملوك أكمل ؟ قال: أمَّا الملوك فلم أر إلَّا حامداً أو ذامًا، وأمَّا الزَّمان فيضع أقوامًا ويرفع آخرين، وكلُّهم يذم زمانه لأنه يُبلي جديدهم، ويفرّق عَديدهم، ويُهرم صغيرهم، ويُهلك كبيرهم، وللشيخ أبي الحسن الجيَّاب(1):

[الطويل]

أرى الـــدَّهــرَ في أطــواره مُــتــقــلِّــبــاً
فلا تــأمــنَّ الــدَّهــرَ يــومــاً فــتُــخــدعــا
فــمــا هــو إلَّــا مــثلُ مــا قــال قــائلٌ:
(مِـكـرٍّ مِـفَـرٍّ مُـقـبلٍ مُـدبـرٍ مـعـا)(1)

قال محمد بن يزيد بن عُمر بن عبدالعزيز:خرجت مع مُوسى الهادي أمير المؤمنين(2) مِن جُرجان فقال لي:إمَّا أن تحملني،وإمَّا أن أحملك ؟ فقلت:ما أراد، فأنشدته:

[الطويل]

عـلـيـكم بـتـقـوى الـلـهِ في كلِّ حــالـةٍ
وأحــســابــكم، والـــبِــرُّ بــالأب أوّلــوا

(1) تضمين لشطر شعري من بيت من معلقة امرئ القيس.

(2) موسى الهادي أمير المؤمنين: هو الهادي أبو محمد موسى بن محمد المهدي، بويع في غرة صفر سنة تسع وستين ومائة ١٦٩هـ وهو ابن أربع وعشرين سنة وتوفي في منتصف ربيع الأول سنة سبعين ومائة١٧٠هـ.

(3) الأفوه الأودي: هو الأفوه لقب واسمه صلاءة بن عمرو بن مالك بن عوف بن الحارث بن عوف بن منبه بن أود بن الصعب بن سعد العشيرة... كان يقال لأبيه عمرو بن مالك فارس الشوهاء (اسم لفرسه)... كان الأفوه الأودي سيد قومه

وإنْ قومُكم سادُوا فلا تحسدوهُمُ
وإن كنتُمُ أهلَ السِّيادةِ فاعدلوا
وإن أنتُمُ أعوزْتُم فتعفَّفوا
وإن كان فضلُ المالِ فيكم فأفْضِلُوا

فأمر لي بعشرة آلاف درهم، وقال معاوية لعبدالله بن الزبير: أنشدني ثلاثة أبيات من الشعر، فقال على أن تأمر لي بثلاثين ألف درهم؟ قال معاوية:وتساوي فقال: أقول وتسمع فإن سَوَّت وإلّا فلا، وأنشده للأفْوه الأودي[٣]:

[الوافر]

بلوتُ الناسَ قَرْناً بعد قرنٍ
فلم أرَ غيرَ ختَّالٍ وقالِ
ولم أرَ في الخُطوب أشدَّ وقعاً،
وأصعبَ من مُعاداة[١] الرِّجال
وذقتُ مرارةَ الأشياءِ طُرّاً
فما شيءٌ أمرُّ من السُّؤال

ثمَّ قال له عبدالله: تُساوي ؟ قال: نعم:فأمر له بها.

فكاهة:

قال بعض الشعراء وقد نُدِبَ إلى التزوُّج:

[الرمل]

قال لي خِلٌّ تزوَّجْ تستَرحْ؛
من أذى الفقرِ، وتستغني يقينا
قلتُ: دَعْ نُصحكَ واعلمْ أنَّني
لم أضِعْ بين ظهورِ المسلمينا

---

(١) وردت في مخطوط (ب.ح)، ص٤٩ معاداة بالتاء المفتوحة.

وقال آخر في غلام تولّى الكتابة:

[مجزوء الكامل]

ولـــيَ الكِتابةَ كـــاتبٌ ... ألغنجُ من حـــركاتِهِ
أقْلامُـهُ مـــن غـــيره ... ودواتُه من ذاتـــه !

مُذهبَة:

قال الشاعر:

[الكامل]

صــاحبْ خِـيــارَ الـنــاسِ واعــلمْ أنّهُ
من يـصـحبِ الأشـرافَ يـومًا يَـشْرُفِ
أوَمـا تـرى الجِـلـدَ الحـقـيـر مُـقـبَّلاً
لــمَّــا أقــامُـــوهُ غِــشــاءَ المـصـــحفِ

ولبعضهم في ضدِّ هذا المعنى:

[السريع]

صــاحبْ أخـا الـيُـسرِ لـتـسـطـو بهِ
يـومـاًعـلـى بـعض صُـروف الـزمـانْ
فـــالـــرّمحُ لا يُـــرهب أنـــبـــوبُه
إلّـــا إذا رُكِّب فـــيـه الـــسِّـــنـــان

حدثني عمِّي محمد(١) شقيق والدي رحمهما الله قال: أوَّل يوم جلستُ في حلقة سيِّدي الشيخ أبي إسحاق بن أبي العاص(٢) للقراءة عليه، والأخذ عنه، والتبُّرك به أنشدني

(١) هو أخو والد علي ابن هذيل الفزاري مؤلف هذا المخطوط.

(٢) أبوإسحاق بن أبي العاص: من شيوخ علي ابن هذيل .

(٣) البيتان لعدي بن زيد العبادي، انظر من حوله: طبقات فحول الشعراء لابن سلام، ص١١٧، والموشح للمرزباني، ص١٠٢، والأغاني، ج٢، ص٨٠.

ثلاث مقطعات من الشعر، وقال لي: احفظها، وتأدَّب بها، الأولى:

[الطويل]

عَنِ المـرء لا تـســأَلْ وسلْ عن قـريــنهِ
فـكلُّ قــرينٍ بــالمـقـــارن مُـقــتـدي
وصاحبْ أُولي الـتقوى تنلْ من تُقاهمُ
ولا تـصحبِ الأرْدى فتَردى مع الرَّدي(٣)

الثانية:

[الكامل]

إيــاكَ من زلل الــلِّــســانِ فــإنَّــمــا
عــقلُ الــفـتى في لـفـظه المـســمــوعِ
والمـرءُ يــخــتــبــر الإنــاءَ بِـنَــقْـرِه
لـيـرى الـصـحـيحَ به من المـصـدوع

الثالثة:

[الخفيف]

قـد يـجـدُّ الحـريصُ في طـلب الـرِّزْ
قِ، فـيـشـقى،ويُـرزَق المـســتـريحُ
ويُـعـاد الـعـلـيلُ حـيـنـاً منَ الـدَّهْـ
ـرِ، فـيَـبـرى وقـد يمـوت الـصـحـيح

وصحِبَ بعضهم يهوديًّا فكتب إليه أحد الشعراء:

[الطويل]

(١) المقصود النبي صلى الله عليه وسلم.
(٢) سبق التعريف به.

تـنـبَّهْ أبـا بـكـرٍ وحـاشـاكَ أن تُـرى
صـديـقًـا لأفَّـاكٍ يُـكـذِّبُ «أحـمـدا»[1]
إذا نـحـن والـيْـنَـا عُـدَاةَ نـبـيِّـنـا
فـكـيف إذاً نـرجُـو شـفـاعـتَه غـدا!

وقال أبوالعتاهية[2]:

[الطويل]

أيـا ربِّ إنّ الـنـاسَ لا يُـنـصـفـونـني
وإن أنـا لـم أُنـصـفـهـمُ ظـلـمـوني
وإن كـان لي شيءٌ تـصـدَّوا لأخـذهِ
وإن جـئتُ أبـغي شـيَّـهم مـنـعـوني
وإن نـالـهم بـذلي فلا شُـكـرَ عـنـدهم
وإن أنـا لم أبـذلْ لـهم شـتـمـوني
فـإن طرقـتـني نـكبـةٌ فـرِحُوا بـهـا
وإن صَـحِـبـتْـني نِـعـمـةٌ حـسـدوني
سـأمـنع قـلـبي أن يـحـنَّ إلـيـهمُ
وأحـجب عـنـهم نـاظـري وجـفـوني[1]

فكاهة:

قال الشاعر فيما يظهر من المعنى:

---

(١) وردت هذه المقطوعة مع اختلاف طفيف في الرواية، ضمن قصيدة لأبي العتاهية مطلعها:
لقد طال يا دنيا إليكِ ركوني   وطال لزومي ضلّتي وفنوني
انظر: ديوان أبي العتاهية، نشر دار بيروت، ١٩٨٦، ص٤١٥ .
(١) الجدث: القبر.
(١) قد محذوفة في مخطوط (ب.ح) ص٥١ ومثبتة في مخطوط (ز.س.خ) ص١٠٧.

[البسيط]

لي صاحبٌ عند ضُرِّي مُسرعٌ عجِلٌ
وعند نَفْعي بطيءٌ ليس ينبَعِثُ
إذا انتحى فرياحُ النجوِ عاصفةٌ
ومن أحاديثه يُستنشَق الحدثُ
لسانُه ميّتٌ والثغرُ أعظمُهُ
وريقُ فِيهِ صديدٌ والفمُ الجدثُ(٢)

سمِعَ أعْرابيٌّ رجلاً في الطَّواف يقول: اللَّهُمَّ إنِّي قَدْ(٣) أعتقتُ جاريتي وغُلامي لِوجهك، فقال الأعرابي: اللَّهُمَّ إنِّي ليْس لي خادم، ولا غُلام فأعتقهما غير أنَّ لي امرأة ولها في صُحبتي ثلاثون سنة هي طالق البتَّة لوجهك!

مُذهَبَة:

لما دخل أبوجعفر المنصور المدينة قال للرّبيع:[ابغني رَجُلاً عَاقلا عالماً بالمدينة ليقِفَني على دُورها فقد بعُد عهدي بديار قومي، فالتمس له الربيع رجلاً من أعلم الناس بذلك، وأعقلهم، فكان لا يبتدي بأخبار حتَّى يسأله المنصور فيجيبه بأحسن عِبارة، وأجود بيان، وأوفى معنى، فأُعجب المنصور به فأمر له بمال فتأخَّر عنه ودعته الضَّرورة إلى استنجازه فاجتاز ببيت عاتِكة(١) بنت يزيد بن معاوية فقال: يا أمير المؤمنين، وهذا بيتُ عاتِكة الذي قال فيه الأحوص بن محمد الأنصاري(٢):

[الكامل]

يا بيتَ عاتكةَ الذي أتَعزّلُ

---

(١) هي عاتكة بنت يزيد بن معاوية وزوج عبدالملك بن مروان، كانت تكنى ببنت الخلائف لشرف نسبها.

(٢) هو الشاعر الأحوص بن محمد بن عبدالله بن عاصم وهو من الأوس، قال عنه الآمدي: إنه الشاعر المشهور المحسن في الغزل والفخر والمدح، انظر: طبقات ابن سلام، ص٥٣٤، الأغاني، ج٤ ، ص٨٤٠، ج٢ ص٢٧٠.

(٣) مذق الحديث: أي يخلط في الحديث.

حـــذرَ الـــعِـــدا وبـه الـــفـــؤادُ مُـــوكَّلُ

ففكَّر المنصور في قوله: وقال لَمْ يخالف عادته بابتداء الإخبار دون الاستخبار إلَّا لأمرٍ؟ وأقبل يُردِّدُ القصيدة، ويتصفَّحُها بيتاً بيتاً حتى انتهى إلى آخر قوله فيها:

[الكامل]

وأراكَ تــفـعـل مــا تـقــول وبــعــضُــهم
مَـذِقُ(٣) الحَـديثِ يـقُـول مـا لا يـفـعل

فقال: يا ربيع، هل وصلت إلى الرَّجل ما أمرنا له به ؟ قال: أخَّرته لعِلَّة ذكرها الرَّبيع. فقال: عجِّله له مضاعفاً، وهذا ألطفُ تعريض من الرَّجل، وأحسن فهم من المنصور. ورُفع إلى أبي جعفر المنصور أن سُوار القاضي يُحابي فأمر بإشخاصه، فلمَّا مثُلَ بين يديه عطس المنصور، وأخفى تحميد الله فلم يُشمّته فعطس ثانية وأظهر التحميد فشمّتَه فقال المنصور:تزعمون أن هذا يُحابي في القضاء، والله ما حاباني في عطستي،وردَّه إلى عمله.

ورويَ أنَّ رجلاً من الأعراب تقدَّم إلى سوّار في أمر فلم يُصادف عنده ما يحب فاجتهد ولم يظفر بحاجته، قال: فقال الأعرابي وفي يده عصا:

[السريع]

رأيتُ رؤيـــا ثُمَّ عـــبَّـــرتُـــهـــا
وكـــنـتُ لـلأحـلام عـــبَّـــارا(١)
بـــأنَّـــني أخـــبط في لـــيـــلـــتي
كـــلـــبًـــا، فـــكـــان الــكـــلـبُ سَـوَّارا

ثمَّ انحنى على سَوَّار بالعصا حتى مُنع منه، قال: فما عاقبة سوَّار؟.

قال الشاعر يهجو قاضيًا:

[الوافر]

---

(١) عبّار: مفسّر للأحلام.

ولــمّــا أنْ تــولّــيتَ الــقــضــايــا
وفــاض الجــورُ من كــفّــيكَ فــيــضــا
ذبــحــتَ بــغــيــر ســكّــينٍ وإني
لأرجــو الــذبحَ بــالــسكّــين أيــضــا

وقال آخر:

[المتقارب]

دعِ الــفــكــرَ في قُــرب مــا يــبــعــدُ
فــمــا حــلّه الــلــهُ لا يُــعــقَــدُ
ولا تحــســبنَّ بــأن الــقــضــاءَ
يــعــود إلــيكَ كــمــا تــعــهــد
فــقــبلَ قــضــائكَ يُــقــضى عــلــيكَ
ودونَ الــشــهــادةِ تُــســتــشــهَــد

وقال بعض المتأخرين:

[الخفيف]

وصــديقٍ شــكــا بمــا حــمّــلــوهُ
من قــضــاءٍ يــقــضي بــســوء الــقــضــاءِ
قــلتُ: فــارددْ مــا حــمّــلــوكَ عــلــيــهم
قــال: من يــســتــطــيع ردَّ الــقــضــاء

مُذهبَة:

قال الأصمعي: ولىَّ معاوية بن أبي سفيان ابنه يزيد خُراسان فبلغه عنه إقباله على اللذّات وإهمال للرَّعية فكتب إليه كتابًا: أمَّا بعد: فإنه قد بلغني عنك ما كنتَ جديرًا بغيره، وقد يعفو ذوالحلم ويزِلُّ ذوالحنكة ثم يعود إلى ما هوأولى به حتى كأنّ أهل زمانه لم

يعرفوه إلَّا بذلك، وقد قُلتُ أبياتًا فالتزمها ولا تتجاوزها فإنَّك إن تجاوزتها عزلتك عن سخط ولم أكلمك حولاً، وكتب في أسفل الرُّقعة:

[السريع]

ادْأبْ نـــــهـــــارًا في طِلاب الــــعُلا
واصــبـرْ عــلـى فـقـدِ لِـقـاءِ الـحـبـيبْ
حـــتى إذا الـــلــــيلُ دنــــا وقــــتُهُ
واشـتـهـرتْ فـيه الـنـجـومُ الـغـيـوب
بــادرْ إلى الـلـهـو بمـا تـشـتـهي
فــإنَّــمــا الــلــيلُ نــهـــارُ الأديب
كم من فــتًى تحــسَــبُهُ نــاسِــكــاً
قـد قـطـع الـلـيلَ بــأمــرٍ عَـجـيـب
غــطّى عــلــيه الــلــيلُ أثـــوابَه
فــبــات في أمنٍ وعــيشٍ خــصــيب
وهِــمّــةُ الأحــمـقِ مـكـشــوفــةٌ
يــنـــالــهـــا كلُّ حــســودٍ رقــيب

ولابن شبرين(١):

[السريع]

---

(١) ابن شبرين: هو محمد بن أحمد... بن عبدالرحمن بن علي بن شبرين(٦٧٤-٧٤٧هـ) يكنى أبا بكر، أصله من إشبيلية من حصن شلب (Silves) من كورة باجة من غربي صقعها، يُعرف فيها بنوشبرين معرفة قديمة، ولي جده القضاء بإشبيلية، وكان من كبار أهل العلم... وانتقل أبوه منها عند تغلب العدو عليها عام ٦٤٦هـ فاحتل رندة، ثم غرناطة ثم انتقل إلى سكنى سبتة وبها ولد شيخنا أبوبكر وانتقل عند الحادثة [أي عزل العزفي] إلى غرناطة فارتسم بالكتابة السلطانية وولي القضاء بعدة جهات ونال مالاً وشهرة حتى جرى مجرى الأعيان من أهلها، شعره كثير متعدد الأسفار كثير الأغراض،. انظر: ابن الخطيب، الإحاطة، ج٢، ص٢٣٩-٢٤٩، ابن الخطيب، الكتيبة الكامنة، ص١٦٦-١٧٢، سلسلة مشاهير المغرب، ص٥ إلى٣٧ .

(١) عنوس: عنس العود عطفه وأماله، ومعناها هنا نضجها قبل أوانها.

قـال الـفـقـيهُ مـقـالـةً ديـنـيّـةً
لـكـنـهـا قـولُ امـرئٍ لا يـعـذرُ
عـجـبًـا لمن يـعـصي الإلهَ جـهـارةً
لـكـنه عن ضـيـفه مُـتـسـتّـر
وجـوابُـه أنَّ الـكـريم إذا رأى
غـفـر الـذنـوبَ، وغـيـرُه لا يـغـفـر!

قال بعضهم: كانوا يستحبون الحنكة للفتى، والصبوة للحَدث، ويكْرهُون التشيّخ قبل أوانه ويشبّهون ذلك بعُنُوس[2] الثمرة قبل نضجها،وإنَّ ذلك لا يكون إلا من ضَرَرٍ بها، فأمتَعُ الإخوان مجلسًا، وأكرمهم عِشرة، وأشدهم حذقًا وأنبهم نفسًا، من لم يكن بالشاطر المتهتِّك، ولا الزَّاهد المتنسِّك، ولا الماجن المتطرّف، ولا العابد المتقشِّف ولكنه كما قال الشاعر:

[الطويل]

فـلـلـنُّـسك مِـنِّي جـانبٌ لا أضـيـعُهُ
ولـلَّـهـوِ مـنِّي والـبـطـالـة جـانبُ

فكاهة:

قال الشاعر:

[مخلع البسيط]

أشـكـو إلى الـلـهِ من أُنـاسٍ
تـشـيَّـخـوا قـبل أن يَـشـيـخـوا
احـدَوْدَبُـوا وانـحـنـوا ريـاءً
فـاحـذرهُمُ إنـهـم فُـخُـوخُ[1]

(١) فخوخ جمع فخ: الشرك حتى يقع فيه

(٢) القطامي: واسمه عمير بن شييم بن عمرو أحد بني بكر ابن حُبيب بن عمرو بن غنم بن ثعلب، كان شاعرًا فحلاً رقيق الحواشي حلو الشعر، طبقات ابن سلام، ص٢٥١.

(٣) ما يلاحظ أن في مخطوط (ز.س.خ) يكتب دائما «البديه» بدل «البديهة»، ص١١٢.

مُذهبَة:

حدّث الأصمعي قال: طلبت حَظيَّة من حظايا المأمون منه حاجةً وألحَّت عليه فيها فأبى أن يقضيها فمضت، فقال متَمثِّلاً بقول القُطامي(٢):

[البسيط]

قـد يـدرك المـتـأنِّي بـعضَ حـاجـتهِ
وقـد يـكـون مع المـسـتـعـجلِ الـزللُ

فلما سمعت الجارية ذلك أنشدته على البديهة(٣) تقول:

[البسيط]

وربّـمـا فـات بـعضَ الـنَّـاسِ أمـرُهمُ
مع الـتـأنّي وكـان الحـزمُ لـوعَـجـلـوا

فاستحسن ذلك منها وأمر بحاجتها فقُضيت للوقت وأجازها.

وتزوّج رجل من العرب امرأة جديدة على امرأة قديمة، فكانت جارية الجديدة تمرُّ على باب القديمة فتقول:

[الطويل]

ومـا يسـتـوي الـثـوبـانِ ثوبٌ بـه الـبِلى
وثـوبٌ بـأيـدي الـبـائـعـين جـديـدُ

---

(١) البيتان لأبي تمام.

(٢) الذي عارض هذين البيتين هو الشاعر أحمد بن أبي حجلة التلمساني الجزائري مولدًا والدمشقي منشأً، مولده سنة ٧٢٥هـ، شاهد بمصر بعد رؤية أبي الهول الأهوال، فصنف كتاب: غرائب العجائب وعجائب الغرائب، وله شعر ونثر جمعه في ديوانه المعروف باسم «ديوان الصبابة» والذي كان سببًا - تقريباً - في تأليف ابن الخطيب لكتاب يشاكله وهو «روضة التعريف بالحب الشريف» إنه القائل:

افخرْ بآخر من كلفتَ بحبّه　　لا خيرَ في حب الحبيب الأوّلِ
أتشكّ في أن النبي محمداً　　ساد البريّةَ وهو آخرُ مرسلِ

كما عارض هذين البيتين الشاعر ديك الجن الحمصي يرد على حبيب الطائي، انظر: تعريف الخلف برجال السلف للحفناوي، ص٤٩ .

(٣) هو محمد بن سعد بن قاسم الأوسي أبوعبدالله ابن الفخار، أديب بارع له مجموع من الشعر عنوانه «خمائل الكمام في شمائل الكرام» انظر: الكتيبة الكامنة لابن الخطيب، ص١١٧-١١٨ .

فخرجت [جارية] القديمة فقالت:

[الكامل]

نـقّلْ فـؤادَكَ حـيث شـئتَ من الـهـوى
مـــا الحبُّ إلَّـــا لـــلـــحـــبـــيب الأوّلِ
كم مـنـزلٍ في الأرض يـألـفـه الـفـتى
وحـــنـــيـــنُه أبـــدًا لأوّل مـــنـــزل(١)

وقال بعضهم في معارضتها:

[الكامل]

اظـفـرْ بـآخـر من كـلـفتَ بـحـبِّهِ
لا خـــيـــرَ في حبِّ الحـــبـــيب الأوّلِ
أَوَ مـا تـرى أن الـنـبيَّ مـحـمَّـدًا
سـاد الـبـريّـةَ وهـو آخـرُ مُـرسَلِ(٢)

وسمع ابن الفخَّار(٣) رَجلاً ينشد قول الشاعر:

[البسيط]

الـعـلمُ قـد يـنـفع الأحـداثَ في مَـهَلٍ
ولـيس يـنـفع بـعـد الـكـبـرةِ الأدبُ
إنَّ الـغـصـونَ إذا قـوَّمـتَـهـا اعـتَدلتْ

---

(١) سبق التعريف به .

(٢) ورد البيتان في ديوان ابن رشيق، ص٢٤ بهذه الرواية: وقال في ركوب البحر :

أمرتني بركوب البحر مجتهـداً وقـد عصيتك فاختـرْ غيرَ ذا الداءِ

وورد في المطرب، ص٦٥ بعض الاختلاف في رواية البيت الأول حيث يقول:

أمرتني بركوب البحر في عجلٍ غيري– فديتكَ – فاخصصْه بذا الداءِ

ويظهر أن ابن رشيق يخاف ركوب البحر فنجده يقول:

البحـرُ صعب المرامِ مُرٌّ لا جـعـلـتَ حـاجتـي إليـهِ
أليـس مـاءً ونحـن طينٌ فـمـا عـسـى صـبرُنا عـليهِ

ولن تــلــينَ إذا قــوَّمــتَــهــا الخــشبُ

فعارض ذلك بقوله:

[البسيط]

قـد يـسـتـفـيـد الـكـبـيـرُ الـعـلـمَ في عـجلٍ
وقـد يـخـيـب صـغـيـرٌ دأبُه الـطـلبُ
أمـا تـرى الـشـجـرَ الـضـخـمـاءَ مـثـمـرةً
ولـيس مُـثـمـرةً إذ تُـغـرس الـقُضُبُ

فكاهة:

أمر بعض الأمراء ابن رشيق[1] الشاعر بركوب البحر في وِجهة عيّنها لها فكتب إليه يقول:

[البسيط]

أمـرتَـني بـركـوب الـبـحـرِ مُـجـتـهـدًا
فـغُـرَّ غـيـريَ واخـصـصْه بـذا الـدَّاءِ
مـا أنتَ نُـوحٌ فـتُـنـجـيـني سفـيـنـتُهُ
ولا المـسـيحُ أنـا أمـشي عـلـى المـاء[2]

مُذهَبَة:

قال أبوالقاسم السُّهيلي:

[المتقارب]

إذا قـلـتُ يـومـاً سلامٌ عـلـيكَ
فـفـيـهـا شـفـاءٌ، وفـيـهـا سـقـامْ
شـفـاءٌ إذا قـلـتُـهـا مُـقـبلاً

(١) البيت الثالث ساقط من مخطوط (ب.ح) ص٥٤ ومثبت في مخطوط (ز.س.خ) ص١١٤.

(٢) المقصود حبيب بن أوس الطائي أو أبوتمام.

(٣) البيت المضمن هو لأبي تمام، ويقال إن أبا تمام قال يعاتب أبا دلف وقد حجبه، وقيل هي في عبدالله بن طاهر، ومطلع القصيدة في شرح الصولي لديوان أبي تمام، ج٣، ص٤٨٩:

صبرًا على المطل ما لم يتله الكذبُ فللخطوب إذا سامحتَها عقبُ

وإن أنتَ أدبــرتَ فـــهي الحِـــمـــام

عــجــبتُ لــفـرط اخــتلافـيــهــمــا

وهـــــــذا سـلامٌ وهـــــــذا سـلام[1]

قال ابن مُسْهر: أتيت أبا جعفر محمد بن عيدكان فحجبني فكتبت إليه:

[البسيط]

إنِّي أتـيـتُكَ لـلـتـسلـيم أمسِ فـلم

تـأذنْ عـلـيكَ ليَ الأسـتـارُ والحُـجُبُ

وقـــد عــــلــــمتَ بـــأنِّي لم أُردَّ ولا

والـــلـهِ مـــا رُدَّ إلَّـــا الحِـــلم والأدب

فأجابني بقوله:

[البسيط]

لـو كنتَ كافيتَ بـالحُسنى لقلتَ كما

قـال ابنُ أوسٍ[2] وفـيـمـا قـاله أدبُ:

«لـيس الـحـجـابُ بِمُقْصٍ عنكَ لي أملاً

إنَّ الـسـمـاء تُـرجّى حـين تُـحـتَـجَبُ»[3]

وأنشدت لبعضهم:

[الطويل]

أعـــنـــدكمُ يـــا أهلَ ودِّيَ أنَّـــــني

وجدتُ عـلـيكم وجدَ قـيسٍ عـلى لـيلى

وأعْــريتُ فــيــكم عُــروةً عن غــرامهِ

فـلم أسْلُ يـومــاً عن هـواكم ولا لـيـلى

ممَّا نظمته[1]:

(١) يقصد نفسه ابن هذيل مؤلف هذا المخطوط

(٢) شادن: ولد الظباء الذي قوي وطلع قرناه واستغنى عن أمه، غنج الألحاظ: مليح العينين، والغنج حسن الدل.

(٣) المالقي: نسبة إلى مدينة مالقة بشرق الأندلس.

[الرمل]

صاحِ قد هاج غرامي شادنٌ[2]
غَنِجُ الألحاظِ يُدعى المالقي[3]

أصبحَ القلبُ رهينًا عنده
لا تسلْ في حبِّه عن ما لقي

ولابن حسان المتأخِّر:

[البسيط]

يزيدُ خفقُ فؤادي عند رؤيتهِ
وكان قد زال قِدْمًا عنه واتَّركا

كالطيرِ أفلتَ من أشراك مُقتنِصٍ
فظلّ يُرعد مهما أبصرَ الشَّرَكا

فكاهة:

قال بعضهم:

[المتقارب]

خرجنا غداةً إلى نزهةٍ   وفينا زِيادُ أبوصعْصعه
فستَّةُ رهطٍ به خمسةٌ   وخمسةُ رهطٍ به أربَعَه

وقال آخر:

[مخلّع البسيط]

أصحابُنا كلُّهم قُشورُ   ما فيهمُ واحدٌ لُبابُ

---

(١) سبق التعريف به.

(٢) باب جنته، ورد في الإحاطة، ج٢، ص٥٠٤ أثناء حديث ابن الخطيب عن إقامة ابن قزمان بغرناطة وامتداحه لابن أضحى وابن سعيد... فقال واجتماعه –يقصد ابن قزمان بجنته بقرية الزاوية من خارج غرناطة بنزهو ن. والزاوية هي إحدى ضواحي غرناطة التي لا تزال تحتفظ بهذا الاسم إلى يومنا هذا (La Zubia)، انظر: الإحاطة، ج٣، ص٣٤٤، ج١، ص٤٣٢، ج٢، ص٥٠٤–٥٠٥.

(٣) مارستان: مستشفى الأمراض العقلية.

رابعُهـم كـلبُهم ولـكـنْ   مِنْ أيْن ما يبدأ الحِساب؟

مُذهَبَة:

كتب مأمون بن آدم على باب داره:

[البسيط]

إن كـنتَ طـالبَ عـلمٍ أو أخـا أدبٍ
أَوْ فـيكَ فـائـدةٌ فـانـزلْ ولا تَـرِمِ
وإن تـكنْ صـورةً لا فـيكَ فـائـدةٌ
ولا مـوانـسـةٌ فـارحلْ ولا تَـقُم

وكتب أبوبكر ابن قزمان[1] على باب جنّة[2]:

[السريع]

وقـائلٍ يـا حُـسـنَـها جـنّـةً
لا يـدخل الحـزنُ عـلى بـابـها
فـقـلتُ والحقُّ له قـولـةٌ
أحـسنُ مـنـها مـجـدُ أربـابـها

قال بعض الأدباء قرأت مكتوبًا بجدار مارستان[3] بالمشرق بيتين لبعض المجانين هما:

[البسيط]

وقـائلٍ قـال لي لا بـدَّ من فـرجٍ
فـقـلتُ واغـتـظتُ لِمْ لا بُـدَّ من فـرجِ؟

(١) وردت في مخطوط (ب –ج)، ص٥٤ عبارة الردى بالألف الطويلة.
(٢) أبوعبدالله ابن الجنان: هو محمد بن أحمد الأنصاري من أهل مرسية ويكنى أبا عبدالله ويعرف بابن الجنان... كاتبًا بليغًا شاعراً... كان له في الزهد ومدح النبي (ص) بدائع، ونظم في المواعظ... وكتابته شهيرة تضرب بذكرها الأمثال... انتقل إلى بجاية وتوفي بها سنة ٦١٠هـ. الإحاطة، ج٢، ص٣٨٤–٣٩٠ .
(٣) سبق التعريف به .

فقال لي: عن قريبٍ قلتُ وا عجباً
من يضمنِ العمرَ لي يا باردَ الحججِ

وقال أبوالحجّاج المنصفي وهوآخر ما صدر عنه عند مقتله، وكُتبت على قبره:

[السريع]

قالت ليَ النفسُ أتاكَ الردَّى[1]
وأنتَ في بحرِ الخطايا مُقيمْ
هلاَّ ادّخرتَ الزَّادَ قُلتُ اقصري
لا يُحمَلُ الزَّادُ لدار الكريم

وقال الكاتب أبوعبدالله ابن الجنان[2] وهو من آخر كلامه في مرضه الذي تُوفِّي منه:

[الكامل]

جهلَ الطبيبُ شِكايتي وشَكاتي
إن الطبيب هو الذي هُو مُمرِضي
فإن ارتضىَ [بُرْئِي] تداركَ فضلَه
وإن ارتضى سُقمي رضيتُ بما رضي
ما لي اعتراضٌ في الذي يقضي بهِ
لكنْ لرحمته جعلتُ تَعرُّضي

وقال الكاتب أبوبكر ابن حبيش[3]:

[البسيط]

قالوا تصبَّرْ عن الدنيا الدنيّةِ[1] أو
كنْ عبدَها واصطبرْ للذلِّ واحتملِ
لا بُدَّ من أحد الصَّبرينِ قلتُ: نعمْ
الصبرُ عنها بعون اللهِ أو فَزُلِ

---

(١) في مخطوط (ب.ح) سقطت كلمة الدنية أوالدنيئة ومثبتة في مخطوط (ز.س.خ) ص١١٧.

(٢) الأسعد بن بليط: هو الأسعد بن إبراهيم بن أسعد بن بليطة (وليس ابن بليط) من قرطبة، شاعر بليغ فارس، تردد على ملوك الطوائف في الأندلس. توفي في حدود ٤٤٠هـ، انظر: الذخيرة، ج٢، ص٤٠٨، بغية الملتمس، ترجمة: ٥٨١، مطمح الأنفس، ص٨٣، نفح الطيب، ج٢، ص٤٥٣–٤٥٤، المطرب، ص١٢٦–١٢٧، جذوة المقتبس، ص١٦٦.

وقال ابن الشيخ:

[الكامل]

اطلبْ لنفسكَ فوزَها وانظرْ لها
نظرَ الشفيقِ وخَفْ عليها واتَّقِ
من ليس يرحم نفسَه ويصدُّها
عمَّا سيُهلكها فليس بمُشفِقِ

فكاهة:

قال الأسعد ابن بليط[2]:

[المتقارب]

رأيتُ ليونسَ في بيتهِ
فخَرَّبه اللهُ بين البيوتْ
حَصيرَ صلاةٍ علاهُ الغُبارُ
وقد نَسجتْ فوقه العنكبوت
فقلتُ له كم لذاك الحصيرِ
وكم لكَ لم تَقْرَ فيه القنوت؟
فقال: هنالك ألْقَيْتُه

(١) أفلاطون (٤٣٠-٣٤٧ق.م) من مشاهير فلاسفة اليونان، تلميذ سقراط ومعلم أرسطوطاليس، درس في بستان أكاديموس في أثينا، انظر: مختار الحكم، ص١٢٦-١٥٥.

(٢) سبق التعريف به.

(٣) ذكر ابن الخطيب البيتين في إحاطته، ج٢، ص٤٩٧ قائلاً: ومن حكمه قوله:

كثيرُ المالِ تبذله فيبقى
ولا يبقى مع الجودِ القليلُ.

(٤)لعله الشاعر عمرو بن أحمر الباهلي الشاعر الفصيح، كان يتقدم شعراء أهل زمانه، انظر: المؤتلف والمختلف للآمدي، ص٣٧.

وثَـمَّ يــــــكـــــــون إلـى أن يمـــــــوت

مُذهبَة:

قيل لأفلاطون[1] : أيّ شيء من أفعال الناس يُشبه أفعال الإله ؟ قال: الإحسان إلى الناس.

قال أبوبكر ابن قُزمان[2]:

[الوافر]

كـثـيـرُ المــالِ تُـمـسـكه فـيـفـنى
وقـد يـبـقى مع الجُـود الـقـلـيلُ
ومن غَـرستْ يـداه ثـمـارَ جُـودٍ
فـفي ظلِّ الـثـنـاءِ لـه مَـقـيل[3]

مدح شاعر باهلي[4] هارون الرشيد بقصيدة اتهمه فيها فعرض عليه مدح ابنيه الأمين والمأمون، وكانا بين يديه، ممتحنًا له فقال على البديهة:

[الطويل]

بـنـيتَ بـعـبـدالـلـه بـعـدَ مـحـمـدٍ
ذُرا قـبّـةِ الإسلامِ فـاخـضـرَّ عـودُهـا
هـمـا طُـنُـبـاهـا بـاركَ الـلهُ فـيـهـمـا
وأنتَ أمـيـرُ المـؤمـنـين عـمُـودهـا

وقال بعضهم:

[البسيط]

(١) هو إسماعيل بن بدر بن إسماعيل أبوبكر، شاعر أديب مشهور، كان في أيام عبدالرحمن الناصر أثيرًا عنده، أورد له أحمد بن فرح في الحدائق أشعاراً كثيرة، انظر: جذوة المقتبس للحميدي، ص١٥٣.

(٢) الناصر لدين الله عبدالرحمن بن محمد المرواني بن عبدالله بن عبدالرحمن بن الحكم بن هشام بن عبدالرحمن بن معاوية، أول من تسمى في الأندلس بأمير المؤمنين وكان يكنى أبا المطرف وتوفي سنة خمسين وثلاثمائة ولم يبلغ أحد من بني أمية في الولاية مدته فيها. انظر: جذوة المقتبس للحميدي، ص١٣، والإحاطة لابن الخطيب، ج٣، ص٤٦٤-٤٦٦ .

تَـغْـنَـوْنَ عن كلّ تـقـريظٍ بمـدحـكمُ
غِنى الظِباءِ عن التكحيل بالكَحَلِ
تـلـوح في دُول الإسلامِ دولـتُـكم
كـأنـهـا مِـلّـةُ الإسلامِ في المِـلَلِ

وقال إسماعيل بن بدر بن إسماعيل[1] في الناصر لدين الله عبدالرحمن بن محمد المرواني[2]:

[البسيط]

لـو كـان يُـعـبَـد دون الـلـهِ من أحـدٍ
مـا كـان غـيـرُكَ في الـدنـيـا بمـعـبـودِ
قد فـات قدرُكَ وصفَ الـواصفـين فما
ذِكْرَاكَ إلَّا بـتـحـمـيـدٍ وتـمـجـيـد
لمَّـا ذكـرتُكَ يـومـاً قـلـتُ من جـذلٍ
يـا نـعـمـةَ الـلـهِ في أيَّـامه زيـدي
وقد قضى اللهُ للدنـيـا وسـاكـنـهـا
بـأنَّ مـثـلـكَ فـيـهـا غـيـرُ مَـوجُـود

ولبعض المشارقة:

[الطويل]

ووالـلـهِ مـا أخَّـرتُ عـنكَ مـدائـحي
لأمـرٍ سـوى أنِّي عـجـزتُ عن الـشـكـرِ
وقـد رُضتُ فـكـري مـرّةً بـعـد مـرّةٍ
بمـا سـاغ أن أهـدي إلى مـثـلكَ شِـعري
فـإن لـم يـكن دُرّاً فـتـلـك نـقـيـصـةٌ
وإن كـان دُرّاً كـيف يُـهـدى إلى الـبـحـر

وقال آخر:

(١) أبوالحسن ابن الحاج: هو محمد بن علي بن عبدالله بن محمد بن الحاج ويعرف بابن الحاج، كان أبوه نجارًا من مدجني مدينة إشبيلية من العارفين بالحيل الهندسية... انتقل بعد مهلك أبيه إلى باب السلطان ثاني الملوك من بني نصر ومتّ إليه بوسيلة... توفي بفاس عام ٦١٤هـ، الإحاطة، ج٢، ص١٣٩-١٤١.

[الكامل]

مـلكٌ إذا عـايـنتُ مـنه جـبـيـنَهُ
فـارقـتُه والـنـورُ فـوق جـبـيـني
وإذا لـثـمتُ يمـيـنَه وخـرجتُ من
أبـوابه لـثَمَ المـلـوكُ يمـيـني

فكاهة:

قال الشاعر وقد ظهر منه سلُوٌّ عن محبُوبه فسُئل عن ذلك فاعتذر عنه:

[مجزوء الوافر]

إذا ما غاب من أهوى نسيتُ الحبَّ أجمعَهُ
أأذكره بلا قلبٍ وقلبي سائرٌ معه

مُذهبَة:

قال أبوالحسن ابن الحاج[1]:

[الطويل]

كـفى حَـزَنًـا أن المـشـارعَ جَـمَّـةٌ
وعـنـهم إلـيـهـا غُـلَّـةٌ وأُوامُ
ومن نـكـد الأيَّـام أن يـعـدمَ الـفـتى
كـريمًـا وأن المـكـثـرين لـئـام

وقال أحمد بن أمَيَّة البلنسي:

(١) الآل: السراب.

[السريع]

قـــال رُيَـــيْـــسي حـــين فـــاوضْـــتُه
ومـــا درى أنَّ مَـــقـــامي عـــســـيـــرْ
أقمْ فـــقـــلـــتُ الحـــالُ لا تـــقـــتـــضي
فـقـال سِرْ قـلتُ: جـنـاحي كـسـيـر

وقال أبوالقاسم القبتوري:

[البسيط]

وا حـسـرتـا لأمـورٍ لـيس يـبـلـغـهـا
مـالي، وهنَّ مُـنى نـفـسي وآمـالي
أصبـحتُ كـالآل[1] لا جـدوى لـديَّ ومـا

(١) الماوردي: هو أبوالحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، من أكابر الفقهاء الشافعية، ومن العلماء الباحثين، ولد بالبصرة سنة ٣٦٤هـ، وتعلم بالبصرة وبغداد، ولي القضاء في بلدان كثيرة، ثم جعل (أقضى القضاة) في أيام القائم بأمر الله العباسي... له تصانيف كثيرة منها: أدب الدنيا والدين، والأحكام السلطانية، وأعلام النبوة، انظر: معجم الأدباء، ج٥، ص٤٠٧-٤٠٩، وفيات الأعيان، ج٢، ص٤٤٤-٤٤٥، كتاب الوفيات لابن قنفذ، ص٢٤٥-٢٤٦.

(٢) سبق التعريف به.

(٣) سبق التعريف به.

(٤) إقلاع الطاعون المشار إليه ها هنا هو مرض الطاعون الذي اجتاح إمارة غرناطة عام ٧٤٩هـ وأودى بالعديد من المشايخ المشاهير كابن الجياب وهو ما دفع بابن خاتمة ليؤلف من حول هذه الكارثة كتابًا يحمل عنوان «تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد». ونجد ابن الخطيب وهو بصدد الترجمة لابن برطال الذي قضى نحبه بمالقة عام ٧٥٠هـ يقول «وخرجت جنازته في اليوم التالي ليلة وفاته في ركب من الأموات يناهز الألف وينيف بمائتين واستمر ذلك لمدة.» الإحاطة، ج١، ص١٧٩.

(٥) ألمرية: راجع حول هذه المدينة الأندلسية: الروض المعطار للحميري، ص١٨٣-١٨٤، نفح الطيب للمقري، والمغرب في حلى المغرب لابن سعيد.. ألمرية مدينة عربية أنشئت عام ٣٤٤هـ في الأندلس حيث أمر ببنائها أمير المؤمنين الناصر لدين الله عبدالرحمن الثالث وتقع على الشاطئ الجنوبي الشرقي من إسبانيا ذات طبيعة صحراوية، ويقال إنها المدينة الوحيدة التي أنشأها العرب المسلمون بالأندلس، بالإضافة إلى القرى الصغيرة والقلاع، أما باقي المدن الأندلسية

اَلــــيتُ جِـــدّاً ولـــكـن جِـــدِّيَ الآلي

وقال أبومحمد ابن برطلة[٢]:

[السريع]

لـــلَّه مـــا أَلـــقـــاه من هـــمَّـــةٍ
لا تَــرتَــضي إلا الــسُّــهــا مــنــزلا
ومن خُـــمـــولٍ كُـــلَّـــمـــا رُمْتُ أنْ
أســـمـــو به بـــين الـــورى قـــال: لا

وقال الماوردي[١]:

[الطويل]

عـتـبتُ عـلـى الـدنـيـا لـتـقـديم جـاهلٍ
وتـأخـيـرِ ذي فـضـلٍ فـقـالت لـيَ الـعُذرا
بـنـوالجـهلِ أبـنـائي وكلُّ فـضـيـلـةٍ
فـأبـنـاؤهـا أبـنـاءُ ضَـرَّتـيَ الأُخـــرى

فكاهة:

قـال الفقيـه أبوجعفر ابن خاتمة[٢] أنشـدني شيخنا أبوالبركـات ابن الحاج[٣] لنفسه بعقب إقلاع الطاعون[٤] عن ألمرية[٥] عصمها الله:

[الوافر]

شـــكـــرتُ الـــلـهَ شـــكـــرًا لـم يُـــوفِّي
حـــقـــوقَ فـضـــائلِ الـــوبـــإ المـــبـــاركْ

---

(١) السخائم: الضغائن الموجودة في النفس أوالحقد.

(١) الشافعي الإمام: هو أبو عبدالله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمي القرشي المطلبي، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، ولد في غزة بفلسطين سنة ١٥٠هـ وهي السنة التي مات فيها أبو حنيفة، وحمل إلى مكة وهو ابن سنتين وكان في ابتداء أمره يطلب الشعر وأيام العرب والأدب... توفي عام ٢٠٤هـ. انظر: وفيات الأعيان، ج٣، ص٣٠٥–٣١٠، طبقات الشافعية، معجم الأدباء، ج٦، ص٣٦٧–٣٩٨، الوافي بالوفيات، ص١٥٥–١٥٦.

فكم غَسَلَ السّخائمَ[1] من قلوبٍ
وعاونَ في حَوائجنا وشارك

مُذهَبَة:

قال أبوشبل النحوي:

[البسيط]

يُفني البخيلُ بجمع المالِ مُدّتَه
ولِلحوادثَ والورّاث ما يدعُ
كدودة القزّ ما تبنيه يُهلكها
وغيرُها بالذي تبنيه ينتفع

ومما ينسب للشّافعي[2]:

[الطويل]

إذا شئتَ أن تستقرضَ المالَ مُنفقاً
على شهواتِ النفس في حالة العُسرِ
فسلْ نفسَكَ الإقراضَ من كيس صبرها
عليكَ وإنظاراً إلى حالة اليُسر

---

(١) سبق التعريف به.

(٢) أبوعبدالله العزفي: هو عبدالله بن محمد بن أحمد بن محمد العزفي، يكنى أبا طالب الرئيس الفقيه الكبير الشهير صاحب الأمر والرياسة والإمارة بسبتة نيابة عن أخيه الرئيس الصالح أبي حاتم، انظر حول هذه العائلة الشهيرة: الإحاطة، ج٣ص ١١-١٧، وص٣٨٣-٣٨٥.

(٣) أبو العباس بن خميس: هو محمد بن أحمد بن محمد بن عبدالله بن محمد بن علي بن أبي بكر بن خميس الأنصاري من أهل الجزيرة الخضراء (Aljeciras) كان أحد بلغاء عصره وله مصنفات منها «النفحة الأرجية في الغزوة المرجية»: توفي في الطاعون سنة٧٥٠هـ، ابن الخطيب: الإحاطة ج٣، ص١٨٤-١٨٥، الأعلام للزركلي، ج٩، ص١٩١ .

فــإن صــبَــرتْ كــنْــتَ الــغــنيَّ وإن أبتْ
فــكــلُّ مَــنُــوعٍ بــعــدهــا واسعُ الــعُــذر

قال القاضي أبوالبركات ابن الحاج[1]: كتب الفقيه أبوعبدالله بن غازي في صدر خِزانة حانوت توثيقه بسبتة:

[الكامل]

يــا قــارئَ الأبــيــاتِ مــهــمــا زُرتــنــا
فــانــهضْ عــلى قــدم الــزيــارةِ أو قِفِ
واقــبلْ فــدتكَ الــنــفسُ واضحَ عُــذرنــا
وإنِ اضــطــررتَ إلى الجــلــوس فــخَــفِّفِ

قال: فبلغ ذلك الفقيه أبا عبدالله العزفي[2] فكتب في مثل ذلك الموضع من حانوته:

[السريع]

مـــنـــزلُـــنـــا هـــذا لمن زارنـــا
نـــحن ســـواءٌ فـــيه والـــطـــارقُ
فــمن أتــانــا فــيه فــلــيــحــتــكِمْ
فـــربُّـــنـــا الخـــالقُ والـــرَّازق

فـقـال الـقـاضـي أبـوالـبـركـات وأنـشـدنـي الـخـطـيـب أبـوالـعـبـاس ابـن خـمـيـس[3] لأبـيـه

(١) الخليل بن أحمد: كان أعلم الناس بالنحو والغريب، وهو أستاذ الناس وواحد عصره، وأول من اخترع العروض وفتقه وجعله ميزانًا للشعر، وكان سببه أنه مَرّ في سكة القصارين فسمع من وقع الكدين أصواتًا ففكر في هذا العلم.. بالإضافة إلى ذلك فهو مؤلف كتاب العين الذي أهداه لليث بن نصر دون سائر الناس... ويروي ابن المعتز قصة طريفة حول هذه النسخة النادرة وحرقها من طرف ابنة عمه نظراً لشغف الليث بهذا الكتاب، انظر: طبقات الشعراء لابن المعتز، ص٩٦–٩٩، وانظر: ابن خلكان، ومعجم الأدباء، وبغية الوعاة وغيرها من المصادر التي أولت عناية بالخليل وعلمه.

(٢) في مخطوط (ب.ح) يضيف أحمد، ص٥٨.

(٣) في مخطوط (ز.س.خ) يضيف أحمد، ص١٢٢.

(٤) القذال: جماع مؤخر الرأس أوما بين نقرة القفا إلى الأذن.

بالجزيرة الخضراء:

[الكامل]

سالمْ جميعَ الناسِ تسلمْ منهُمُ
إنَّ السلامةَ في مسالمةِ الورى
وإذا أتاكَ مِن امرئٍ يوماً أذًى
لا تجزِه أبداً بما منه ترى

قال الخليل[1] بن أحمد[2] : ثلاث خصال أحبها لنفسي، ولمن أحب رُشده: أن أكون عند الله من أفاضل عِباده، وأن أكون عند الخليفة من أوسطهم،وأن أكون عند نفسي من شرارهم، قال عبدالله بن أحمد[3] بن حنبل: لوكُتب شيءٌ بالذهب لكان هذا.

فكاهة:

قال بعضهم في مُغنٍّ قبيح:

[المتقارب]

ولمَّا تغنَّى لنا سالمٌ
غناءً سلِ اللهَ منه السلامه
أرينـاه أنَّا طربنا لهُ
وقُمنا إليه برسم الكرامه
فكفٌّ يصافح منه القَذالَ[4]
وخُفٌّ يُقبّل منه العمامه
فلمَّا رءانا أحطنا بهِ

(١) عاذل: يقول الشاعر ابن خاتمة الأنصاري في رسالته: «الفصل العادل بين الرقيب والواشي والعاذل» العاذل مسلط اللسان على كل محب هيمان، يرشقه بسهام ملامحه، ويلوكه لوك المهر لحكمة لجامه، كلمات محفظات، باردة العظات، مطهرة لوجود الحسنات، في مظاهر الهنات، إن قال أحال، وإن تكلم آلم، وإن سلّم، تود لوترك السنّة وما سلّم، ص١١، والعاذل اللائم.

(٢) إشارة ابن هذيل القائلة «ولبعض المتأخرين» دون التصريح باسمه هو الأديب الشاعر والكاتب أبوعبدالله محمد بن أبي القاسم بن أحمد بن جزي الكلبي (٧٢١-٧٥٧هـ) من أهل غرناطة يكنى أبا محمد... قريع بيت نبيه وسلف شهير وأبوة خيرة، شاعر مجيد وهو الذي تولى تدوين رحلة ابن بطوطة، انظر: الإحاطة لابن الخطيب، ج٣، ص٣٩٢-٣٩٩.

(٣) وعلى حد قول ابن الأحمر صاحب نثير فرائد الجمان أن ابن جزي كان يعشق غلاماً وسيماً كناه في أشعاره «بسلمى» حتى يخفي أمره وهو المقصود في هذه الأبيات التي هي من تأليفه، انظر: الكتيبة الكامنة لابن الخطيب، ص٢٢٧ .

أعــاد الــغِـنــا فــانـــهــزمــنــا أمــامـه

مُذهَبَة:

قال بعضهم:

[الكامل]

يـــا بـــاخـلاً بـــالــلـحظ والــتـسـلـيـمِ
أظَـمـا وعـنـدك َمـوردُ الـتـسـنـيـمِ؟
قــلــبي بــحــبِّـكَ راتـعٌ في جـنَّـــةٍ
وحــشـــايَ مــنـه في ســواء جــحــيم
فـإذا ارتـقى لـسـمـاء سـمـعكَ عـاذلٌ[1]
تــرمــيه شُــهبُ مَـدامــعي بـــرُجُــوم

ولبعض المتأخرين[2]:

[الخفيف]

شــدَّ مــا قـد لـقـيتُ في حبِّ سـلْـمى
قلَّ صــبــري وضـــاق بـــالحبّ ذَرْعي
كـلَّ يـــــومٍ زيــــارةٌ أو رســــولٌ
لأراهـــا بـــنـــاظــري أوبــســمــعي
وإذا لـم أجــد إلـــيـــهـــا ســبــيـلاً

(١) سبق التعريف به.

(٢) ورد البيتان في الديوان ص١٢٩، وفي المطرب ص١٠٤ ضمن مقطوعة تقول:

ومرتجَّةُ الأعطافِ أما قوامُها فلدْنٌ وأما ردفها فـــرداحُ
ألَمَّتْ فبات الليْل من قِصَرٍ بها يطير ولا غيرُ السرورِ جناح
وبتُّ...

(٣) عبدالجليل بن وهبون: هو أبو محمد عبدالجليل بن وهبون من شعراء المعتمد بن عباد أمير إشبيلية في عصر الطوائف، توفي في حدود ٤٨٠هـ، انظر: المطرب، ص١١٨-١٢٣، وقلائد العقيان للفتح بن خاقان، ص٢٧٨-٢٨٢.

(٤) في صدر البيت خلل إيقاعي.

وعـدمْتُ الـرَّسـولَ أرسـلتُ دمـعي[٣]

ولابن الزقَّاق[١]:

[الطويل]

وبتُّ وقـد زارتْ بـأنـعم لـيـلـةٍ
يُـعانـقُني حتَّى الـصَّبـاح صبـاحُ
على عـاتـقي من سـاعديـها حـمائلُ
وفي خَصـرهـا من سـاعـديَّ وِشاح[٢]

ولبعض المشارقة:

[البسيط]

تـعـجّبتْ من ضَنـا جسمي فقلتُ لـها:
عـلـى هـواكِ فـقـالت: عـنـديَ الخَـبـرُ

وقال عبدالجليل بن وهبون[٣]:

[الكامل]

زعـمـوا الـغـزالَ حـكـاه قـلتُ لـهم[٤]**:**
في صـدّه عن عـاشـقـيه وهـجـرِهِ
قـالـوا: الـهلالُ شـبـيـهُه ؟ فـأجـبـتـهم:

(١) شلب قرية تقع غرب إشبيلية تسمى اليوم (**Silves**).
(٢) ورد في مخطوط (ز.س.خ) ص١٢٤ الصب بدل الحب في العجز.
(٣) سبق التعريف به.
(٤) أبوعبدالله الحضرمي: هو قاسم بن أحمد بن محمد بن عمران الحضرمي، له من المؤلفات «الشافي في اختصار التيسير الكافي» توفي أيام الطاعون، انظر: الإحاطة، ج٤، ص٢٦٧-٢٦٨.
(٥) أبو عبدالله بن بكر: هو محمد بن أحمد الشريف الحسني قاضي الجماعة بغرناطة، أبو عبدالله الغرناطي، شارح الحازمية المقصورة، وشارح الخزرجية في العروض، الناظم الناثر... ولد سنة٦٩٧هـ وتوفي سنة٧٦١هـ، انظر: درة الحجال، ج٢، ص٢٦٨.

إن كـــان قِـــيسَ إلى قُلامـــة ظـــفـــرِهِ
وكـــذا يـــقـــولـــون: المــدامُ كــريــقِهِ
يـــا ربِّ لـوعـلـمـوا مَـذاقـةَ ثـغـرِه !

وقال بعض شعراء شلب[1]:

[الكامل]

لــمَّـا ظـفـرتُ بـسـاعـةٍ من وصـلـهِ
والحبُّ[2] غـيـرُ الـوصلِ لا يـشـفِـيهِ
أنـضـجْتُ وردةَ خـدِّه بـتـنـفُّـسِي
وجــعـلـتُ أشـرب مـاءهـا من فِـيه

ولبعض المشارقة دُوبيت في المعنى:

[الدوبيت]

لم أنسَ مـبـيـتَـنـا مـعًـا في بُـرْدِ
إذ صـافحَ خـدُّه اعـتـنـاقًـا خـدِّي
حـتى رشـحتْ من عَـرَقٍ وجـنـتُهُ
لا زال نَـصـيـبي مـنه مـاء وردِ

فكاهة:

قال ابن خاتمة[3]: حدّثني صاحبنا القاضي أبوعبدالله الحضرمي[4] قال: حضرتُ

(١) البزة: الهيئة، والبزة الثياب والسلاح والهيئة من قولهم رجل حسن البزة أي الهيئة.
(٢) أبوعثمان ابن ليون: من شيوخ لسان الدين بن الخطيب، هو أبو عثمان سعد بن الشيخ الصالح أبي جعفر بن ليون (أو العيون) التجيبي، من أكابر الأئمة، اشتهر باختصار الكتب، له تآليف تزيد على المائة، وحسب قول المقري أنه وقف على أكثر من عشرين منها بالمغرب، ويقول عنه ابن الخطيب إنه كان جمّاعة للكتب له خزانة فيها كل نوع وامتاز شعره بالحكمة، انظر: الكتيبة الكامنة لابن الخطيب،ص٨٦–٨٧، المقري، ج٧، ص٣٠٦ .
(٣) لعل هذا القول مستلهم من قول المتنبي:
ومن نـكـد الـدنـيـا عـلى الحـرّ أن يـرى

يوماً مجلس قضاء القاضي أبي عبدالله ابن بكر(٥) قاضي الجماعة بحضرة غرناطة، فبينما هو يفصل بين الخصوم وإذا رجل قد وقف إليه حسن الهيئة، جميل البِزَّة(١)، فصرف القاضي إليه وجهه مُرحِّبًا به يحسبه من بعض حاشية السلطان، فقال له مُقدّم الأعوان القائم على رأسه يُنبِّهه عليه: يا سيدي هو أستاذ، يريد أنه أستاذ سماع ! فذهب وهْم القاضي لاشتراك الاسم أنَّه أستاذ عِلم فقال له: ارتفع معنا يا أستاذ، ووسَّع له في المجلس، فأبى ذلك الرّجل أدباً وتوقيرًا لمجلس القاضي، فلمّا فرغ ممًّا كان قد نشب فيه من بين يديه من الخُصوم، أقبل عليه وقال له: أيُّ شيء يحمل الأستاذ من العلوم ؟ فقال له: يا سيدي أنا أستاذ جماعة مُسمع جئتُ لأُؤدّي عندك شهادة ! فخجل القاضي أبوعبدالله لذلك خجلاً عظيمًا وأفصله.

أنشد الشيخ أبوعثمان ابن ليون(٢) لعبدالعزيز بن مُطرف:

[الكامل الأحذّ المضمر]

أبـــنـــاءُ دنـــيـــا لا خلاقَ لـــهم
مـــا أشـــبهَ الأبـــنـــاءَ بـــالأمِّ
جـــرّبـــتُـــهم وخـــبـــرتُـــهم زمـــنـــاً
فـــتـــركـــتُـــهم بُـــغْـــضـــاً عـــلى عِـــلم
لـــكنَّ دهـــري اضـــطـــرّني لـــهمُ
فـــصـــحـــبـــتُـــهم كُـــرهًـــا عـــلى رَغم(٣)

مُذهبَة:

(١) أبوالحسن الكسائي: هو أبوالحسن علي بن حمزة الملقب بالكسائي، نشأ بالكوفة وأخذ القراءة عن حمزة الزيات، ويتميز بقراءة خاصة ولم يكن له يد في الشعر حتى قيل عنه «ليس في علماء العربية من هو أجهل من الكسائي بالشعر» لكنه تميز فيما بعد وأصبح من علماء اللغة مما جعل الخلفاء يقربونه من أمثال: المهدي، العباس، والرشيد. انظر: أحمد حسن الزيات: تاريخ الأدب العربي، ط٢٥، ص٣٦٧-٣٦٨.

(٢) أبوالحسن علي بن عبدالعزيز الجرجاني المشهو ر بالقاضي، ولد في جرجان سنة ٢٩٠هـ ونشأ بها... اشتهر بالفقه وترجم له الشيرازي في طبقات الفقهاء، وذكره السيوطي في طبقات المفسرين... شاعر متقن وكاتب مرسل وناقد لوذعي بصير، وفيه يقول صاحب اليتيمة: حسنة جرجان، وفرد الزمان... توفي عام ٣٦٦هـ. انظر: الوساطة، ص د، معجم الأدباء، ج١٤، ص١٥ .

قال باذكين صاحب البصرة دُوبيًّتا:

[الدوبيت]

زوّدْ نظري بنظرةٍ قبلَ تسيرْ
ومن وجهكَ إن عمرَ ذا اليومِ قصيرْ
لا تأمنْ أن تذوقَ ما ذُقتُ أنا
أو تصبح في حبايل الحبِّ أسيرْ

اجتمع يومًا أبوالحسن الكِسائي[1] مع محمد الحنفي في مجلس الرشيد، فقال الكسائي: من تبحَّر في علم يُهدى إلى جميع العلوم!فقال له محمد:ما تقول فيمن سها في سجُود السّهو هل يسجد مرّة أخرى؟ قال الكسائي: لا؛ لأن النحاة يقولون التصغير لا يُصغّر! فكانت هذه المسألة من مُذهبات الكِسائي النَّحوي.

وللقاضي أبي الحسن الجرجاني[2]:

[الخفيف]

ما تطعَّمتُ لذّةَ العيشِ حتَّى
صرتُ للبيت والكتاب جليسا
ليس شيءٌ أعزَّ عندي منَ العِلْـ
ـمِ، فما نبتغي سواه أنيسا
إنَّما الذلُّ في مخالطة النّا

(١) ورد في مخطوط (ب.ح) ص٦٠ لا تبالي والـ لا ناهية تجزم المضارع بحذف حرف علته.

(٢) هذا الاسم الوارد بين معقوفتين غير مفهو م في المخطوطتين.

(٣) خواب: جمع خابية، إناء من الفخار يشبه الزق، يحفظ فيه الخمر أو الماء أو غيره من السوائل.

(٤) عقارًا: أي خمرًا.

(٥) رايبًا: هو الحليب.

(٦) عقروها: أي كسروها مجازًا.

سِ، فـدعْــهم وعشْ عـزيـزًا رئــيــسـا

وقال بعضهم:

[البسيط]

لــقـــاءُ أكـــثـــرِ من تـــلـــقـــاه أوزارُ
فلا تُـبـــالِ[1] أصـدُّوا عـنك أو زاروا ؟
لـــهم لـــديْكَ إذا جـــاؤوكَ [أوطـــارُ]
وإنْ قضوْها تـنـحّوا عنك [أو طاروا!]

فكاهة:

من مُلح الرّثاء قول عُمر [القنّاع][2] المُرسي يرثي أواني خمر كُسِرت:

[الخفيف]

وخـــوابٍ[3] لـــهـــا ســـوابقُ نُـــعـــمى
وُضــعـتْ في ســفــاسفٍ كــفَّــروهــا
كــســروهـا وقـد سـقـتْـهم عُـقـارًا[4]
لـو سـقتْ رايـبًـا[5] لمـا كـسـروهـا
أخـــذ الـــلـهُ ثـــأرَهـــا من عُـــداةٍ
حـين أفـنـوا عُـقـارَهـا عَـقـرُوهـا[6]
احـتـيـاطًـا عـلـى الجـنـيـن فـلـمَّـا
وضـعـتْه من بـطـنـهـا رجـمـوهـا

(١) القاضي أبوبكر ابن عربي: هو محمد بن عبدالله بن محمد المعافري الإشبيلي أبوبكر ابن العربي قاضٍ من حفّاظ الحديث، ولد في إشبيلية سنة ٤٦٨هـ، وتوفي بالقرب من مدينة فاس سنة ٥٤٣هـ، ذكره الرعيني وابن بشكوال، وابن الزبير الذي قال عنه: كان فصيحًا حافظًا أديبًا شاعراً كثير الملح، مليح المجلس له تصانيف منها: « العواصم من القواصم» و«أحكام القرآن»، انظر: ابن قنفذ القسنطيني: كتاب الوفيات، ص٢٧٩–٢٨٠ .

(٢) الرقا: جمع رُقْية: تعويذة يقصد بها شفاء المريض.

(٣) النكس: من نكِس المريض أي عاوده المرض.

ومن مُلح الهجاء قول أبي العبَّاس المبرّد في صديق له:

[الطويل]

تـلـوَّنتَ حـتى لـستُ أدري مِنَ الـعـمى
أريحُ جـنـــوبٍ أنتَ، أم أنـتَ عـاصفُ؟
أرى فـيكَ أخلاقًا حِـســانًـا قـبـيـحـةً
فـأنتَ صـــديقٌ كـالــذي أنـا واصف
قـريــبٌ، بـعـيــدٌ، أحـمقٌ مُـتـظـرِّفٌ
سخيٌّ بـخـيلٌ، مـسـتـقـيمٌ مُـخـالـف
كـذاك لـســاني حــامـدٌ لكَ شــاتمٌ
كـمـا أنَّ قــلــبي جــاهلٌ بكَ عــارف

أنشد القاضي أبوبكر ابن العَرَبي[١] قال: أنشدنا أبوالفوارس شجاع بن فارس:

[الطويل]

وجــاؤوا إلــيه بــالــتـعــاويـذ والـرُّقـا[٢]
وصبُّوا عـلـيه الماءَ من ألم الـنُّكسِ[٣]
وقـــالـــوا به من أعـــين الجنِّ نـــظـــرةٌ
ولـــوفـــطـــنـــوا قـــالـــوا به أعـــينُ الإنسِ

مُذهبَة:

حدّث عبدالصّمد الكوفي قال: خدمت بهلولاً المجنون عشرين سنة أطُوف معه حيث

(١) سقطت له من مخطوط (ب.ح) ص:٦٠.
(٢) طوامث: من طمث، طمثًا: المرأة حاضت فهي حائض، والطمث هو الدنس والفساد.
(٣) الباقلاّ: الفول.
(٤) توجد قصة البهلول كاملة بهذه الرواية تقريبًا في فوات الوفيات للصفدي، ج١، ص١٥٣–١٥٥ ، وجاء ذكر بهلول المجنون أيضاً في درة الحجال، ج١، ص٢٢٨.
(٥) اسم غير مفهو م في المخطوطتين.

طاف، وألتقط من نوادره، وأحفظ من أشعاره، وأذُبّ عنه من يؤذيه، فلم أره مدّة على شدّة طلبي له[1] إلى أن رأيته في بعض سكك الكوفة، والصبيان خلفه يرمونه بالحصا قال:فسلّمت عليه فلم يردّ عليّ إلّا أنه قال لي:نحّ عنيّ أولاد الطوامث[2] قال:ففعلت،ثم قلت أتشتهي شيئًا ؟ فقال: ثريد باقِلاّ[3] بدُهن لوز، قال: فصنعته له، ووضعت القصعة بين يديه في مسجد، قال: فأخذ يأكل أكْل جائع، قال: فقلت له يا أستاذ هل زِدت شيئًا في رِقّة البَشَرة ؟ قال: فمدّ يده إلى القصعة ليَضرب بها رأسي، قال: فتغافَلتُ عنه إلى أن أكل وشبع، وطابت نفسه فقلتُ يا أستاذ:حاجتي، فقال: اكتب:

[السريع]

أضمرَ أن أُضمِرَ حبِّي له — فيشتكي إضمارَ إضماري

رقَّ فلـو مرّتْ بـه ذَرّةٌ — لخضَّبتْه بـدمٍ جـارِ

فقلت: يا أستاذ أرق من هذا، فقال: اكتب:

شبّهتهُ قمرًا إذ مرّ مُبتسِمًا

فكاد يجرحه التشبيهُ أو كُلِما

ومرَّ في خاطري تقبيلُ وجنتهِ

فسيّلتْ فكرتي من عارضيه دما

فقلت: يا أستاذ أرق من هذا، فقال: يا ابن الفاعلة رويْدًا لأنظر هل طُبخ في المنزل حريرة أرق من هذا[4].

فكاهة:

---

(١) مثل عربي.

(٢) القاضي عياض: هو عياض بن موسى بن عياض بن عمرون بن موسى بن عياض بن محمد بن عبدالله بن موسى اليحصُبي السبتي ولد بمدينة بسطة (**Baeza**) قرب جيان وانتقل أجداده منها إلى مدينة فاس، ثم إلى سبتة، رحل إلى الأندلس فأخذ عن شيوخ قرطبة ومرسية وسكن مالقة مدة، ذكره ابن بشكوال والمراكشي في الصلة، له تصانيف كثيرة من أشهرها «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» طبع في خمسة أجزاء بتحقيق الدكتور أحمد بكير محمد، انظر: المقري، أزهارالرياض، ج١، ابتداء من ص٢٣، وللتذكير فإن هذا الكتاب ألف على شرفه فهو أزهار الرياض في أخبار عياض، انظر أيضاً: ابن قنفذ القسنطيني، كتاب الوفيات، ص٢٨٠–٢٨١.

كتب أبوعمرو بن عَرَّاهَا(٥) لصاحب المهدية، وقد جاء عيدُ أضحى ولم تكن عندهُ أُضحية:

[السريع]

أصبحتُ لا أملك ذا أربعٍ وليس لي أضحيةٌ ظاهرهْ

الحمدُ لله على رحلتي لا فارسُ الدنيا ولا الآخره

وكتب ابن خروف لبعض الرؤساء يستدعي كبشًا:

[المجتث]

يا مـن حـوى كلَّ مجـدٍ بِجَـدِّهِ وبِجِدِّهْ

أتاكَ نجـلُ خـروفٍ فامنُنْ عليـه بجَدّه

وكتب أيضًا لبعضهم يستدعي فروة:

[مجزوء الوافر]

بهاءَ الدينِ والدنيـا ونورَ المجـدِ والحَسَبِ

طلبتُ مخـافةَ الأنـوا ءِ مـن جدواكَ جلدَ أبي

وفضلُكَ عـالمٌ أنِّـي خـروفٌ بـارعُ الأدب

حلبتُ الدّهرَ أشطرَه(١) وفي حَلْبي صفا حَلَبي

---

(١) لداتي: أترابي في السن.

(٢) معن بن زائدة: هو أبو الوليد معن بن زائدة بن عبدالله بن زائدة بن مطر بن شريك بن الصلُّب واسمه عمرو بن قيس بن شراحيل بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان... كان جوادًا شجاعًا جزل العطاء، كثير المعروف، ممدوحًا مقصودًا، توفي مابين ١٥١هـ ... ١٥٨هـ مقتول من طرف أحد الخوارج، ابن خلكان، الوفيات، ج٥، ص٢٤٤.

(٣) جلد: شديد وصلب وقوي.

(٤) انظر: القصة كاملة في وفيات الأعيان، ج٥، ابتداء من ص٢٤٤.

(٥) هو علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف القرشي الهاشمي رابع الخلفاء الراشدين، ولد بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم باثنتين وثلاثين سنة، شهد كل الغزوات مع الرسول (ص) وهو أول من آمن به من الصبيان.

مُذهِبَة:

زار القاضي عياض[٢] بعض أصحابه بمسجد إقرائه، وكان من أسنانه غير أنه لم يجر عليه الشيب مثل ما جرى على القاضي، فقال له القاضي:يا أستاذ شبنا وما شبتم؟ فأنشده ارتجالاً:

[الطويل]

وهل نافعي إن أخطأ الشيبُ مَفرقي
وقد شاب أترابي ومات لِداتي[١]!
لئن كان خطبُ الشيبِ يُوجد عينُه
بِتِربي فمعناه يقوم بذاتي

ودخل معن بن زائدة[٢] على المنصور فأسرع المشْي، وقارب الخطو، فقال له: كبرت سنك يا معن ! قال: في طاعتك، قال: وإنك مع ذلك لجلد[٣]، قال: على أعدائك، قال: وإنَّ فيك لبقيَّة ! قال: هي لك يا أمير المؤمنين، قال: أيُّ الدولتين أحبّ إليك ؟ قال: ذلك إليك إن زاد برّك على برّهم، أحببتك فوق حُبِّي لهم، وإن لم يزد برُّك على برِّهم كانوا أحبّ إليَّ منك[٤].

رُفِع إلى عليّ[٥] رضي الله عنه بالكوفة غُلام من العرب قد أُخذ في دار قوم بالليل، فقال له: ماَ قِصَّتك ؟ قال: يا أمير المؤمنين، لست بلصٍّ ولكنَّني أصدقك، فقال: هاتِ، فأنشأ يقول:

[الطويل]

تعلَّقتُ في دار الرِّياحيِّ غادةً
يذلّ لها في حُسنها القمرُ البدرُ
لها في بنات الرُّومِ حُسْنٌ ومَنصبٌ
إذا افتخرتْ بالحسن جانَسها الفخر

---

(١) المدائني: هو علي بن محمد بن عبدالله أبو الحسن المدائني، راوية مؤرخ (١٣٥-٢٢٥هـ٧٥٢/-٨٤٠م) روى عنه الزبير بن بكار المشهو ر. كان يقال من أراد أخبار الجاهلية فعليه بكتب أبي عبيدة، ومن أراد الأعلام فعليه بكتب المدائني، انظر: تاريخ بغداد، ج١٢، ص٥٤-٥٥، الأعلام للزركلي، ج٥، ص١٤٠.

فلمَّا طرقتُ الدَّارَ من حَرِّ مُهجتي
أبيتُ وفيها من تَوقّدها جمر
تبادرَ أهلُ الدّار ثُمَّتَ صَيَّحوا:
هواللصُّ، محتومٌ له القتلُ والأسر

فلما سمع رضي الله عنه شعره رقَّ له، وقال للرّياحي؛ وهوالمهلب بن رياح اليربوعي اسمح له بها، وأُجزل لك فيها الثمن، فقال الرياحي للغلام: خُذ بيدها بارك الله لك فيها.

فكاهة:

قال المدائني[1]: سقط عبدالله بن شبرمة القاضي عن دابته فوطئت رجله فدخل عليه يحيى بن نوفل الشاعر عائداً له، ومادِحاً، وكان جاره فأنشده:

[المتقارب]

أقول غداةَ أتانا الخبيرُ
ودسَّ أحاديثَه هينمه
لكَ الويلُ من مُخبرٍ ما تقولُ
أبِنْ لي وعَدِّ عن الجَمْجمه
فقال: خرجتُ وقاضي القُضاةِ
مُنَفَّكة رجلُه مُؤلمه
فقلتُ وضاقت عليَّ البلادُ
وخِفْتُ المجلّيةَ المعظمه
فغزوانُ حُرٌّ وأمُّ الوليدِ
إنِ اللهُ عافى أبا شِبْرِمَه
جزاءً لمعروفه عندنا

---

(١) سبق التعريف به.
(١) صبا: وردت عبارة صبا بالألف المقصورة في المخطوطتين والأصل بالألف الطويلة لأنها من صبا يصبو صبوًا، والتصابي هو الميل إلى اللهو.

ومـــا عِـــتْـقُ عـــبـــدٍ لـه أو أمـهْ

قال: وفي المجلس جار يحيى بن نوفل يعرف من في منزله، فلمّا خرج تبِعه فقال له: يا أبا القمر رحمك الله منْ غزوان، وأمّ الوليد ؟ قال له: سِنَّوْرَانِ في البيت فاسترْ عليَّ!.

مُذهَبَة:

خرج القاضي أبوبكر ابن العربي[1] يوماً من الحمام،وبين يديه غلام في يده شمع، فأنشد فيه:

[السريع]

وشـمـعـةٍ يـحـمـلـهـا شـمـعـةٌ
يـــكـــاد يُـــطـــفي نـــورُه نـــارَهـــا
لـــولا نـــهى نـــفـــسي لـــهـــا غـــيَّـــهـــا
لَـــقَـــبّـــلـــتُـهُ وأتت عـــارَهـــا

فسمعنا أبوعمران الزاهد فقال: أما أنه لم يكن يفعل ولكنه هزَّته أريحيَّة الأدب،

(١) ابن سعيد: هو علي بن موسى بن عبدالملك بن سعيد... من أهل قلعة يحصُب، أوقلعة يعقوب وهي حاليًا بلدة القلعة الملكية (**Alcala la Real**) تقع شمال غربي غرناطة وكانت قديماً منزل آل سعيد الذين يعود نسبهم إلى الصحابي عمار بن ياسر، وآل سعيد أدباء ومؤرخون أصحاب كتاب المغرب الشهير وخاتمتهم أبوالحسن هذا المولود بغرناطة سنة ٦١٠هـ١٢١٤/م والمتوفى بتونس سنة ٦٨٥هـ١٢٨٦/م قال عنه ابن الخطيب: هذا الرجل وسطى عقد بيته وعلم أهله، ودرة قومه المصنف الأديب، الرحالة، الطرفة الإخباري، العجيب الشان في التجوال والأوطان، انظر: الإحاطة، ج٤، ص١٥٢–١٥٨، ودائرة المعارف، المجلد الثالث، ص١٨٧–١٨٨.

(٢) سبق التعريف به .

(٣) عاذلي: لائمي.

(٤) ابن عبادة المعروف بابن القزاز هو أبوالعباس أحمد بن طاهر بن علي بن عيسى بن عبادة الأنصاري الخزرجي، محدث وفقيه مالكي من أهل دانية (**Denia**) بالأندلس ولد سنة ٤٦٧هـ١٠٧٥/م وتوفي سنة٥٣٢هـ١١٢٩/م. انظر: أفرام البستاني، قاموس عام لكل فن ومطلب، مجلد٣، ص٣٣١.

(٥) جيان (**Jaén**) مدينة لها كورة واسعة بالأندلس تتصل بكورة ألبيرة مائلة إلى ناحية الجوف في شرقي قرطبة سبعة عشر فرسخًا وكورتها متصلة بكورة تُدُمير وطليطلة وهي اليوم إحدى ولايات الأندلس الشمالية، انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص١٩٥، المقري: نفح الطيب، ج٤، ص٢٠٣.

ولوكنت أنا لقلتُ:

[البسيط]

لـولا الحـيـاءُ وخـوفُ الـلـهِ يمـنـعـني
وأن يُـقَـالَ صَـبَـا[٢] مُـوسى عـلـى كِـبَـرِهْ
إذاً،لمـــتَّـــعتُ لحـــظي من نـــواظـــرهِ
حـتَّى أُوفِّي جـفـوني الحـقَّ من نـظـره

قال بعضهم:

[مخلع البسيط زاحف]

لـــــوكـــــان يـــــدري الـــــذي فـــــعلْ
أحـــــيـــــا المُـــــحبَّ الـــــذي قـــــتلْ
ظـــــبيٌ بـــــعـــــيـــــنـــــيـه أسْـــــهُمُ
في كلِّ قـــــلــبٍ لـــــهـــــا عـــــمـل
يَـــــحـــــمَـــــرُّ في خـــــدِّه دَمِي
ويـــــدَّعِي أنَّــه خَـــــجَـل

وأنشد ابن سعيد[١] لجمال الدّين ابن مطروح[٢] من المشارقة:

(٦) ألمرية (**Almeria**) ثغر من ثغور الأندلس تقع في جنوب إسبانيا على البحر المتوسط شرقي مالقة، وهي مدينة مشرفة جميلة الموقع وكانت أيام الدولة الإسلامية من أعظم ثغورها الجنوبية، سقطت ألمرية في يد النصارى سنة ١٤٨٩م وما تزال تقوم بها حتى اليوم أطلال القصبة الأندلسية القديمة وبها عدة أبراج منيعة تشرف عليها من عل، ولألمرية ميناء جميل ترسو به كثير من السفن، انظر: ابن الخطيب، الإحاطة، ج١، ص٢٤٧.

() أوغاد جمع وغد: الأحمق ضعيف العقل.

(٢) أبوبكر اليكي: هو أبو عبدالله يحيى بن سهل اليكي أديب شاعر خبيث الهجاء ينسب إلى يكة بالياء مدينة مازالت إلى الآن بشمال مرسية وتسمى اليوم (**Yecla**) لا إلى بكة كما ورد في نفح الطيب وهي مدينة بنواحي طريفة محيت آثارها، انظر: زاد المسافر لابن صفوان، ص١١٩-١٢٣.

(٣) أبوبكر ابن بقي: هو أبو بكر يحيى بن محمد بن بقي الأندلسي، له ما ينيف على ثلاثة آلاف موشحة ومثلها قصائد ومقطعات منقحة، وتوفي سنة ٥٤٠هـ أوسنة ٥٤٥هـ/١١٤٥ م ورد ذكره في خريدة القصر، ص٥٨، والتكملة لابن الأبار (ت٥٤٠ هـ) وقلائد العقيان، ص٣٢٢-٣٢٦ ، قال عنه ابن خاقان: «رافع راية القريض وصاحب آية التصريح فيه والتعريض، أقام شرائعه، وأظهر روائعه، إذا نظم أزرى بنظم العقود، وأتى بأحسن من رقم البرود..» ص٣٢٢ ، ونفح الطيب، ج٤، ص٣٦٨ ،وابن دحية: المطرب، ص١٩٨، والأعلام للزركلي، ج٩، ص١٨٨.

وليلةٍ وصـلٍ خـــلتْ	ويا عـاذلي[٣] لا تســـلْ
لبسـنا ثِيـابَ العنـاقِ	مـــــــــزرَّدَةً بـالـقُبَـل
وفـي طيِّ ذاك العـِنـا	قِ عَتْبٌ [كَوَشْيِ] الحُلَلِ
وحـــلَّيتُ ذاك الغـزالَ	بجوهـــر هــذا الـــغَزَل

فكاهة:

قال ابن عُبادة المعروف بابن القزَّاز[٤] في رجل [قراق] من أهل جيَّان[٥] وكان انتقل إلى ألمرية[٦] ففتك بامرأته بها:

[المنسرح]

أوغـادُ[١] أهلِ ألمــريّــة افــتــرســوا
عِــرسكَ يـــا وغْـــدَ أهلِ جـــيَّـــانِ
[قـــراقـــهم] أنتَ غـــيـــرَ أنّـــهُمُ
قــد بَــشَــروا رأسَ قــافِكَ الـــثـــان

ومن ملح باب الهجاء قول أبي بكر اليَكِّي[٢] في هرّ:

[السريع]

يـــا رُبّ هِــــرٍّ رائقٍ حُـــســـــنُهُ

(١) العذيب: تصغير العذب وهو الماء الطيب، ويقال إنه اسم ماء يقع بين القادسية والمغيثة، وقيل هو ماء لبني تميم، وقال عبدالله السكوني: العذيب ماء يخرج من القادسية إلى الكوفة.

(٢) بارق: يقال إن العذيب ماء لبني تميم، وكذلك بارق، ودياره كما ألمح لذلك الشاعر الشمّاخ هي باليمامة «فمرت على عين العذيب..»

(٣) وردت في مخطوط (ب.ح) ص٦٣، عبارة الجوى بالألف الطويلة.

(٤) سرادق: الخيمة أوالفسطاط جمع سرادقات الذي يمد فوق صحن البيت.

(٥) الكرى: وردت في مخطوط (ب.ح) ص٦٣، بالألف الطويلة.

أشــــربـــــني خــــــالــــقُه بُـــــغـــــضَهُ
لـــوعـــلَّقَ الـــفـــيـــرانُ أجـــراسَـــهم
في جِـــيـــده لم يـــشـــتـــكـــوا عـــضَّه
ولا تـــــراه مُـــــــعْـــــــمِلاً ظـــــفـــــرَه
في بـــعـــضـــهم لـــو أكـــلـــوا بـــعـــضه

مُذهبَة:

قال أبوبكر ابن بقي[٣]:

[الكامل]

بـــأبي غـــزالٍ غــــازلـــتْه مُـــقـــلـــتي
بـــين الـــعُـذيب[١] وبـــين شـــطَّيْ بـــارقِ[٢]
وسـألـتُ مـنه زيـارةً تـشـفي الجـوى[٣]
فـــأجـــابـــني فـــــيه بـــوعـــدٍ صــــادق

(١) وردت ثلاثة أبيات من هذه المقطوعة في القلائد مع بعض الاختلاف كـ«وكان معانقي» «بدل بات معانقي»، و«أبعدته عن أضلع بشياقه» بدل «باعدت عنه أضلعاً تشتاقه»، انظر: ابن خاقان، القلائد، ص٢٣٢–٢٣٣، ونفح الطيب، ج٢، ص١٣٥.

(٢) حمدة بنت بقي بن زياد الوادي آشية: هي حمدة بنت زياد المكتِّب من ساكني وادي الحمَّة بقرية بادي من وادي آش (**Guadix**) نبيلة شاعرة. وقال أبوالحسن بن سعيد في حمدة وأختها زينب: شاعرتان أديبتان من أهل الجمال والمال والمعارف والصوّن إلا أن حب الأدب كان يحملهما على مخالطة أهله مع صيانة مشهورة ونزاهة موثق بها» قال عنها ياقوت: كانت تسمى خنساء المغرب وشاعرة الأندلس، انظر: ابن الخطيب، الإحاطة، ج١، ص٤٩٧–٤٩٨، ياقوت: معجم الأدباء، ج١٠، ص٢٧٤–٢٧٨، المقري: نفح الطيب، ج٦، ص٢٨٧ ، الزركلي: الأعلام، ج١، ص٣٠٥ .

(٣) وادي آش (**Guadix**) كانت من المدن الزاهرة أيام الأندلس تقع شمال غرناطة وعلى مقربة من جيّان، كانت إحدى الولايات التي يحكمها عبدالله الزّغل عم أبي عبدالله الصغير آخر ملوك غرناطة، سقطت في يد النصارى قبل غرناطة وذلك عام ١٤٩٠م، ورد ذكرها في نفح الطيب للمقري ضمن أعمال غرناطة وكان يقال لها وادي الأشات وهي مدينة جميلة قد أحدقت بها البساتين والأنهار وقد خص الله أهلها بالأدب وحب الشعر وفيها يقول أبوالحسن نزار:

وادي الأشاتِ يهيج وجدي كلما أدركتُ ما فاضت بكَ النعماءُ

انظر: المقري، نفح الطيب، ج١، ص١٤٢–١٤٣ .

(٤) الواشون. قال ابن خاتمة في رسالته «الفصل العادل بين الرقيب والواشي والعاذل» ص٥: «الواشي مصرّف العين واللسان، وآخذ من هذا بشان، ومن هذا بشان، نظره اختلاس وتحبيس، وكلامه تخمين وتدليس، وإذا قصر فلسانه طويل، أوعمي بصره فقائده القال والقيل، فالرقيب أعوانه أجفانه، والعاذل سنانه لسانه، والواشي وزيره تزويره وبهتانه»: والواشي هو النمام.